



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية  
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

تقرير أبحاث المحقق الفقيه آية الله الشيخ محمد محمد السند

# أهمية آيات قاطرة الأضواء

في الكتاب النبوي



بإشراف الشيخ محمد حسن العلي  
إعداد الشيخ محمد باقر العلي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# أم مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام فى الكتاب و السنه

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

دارالكوخ

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
17	أم مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب و السنه
17	اشارة
17	اشارة
19	مقدمة المقرر
22	الباب الأول:ضوابط عامة
22	اشارة
24	الضابطة الأولى: المحكمات وطبقاتها الضابطة لمعرفتها
24	اشارة
28	كيف نتعرف على طبقات المحكمات:
31	ولاية أهل البيت(عليهم السلام) مثبتة في أم الكتاب:
33	وقفه مع السيد المرتضى:
36	الضابطة الثانية: موقع العقائد فوق عالم الدنيا
38	الضابطة الثالثة: العمي عن المعارف في الدنيا عمي في العوالم الأخرى
43	الضابطة الرابعة: العقيدة رؤية لماض أم منهج لحاضر ومستقبل
45	الضابطة الخامسة: لغة الفضائل ترجمانها الحجية و لغة الذم إسقاط للحجية
51	الضابطة السادسة: لغة القرآن والزيارات
63	الضابطة السابعة: الاعتقاد بالنبوة أعظم من الاعتقاد بالجنة والنار
73	الضابطة الثامنة: أنحاء ارتباط الحجج بالبشر
77	الضابطة التاسعة: المقامات المشتركة بين الخمسة لا تنافي التراتبية
83	الضابطة العاشرة: إمامة رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم
87	الباب الثاني: المقالات
87	اشارة

89 ..... اشارة

90 ..... الشاهد الأول: ملكها في العوالم الآتية:

93 ..... الشاهد الثاني: تلقين النبي (صلي الله عليه وآله) لحمزة (عليه السلام):

96 ..... الشاهد الثالث: اعتراف أبي بكر بمقامات فاطمة (عليها السلام):

99 ..... المقالة الثانية: الاعتقاد بها عليها السلام فريضة مودة أم إيمان بموقعها الخاص

101 ..... المقالة الثالثة: نورية الزهراء عليها السلام وما يترتب عليها من أدوار

107 ..... المقالة الرابعة: الزهراء عليها السلام بضعة روح الوجود

107 ..... اشارة

107 ..... أنحاء القربي:

110 ..... إجمال مقامات فاطمة (عليها السلام) في كتب المتكلمين:

113 ..... المقالة الخامسة: مقام المحدثنة

113 ..... اشارة

114 ..... المقامات الاصطفائية في القرآن:

116 ..... المحدثنة وسام الهي عظيم لفاطمة (عليها السلام):

120 ..... فاطمة (عليها السلام) محدثة من الملائكة والروح الأمري:

131 ..... المقالة السادسة: مقام المحدثنة

131 ..... اشارة

133 ..... أهل البيت (عليهم السلام) رواة عن كل طبقات وجود النبي (صلي الله عليه وآله):

135 ..... المحدث مرتبط بروح من أرواح النبي (صلي الله عليه وآله):

139 ..... المقالة السابعة: دلالة مصحف فاطمة عليها السلام علي مقامها الشامخ

139 ..... اشارة

139 ..... المطلب الأول: مراسيم تسليم المصحف لفاطمة (عليها السلام):

144 ..... المطلب الثاني: العلوم المودعة في مصحفها:

144 ..... اشارة

151	..... نهج فاطمة(عليها السلام) قدوة: .....
152	..... المطلب الثَّالِث: إشراف فاطمة(عليها السلام) عَلَي الإمامة الإلهية .....
152	..... اشارة .....
153	..... البعد الأول: الوساطة النورية: .....
154	..... البُعد الثَّانِي: الوساطة النورية تثبت الحجية: .....
157	..... المقالة الثامنة: ليلة القدر أحد مقامات فاطمة عليها السلام .....
157	..... اشارة .....
163	..... كلام المجلسي(ره) في هذا المقام: .....
163	..... اشارة .....
166	..... النقطة الأولى: فاطمة(عليها السلام) ثالثة الحجج: .....
167	..... النقطة الثانية: البيت بيت الرُّوح: .....
167	..... النقطة الثالثة: الارتباط بين أرواحهم والعرش: .....
168	..... النقطة الرابعة: ارتباطهم بالعرش معراج: .....
169	..... النقطة الخامسة: امتداد صرح بيوت أرواحهم: .....
171	..... المقالة التاسعة: إرهابات النبوة في فاطمة عليها السلام .....
171	..... اشارة .....
173	..... الأمر الأول: تكرر نزول الملائكة العظام عليها(عليها السلام): .....
175	..... الأمر الثاني: التعبير عما تلقاه بالنزول: .....
176	..... الأمر الثالث: تسالم المسلمين علي الخصائص الاصطفائية لفاطمة(عليها السلام): .....
177	..... الأمر الرابع: التولد من النبي(صلي الله عليه وآله) ممزوج بالجينات النبوية: .....
180	..... الأمر الخامس: توصيفها ببؤة أوصاف مقامات النبي(صلي الله عليه وآله): .....
181	..... الأمر السادس: مصحف فاطمة فيه تنزيل وتأويل القرآن: .....
181	..... اشارة .....
182	..... علم جمع الجمع النبوي لدي فاطمة(عليها السلام): .....
183	..... ارهابات الوحي: .....

186	..... ذكر شؤونها وصلاحتها من المصحف:
189	..... مسألة: هل المصحف أكبر من القرآن:
198	..... المقالة العاشرة: الكفوية
198	..... اشارة
199	..... منهج الاستدلال علي المقامات:
199	..... حديثا الثقلين والكفوية قرآنيان:
199	..... اشارة
203	..... فوائد من حديث الكفوية
203	..... اشارة
203	..... الفائدة الأولى: المديح الشخصي في القرآن اصطفاء إلهي:
204	..... الفائدة الثانية: ضرورة إرجاع معادلات الروايات للقرآن:
210	..... الفائدة الثالثة: علم فاطمة(عليها السلام) أسمائي جامع:
211	..... الفائدة الرابعة: علو رتبتها علي الأنبياء ما عدا الخاتم:
212	..... لفنة معرفية:
215	..... اشكالية الكفوية الاجتماعية:
216	..... تقريب ثالث لحديث الكفاءة:
225	..... تنافسهما قربي لا قبلي:
226	..... وصيتها لعلي(عليه السلام) وشراكتها في الأمر:
229	..... المقالة الحادية عشر: شراكتها لعلي عليه السلام وتقدم رتبتها عليها السلام علي رتبة أولادها
229	..... اشارة
234	..... رتبة فاطمة(عليها السلام) بعد النبي(صلي الله عليه وآله) وعلي(عليه السلام) ثم الحسين ثم التسعة(عليهم السلام):
237	..... المقالة الثانية عشر: طبقات تزويج الزهراء عليها السلام بعلي عليه السلام قرآن في عوالم الولايات
237	..... اشارة
238	..... سر هول وعظمة تزويج علي من فاطمة(عليهما السلام):
238	..... اشارة



- 238 ..... النقطة الأولى: ولاية أمر زوجها(عليها السلام) بيد الله خاصة:
- 240 ..... النقطة الثانية: الحفاوة الملكوتية لزوجها(عليهم السلام).
- 240 ..... اشارة
- 241 ..... الأمر الأول: ولاية زواج علي(عليه السلام) أيضا بيد الله:
- 242 ..... الأمر الثاني: اقترانهما(عليهما السلام) تم في الجنة الابدية قبل الدُّنيا:
- 242 ..... الأمر الثالث: الحفاوة بزواجها(عليها السلام) ذو صلة بولايتها:
- 243 ..... الأمر الرابع: مهرها تولية الهية لها علي شؤون العالم كله:
- 243 ..... اشارة
- 245 ..... تبرك الملائكة المباركين ببركات زوجها(عليها السلام):
- 245 ..... محورية فاطمة(عليها السلام) كفولعلي(عليه السلام) في الرتبة:
- 247 ..... انفعال العرش وما دونه بزواجها(عليها السلام) ارتباط الداني بالعالى:
- 248 ..... تولي الله لزوجها لكونه اقتران نظم وتدير الهى:
- 250 ..... النقطة الثالثة: التزويج و المؤاخاة:
- 250 ..... اشارة
- 250 ..... التراتبية بين الثلاثة:
- 251 ..... قران كفووية في عالم الملكوت:
- 252 ..... زوجها(عليهما السلام) نظير القران الاسمائي:
- 253 ..... المؤاخاة بين النبي(صلي الله عليه وآله) والوصي(عليه السلام) نورية:
- 253 ..... النقطة الرابعة: حديث الكساء:
- 253 ..... اشارة
- 253 ..... التألف في الولايات الاصفقانية سر عظمة أهل البيت(عليهم السلام):
- 255 ..... تفوق علي(عليه السلام) في امتحان الولاية تدير الملائكة:
- 256 ..... أهل البيت(عليهما السلام) نراس في تدير الولاية لكل طبقات الملكوت وطبقات الملك:
- 257 ..... اختصام أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك:
- 262 ..... النقطة الخامسة: الولادة في الكعبة والتزويج:

263	..... المقالة الثالثة عشر: نسبة فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام
263	..... اشارة
263	..... كفوئته(عليه السلام) لفاطمة(عليها السلام) وتقدمه علي اولاده(عليهم السلام):
265	..... اللون المشترك في دائرة الحجج لا ينافي التفاضل:
266	..... دائرة التسعة(عليهم السلام) تلو دائرة الحسين(عليهما السلام):
266	..... شواهد تقدم مقام الزهراء(عليها السلام) علي اولادها(عليهم السلام):
269	..... أيهما أقرب للنبي(صلي الله عليه وآله) فاطمة أم علي(عليهما السلام):
272	..... المقالة الرابعة عشر: مقام ولاية الأمر ثابت لفاطمة عليها السلام
272	..... اشارة
273	..... ثبوت ما وراء الإمامة السياسية لفاطمة(عليها السلام):
273	..... ولاية أمر الأنمة(عليهم السلام) وراثه من فاطمة(عليها السلام):
275	..... إنعكاس ولاية فاطمة(عليها السلام) الملكوتية في الشؤون الخطيرة:
277	..... الأبعاد الثابتة من ولاية الأمر لفاطمة(عليها السلام):
278	..... سؤدد وطهارة وحجية فاطمة(عليها السلام) مأخوذ في الدين:
281	..... أدلة ولايتها الأمرية:
284	..... خلو كتب الكلام عن نسبة عنوان ولاية الأمر لفاطمة(عليها السلام):
285	..... دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي:
288	..... الفرق بين الأمرية الدينية والفرعونية الدكتاتورية:
290	..... تروى النبي(صلي الله عليه وآله) في إسناد ولاية إلي لفاطمة(عليها السلام):
293	..... المقالة الخامسة عشر: حقيقة فاطمة عليها السلام
293	..... اشارة
293	..... تعريف أهل البيت(عليهم السلام) علي وجه الحقيقة:
294	..... حقيقة الإنسان لا في بدنه ولا في عقله بل في كماله النهائي:
296	..... التعريف الوحياني لفاطمة(عليها السلام):
299	..... المقالة السادسة عشر: دليل وفلسفة ظلامه الزهراء

299	.....	اشارة
300	.....	النقطة الأولى: ما هو الدليل على وقوع ظلاماتها: .....
300	.....	اشارة
303	.....	تحليل السياقات الطبيعية للحدث وسيلة لفهمه: .....
305	.....	اهمال القصاصات المحتملة تغريد خارج سرب فطرة البشر: .....
306	.....	الحجج المجموعية دون الحجج المستقلة نبع الحقيقة: .....
308	.....	بعض أنماط تقوية التراث تعمية علي الحقائق: .....
308	.....	تراكم وتوزع قصاصات ظلامتهم في كتب المسلمين .....
313	.....	التسرع في نفي الأحداث مناقض للمنهج العلمي: .....
313	.....	النقطة الثانية: فلسفات إثبات ظلامتها(عليها السلام): .....
313	.....	اشارة
314	.....	الفلسفة الأولى: إحياء المظلومية إحياء للمنهج القويم: .....
317	.....	الفلسفة الثانية: التعرف علي الظلامات تمييز للقدوات: .....
317	.....	اشارة
321	.....	علل تصفية الزهراء(عليها السلام): .....
321	.....	اشارة
321	.....	العلة الأولى: حيلولة وجود الزهراء(عليها السلام) عن البيعة: .....
321	.....	العلة الثانية: تصفيتها لمصادرة حقها: .....
322	.....	العلة الثالثة: شرعيتها المحكمة(عليها السلام) اسقاط لشرعيتهم: .....
322	.....	اشارة
322	.....	الشاهد الأول: .....
323	.....	الشاهد الثاني: .....
326	.....	الفرية علي الزهراء(عليها السلام) فرية علي الدين: .....
328	.....	اشترك النبي(صلي الله عليه وآله) وبضعتة(عليها السلام) في شدة الظلامه: .....
333	.....	المقالة السابعة عشر: مضامين رثاء علي لفاطمة عليهما السلام .....

- 333 ..... اشارة
- 335 ..... معني زيارته(عليه السلام) النبي(صلي الله عليه وآله) نيابة عن النازلة بيقعته:
- 337 ..... أسرار سرعة لحوق الزهراء(عليها السلام) بأبيها(صلي الله عليه وآله):
- 341 ..... فقد النبي(صلي الله عليه وآله) خسارة لا تعوض:
- 343 ..... رجوع النبي(صلي الله عليه وآله) وفاطمة(عليها السلام) مرهون باستحقاق البشرية:
- 347 ..... صرعت الزهراء(عليها السلام) عن عمد ومكابرة ومباغثة:
- 349 ..... المقالة الثامنة عشر: مقام الحوراء الأنسية -
- 349 ..... اشارة
- 353 ..... الوجه الأول: نزولها(عليها السلام) من الجنة لصلب النبي(صلي الله عليه وآله):
- 354 ..... الوجه الثاني: تفعل كما لاتها(عليها السلام) في بدء وجودها
- 354 ..... اشارة
- 355 ..... آثار الكمالات الملكوتية علي بدنها المادي:
- 359 ..... الوجه الثالث: جسمها الظلي لم يودع في الأضلاب:
- 359 ..... اشارة
- 360 ..... فائدة - 1-: عرض نورها لآدم تقدم لخلقها نورا وولاية علي:
- 361 ..... فائدة - 2-: مقام المنصورة وولايتها في الملكوت ومقامها في الرجعة:
- 363 ..... المقالة التاسعة عشر: حوارية علي وفاطمة عليهما السلام
- 363 ..... اشارة
- 363 ..... الأدب الملتزم في حواريات الأولياء إظهار للمقامات:
- 365 ..... الأدب السائد بين الأصفياء لا نظير له في المواقع الاعتبارية:
- 366 ..... تشابه وفارق حوارية علي وفاطمة(عليهما السلام) لحوارية موسي وهارون(عليهما السلام):
- 374 ..... نبرة الأدب بين الأنمة(عليهم السلام) افصح عن تفاوت الصلاحيات:
- 377 ..... المقالة العشرون: أم مقاماتها وهيمنتها
- 377 ..... اشارة
- 378 ..... مقامات الزهراء(عليها السلام) مغنية في الاوساط العلمية:

- 382 ..... أم مقاماتها هو هيمنة كل فضائها علي فضائل أولادها: .....
- 384 ..... آل محمد(عليهم السلام) دائرة متميزة عن النبيين وبين أفرادها تمايز: .....
- 384 ..... اشارة .....
- 388 ..... المنبة الأول: هيمنتها العلمية علي علم أولادها(عليهم السلام): .....
- 388 ..... اشارة .....
- 389 ..... قصور البحوث الكلامية عن استيعاب منظومة العقائد: .....
- 393 ..... المنبة الثاني: تفوقها(عليها السلام) علي مسرح الشجاعة والجرأة: .....
- 394 ..... التراتبية في الفضل في دائرة أهل البيت(عليهم السلام): .....
- 398 ..... مأمورية علي(عليه السلام) في جملة من الموارد بانفاذ أمر فاطمة(عليها السلام): .....
- 400 ..... أدلة هيمنة مقامها(عليها السلام) علي مقام الحسين(عليهما السلام): .....
- 400 ..... اشارة .....
- 401 ..... الدليل الأول: حديث الكفزية: .....
- 401 ..... الدليل الثاني: روايات الثور: .....
- 401 ..... اشارة .....
- 406 ..... الطبقة النورية باللغة الفلسفية: .....
- 409 ..... الدليل الثالث: هيمنة مصحفها الشريف: .....
- 409 ..... اشارة .....
- 410 ..... السؤال تحر عن الحقيقة لا إنكارها: .....
- 412 ..... الدليل الرابع: أمرتها في عالم الآخرة: .....
- 412 ..... اشارة .....
- 413 ..... فاطمة(عليها السلام) لسان الميزان والحسنان(عليهما السلام) الكفتان: .....
- 415 ..... الدليل الخامس: كونها بحر علم النبوة: .....
- 415 ..... اشارة .....
- 421 ..... علي وفاطمة(عليهما السلام) رافدان للمعرفة الكاملة بالنبي(صلي الله عليه وآله): .....
- 423 ..... منهاج فاطمة(عليها السلام) محكم علي منهاج الأئمة(عليهم السلام): .....

425	المقالة الواحدة والعشرون: خطب الزهراء عليها السلام
425	اشارة
425	عدد خطب الزهراء(عليها السلام):
426	تعدد خطبها تعبير عن مداومة مقاومتها:
426	اشارة
429	الخطبة الثانية: بيان مقام ولايتها علي رجال الأمة والمهاجرين والأنصار
429	المحاسب والحاكم علي المهاجرين والأنصار علي أكبر مسؤولية وهي اقضاء امير المؤمنين(عليه السلام) عن الخلافة:
437	الخطبة الثالثة: مسؤوليتها عليها السلام حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين
441	الخطبة الرابعة: علي وفاطمة ركن الولاية وأخا تيم وعدي ركن الظلم
443	المقالة الثانية والعشرون: إقرار أبو بكر لفاطمة عليها السلام
443	اشارة
453	شرح المقامات
453	1- عين الحجّة:
454	2- منطق الرسالة:
455	3- سيده أمة ابيك:
455	4- الشجرة الطيبة لبنيك:
457	5- حكمك نافع:
457	6- أنت معدن الحكمة:
458	7- موطن الهدي والرحمة:
459	8- ركن الدين:
459	9- الخيرة المنتجبون:
459	10 - علي الخير أدلتنا.....دليل الأمة علي الخير:
460	11 - وإلي الجنة مسالكنا.....مسالك الأمة للجنة:
460	12 - خيرة النساء:
461	13 - بنت خير الانبياء (خير الآباء):

- 465 ..... 14 - صدق الله ورسوله وصدقت ابنته: .....
- 466 ..... 15 - سابقة في وفور عقلك: .....
- 466 ..... 16 - غير مردودة عن حَقِّك: .....
- 466 ..... 17 - ما عدوت رأي رسول الله: .....
- 467 ..... ما ذكرته أم سلمة من مقامات وشؤون لفاطمة(عليها السلام): .....
- 467 ..... 1- الحوراء بين الانس: .....
- 467 ..... 2- النفس للنفس: .....
- 468 ..... 3- ربيت في حجور الأنبياء: .....
- 468 ..... 4- تداولتها أيدي الملائكة: .....
- 470 ..... 5- ونمت في حجور الطاهرات: .....
- 470 ..... 6- ونشأت خير منشأ: .....
- 470 ..... 7- وريت خير مرتبي: .....
- 471 ..... 8- أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟! .....
- 473 ..... 9- وهي خيرة النسوان: .....
- 474 ..... 10 - وأم سادة الشبان: .....
- 474 ..... 11 - وعديلة مريم ابنة عمران: .....
- 475 ..... 12 - وحليلة ليث الأفران: .....
- 475 ..... 13 - تمت بأبيها رسالات ربه: .....
- 476 ..... 14 - فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويلحفها بشماله: .....
- 477 ..... المقالة الثالثة والعشرون: سر شدة بكاء الزهراء .....
- 477 ..... إشارة .....
- 481 ..... الغاية الأولى: بيان فادح رحيل النبي (صلي الله عليه وآله): .....
- 483 ..... الغاية الثانية: بكائها معارضة سياسية: .....
- 484 ..... الغاية الثالثة: بكائها بكاء معرفي: .....
- 487 ..... المقالة الرابعة والعشرون: ولايات فاطمة عليها السلام في العوالم الآتية .....

487 ..... اشارة

492 ..... النبي (صلي الله عليه وآله) شفيع وفاطمة (عليها السلام) حاكم;

492 ..... اعتراض:

492 ..... جواب الاعتراض:

495 ..... فهرس الموضوعات

513 ..... تعريف مركز



## أم مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب و السنه

### اشارة

عنوان و نام پديدآور: أم مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب و السنه / محاضرات محمد سند؛ بقلم حسن العالي ؛ اعداد ممدوح العالي

مشخصات نشر: تهران : نشر کوخ ، 1436 ه = 2015 م = 1394 ش

مشخصات ظاهري:ص 496

وضعييت فهرست نویسي:فهرست نویسي قبلي

يادداشت:عربي.

يادداشت:کتابنامه به صورت زیر نویس

موضوع:فاطمه زهرا(س)، 8؟ قبل از هجرت - ق 11

شناسه افزوده:سند، محمد، . - 1340

رده بندي کنگره: 1394 ، 73 م 9 س / Bp 27/2

رده بندي ديويي:297/973

شماره کتابشناسي ملي: 3881496

ص: 1

### اشارة



بسم الله الرحمن الرحيم

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) (1)

ص: 3

---

1- سورة 55 - آيه 19

هذا هو الجزء الثالث من كتاب مقامات فاطمة (عليها السلام) في الكتاب والسنة ماثل بين يدي القارئ الكريم، وهو عبارة عن دروس وأبحاث عقائدية عالية ألقاها الشيخ الأستاذ آية الله محمد السند حفظه الله علي جمع من فضلاء الحوزة العلمية في مسجد عمران بن شاهين بجوار مرقد باب مدينة علم النبي (صلي الله عليه وآله).

وقد جاء الكتاب في باين:

الباب الأول: في ضوابط وقواعد دينية جليلة تتصل بأكثر من أصل من أصول الدين لكنها تتمركز حول المقامات العامة لأهل البيت (عليهم السلام) والتي تمثل الحدود المشتركة بينهم وإن كانوا متفاوتين في الموقعية صعودا ونورية فيما هو مشترك.

وتبرز أهمية تلك الحدود المشتركة بعمق في بحثنا حول مقامات البضعة الطاهرة (عليها السلام)، وذلك لوجود سطحية في الفهم لدي كثيرين حول شراكتها في المقام والدور للنبي والائمة (عليهم السلام) لإشكالية كونها امرأة.

ولذا تنقح من مجموع ما طرحه الشيخ الأستاذ في الضوابط مدي ما للزهراء (عليها السلام) من موقع أصيل في دائرة أهل البيت (عليهم السلام) بل تبوؤها موقع صدارة بينهم.

وفي الباب الثاني: فتح الشيخ الأستاذ الباب علي مصارعيه في

البحث العقائدي والمعرفي الدقيق حول مقاماتها مبينا رتب مقاماتها(عليها السلام)، والمقام الأم بين تلك المقامات، بل تصب نتيجة كل الأبحاث والمقالات في الدليلية علي أم مقاماتها وهيمنتها علي مقامات الأئمة من ولدها(عليهم السلام).

وتناول الأستاذ الكثير مما خفي علي المتكلمين ولم يذكره في كلماتهم الا ارتكازا مما لفاطمة البتول(عليها السلام) من مقام حجية وولاية، متوسعا في بيان ولايتها بلحاظ عالم الدنيا وبقية العوالم العالية.

ولذا كان البحث كالبحر المتلاطم كلما عبرنا منه موجا استقبلتنا أمواج وأمواج فتأكد اليقين أن البحث في شخصية ومقام البضعة الطاهرة(عليها السلام) لا يتوقف عند أفق ولا ينتهي عند حد.

والأمل معقود أن يتلو هذا الجزء أجزاء بقدر طاقتنا من الاعتراف من بحر النبوة ولبوة الرسالة.

ويحدونا الأمل أن يفتح هذا الكتاب الطريق للباحثين المجيدين ليشمروا عن سواعد التنقيب في روايات الوحي وبالخصوص في روايات مقامات فاطمة(عليها السلام) لتأخذ العقيدة بها(عليها السلام) موقعها الديني المناسب، ويرتفع شيء من القصور والتقصير العلمي لدي النخب وجمهور المسلمين.

النجف الأشرف

رجب الأصب 1436هـ-

ص: 5

### إشارة

الضابطة الأولى: المحكمات وطبقاتها الضابطة لمعرفتها.

...\* كيف نتعرف على طبقات المحكمات.

...\* ولاية أهل البيت (عليهم السلام) مثبتة في أم الكتاب.

...\* وقفة مع السيد المرتضى....

ص: 6



### إشارة

بادئ ذي بدء ثمة مجموعة من الأسئلة:

أولاً: كيف نتعرف على محكمات القرآن الكريم؟

ثانياً: وكيف نُميّز بين طبقات محكماته؟

إذ لا يخفي أنه بعد التمييز والفرز بين المحكمات والمتشابهات لا بد أن نعقد بحثاً آخر تعميقاً لهذه الحقيقة وتجلياً لأبعادها.

وخلاصته هو أن كل محكم بالقياس إلى ما فوّه من المحكمات يعتبر متشابهاً محكمه المحكم الذي فوّه.

بمعنى أن المحكم الفوقي يزيح ويكشف تشابه المحكم الذي دونه، إذ أن إحكام المحكم إنما هو صفة له باعتبار ما تحته، لكنّه وبالنظر لما فيه من مساحات تمتزج بالتشابه أحتيج في كشف منطقة تشابهه إلى إرجاعه إلى ما فوّه من المحكمات.



وإيضاحاً لهذا المطلب يمكن أن نمثّل بدرجات النور، إذ هو بمستوي معيّن نور وكنيس ظلمة، وهذا النور إذا ما قايسنه بنور أكبر منه يكون بالقياس والمقابلة نوراً مُمتزجاً بظلمة.

فلو قست النور في درجة الخمسين إلى النور في درجة المئة لاضمحل الأول في الثاني، بحيث لا يطلق علي نوريته اسم النور بالقياس بالثاني.

وقد أيدت الاكتشافات العلمية الحديثة ما ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في قوله:

«سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور»<sup>(1)</sup>.

إذ نسب للظلمة وزناً؛ ولذا اكتشفوا أنّ الظلمة ليست عدماً مطلقاً، وإنّما هي نور ضعيف، وإطلاق وصف الظلمة عليها إنّما هو بالقياس للنور الأقوي منها.

ومما يؤكّد وجود نوريّة ضعيفة في الظلمة أنّ العدسات الليلية المستعملة في الرؤية آناء الظلام وظيفتها الفيزيائية استثمار ذلك النور الضعيف المصاحب للظلمة فتتحقق به الرؤية.

وعلي ذلك تقاس الأنوار بعضها إلى بعض.

وبهذا المثال يتقرب للأذهان الاختلاف في درجات المحكمات،4.

ص: 9

---

1- ( (الصحيفة السجادية (الابطحي) الإمام زين العابدين 24.

فَكَمَا أَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي نُورٍ نُورٌ أَكْبَرُ وَأَقْوَى فَكَذَلِكَ فَوْقَ كُلِّ ذِي مَحْكَمٍ مَحْكَمٌ.

والتُّور في درجاته النهائية يطلق عَلَيْهِ نور الأنوار، ويطلق علي المحكم في درجاته النهائية عنوان أحكم المحكمات.

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ أُطْلِقَ الْبَارِي فِي الْقُرْآنِ عِنْوَانَ (أَمَّ الْكِتَابِ) عَلَي بَعْضِ دَرَجَاتِ آيَاتِهِ.

ولخطورة بحث طبقات المحكمات فقد نزلت أكثر من آية من آيات القرآن الكريم لبيانها، كما اعتني أهل البيت (عليهم السلام) وتشددوا في الدلالة عليها، مما يؤكد مدي تأثيرها في معارف الإنسان وفهمه للقرآن.

وفي غَيْرِ مَوْضِعٍ طَرَحَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَقِيقَتَيْنِ مَهْمَتَيْنِ:

الأولي: ضرورة الإيمان بالحجج الإلهية بشكل عام.

الثانية: التمييز في الإيمان بين درجات الحجج ومقاماتها.

فَعَلَى صَعِيدِ الْاِعْتِقَادِ بِالْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) (1) (2) 6.

ص: 10

---

1- سورة البقرة: الآية 136.

2- سورة 2 - آيه 136

فأمر بالإيمان بهم جميعاً، لكنَّهُ لَمْ يكتفِ بِهَذَا المقدار فأنزل قوله تَعَالَى: ( تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ) (1) (2)

فدلَّت الآية الأخيرة عَلَيَّ وجوب الإيمان بهم عَلَيَّ طبقات ودرجات، ففي حين أن بعض الآيات نهت عن التفريق بين الرسل في صراطهم الحقِّ ونهجهم القويم ودينهم الواحد، أمرت آيات أُخري بالاعتقاد بوجود طبقات في ذَلِكَ الصراط، وبوجود تفاوت في ذَلِكَ المنهاج، وَهَذَا معني التحفظ في الإيمان عَلَيَّ الطبقات والوحدة، أي وحدة في الكثرة وكثرة في الوحدة.

فلو اعتقدت بالوحدة بلا اكتراث بالكثرة كفرت وجحدت، ولو اعتقدت بالكثرة بلا وحدة لكفرت وجحدت، إذ معني (لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ (3) هُوَ القول بالوحدة، ومعني (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (4) هُوَ القول بالكثرة.

وكذلك جمع القرآن الكريم بين نعمة الوحدة ونعمة الكثرة في محكمات القرآن.

فشَدَّد مِنْ جهة عَلَيَّ وجود المحكمات، وشَدَّد مِنْ جهة أُخري عَلَيَّ طبقات المحكمات، فمحمكم هُوَ لما دون ومتشابه بالنسبة إلي ما 53

ص: 11

1- سورة البقرة/ 253

2- سورة 2 - آيه 253

3- سورة 2 - آيه 136

4- سورة 2 - آيه 253

فوق إلي أن نصل إلي أم المحكمات، وفي ذلك ورد قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) (1) (2)

وأُمُّ الكتاب هي محكم لكُلِّ المحكمات.

### كيف نتعرف علي طبقات المحكمات:

بات من الوضوح بمكان لدي المحققين من المفسرين بطلان التعريف القديم الدارج الذي يفرق بين المحكمات والمتشابهات بأن المتشابه ما كان لفظه مجملاً ومغلقاً، وأن المحكم ما كان لفظه بيناً واضحاً.

ووجه البطلان ما وصف الله به جميع آيات قرآنه بقوله تعالى: (وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (3). (4)

الدالة علي أنه ليس بين آيات القرآن لفظ مجمل علي صعيد المعني.

وبالتالي لا بد من التفريق بين المحكم والمتشابه بوجه آخر.

وقد بين في التحقيقات الأخيرة في علم التفسير أن التشابه

ص: 12

1- سورة آل عمران: الآية 7.

2- سورة 3 - آيه 7

3- سورة النحل: الآية 103.

4- سورة 16 - آيه 103

والإحكام لا محل لهما عليّ صعيد اللفظ ودلالته الأولية، وإنّما يتطرّق التشابه والإحكام للقرآن عليّ صعيد المعني وطبقاته، بلّ عليّ صعيد ما هو أعظم من المعني وطبقاته وهو الحقائق وطبقاتها.

وبعبارة أخرى: بعد أن ينتقل السامع للألفاظ منها إلي معانيها ينشأ لديه في واحة المعاني وضوح وإبهام، وليس السبب في الوضوح والإبهام نفس القرآن الكريم وإنّما هو مسبب عن درجة علم البشر بالمعاني ودرجة علمهم بالحقائق.

فيخطأ من يظن أن التقسيم والتنويع لآيات القرآن سببه الألفاظ أو المعاني بما هي مدلولات للألفاظ، والسرّ في ذلك وصف القرآن كلّ آياته بالعربي المبين، وإنّما نشأ التقسيم بعد مغادرة منصّة الألفاظ إلي منصّة المعاني وطبقاتها.

وبعد التعرف عليّ اشتمال القرآن عليّ محكم ومتشابه وأن نفس محكماته عليّ طبقات ينبثق هذا السؤال:

كيف نُميّز طبقات المحكمات، وما هي المحكمات الأشدّ إحكاماً والمحكمات الأدنى إحكاماً؟

وجوابه: إنّ الحقيقة كلما كانت ذات موقعية كبيرة في الدين، وكذا المعني كلما كان ذا موقعية متقدّمة بين المعاني الدينية اعتبر ذلك المعني أشدّ إحكاماً من المعاني والحقائق الأنزل منه.

وبعبارة أوضح: إنّ الآيات المُتعرّضة للمعارف الّتي هي من أصول الدّين وعقائده تعتبر أشدّ إحكاماً من الآيات الّتي تتعرض إلى فروع الدّين، والسّر في ذلك هو أنّ المعنى في العقائد وفي أصول الدّين أعلى مرتبة وجودية وحقائقية من المعنى في فروع الدّين.

وبهَذَا يتبيّن أنّ أشدّ آيات القرآن إحكاماً هي الآيات الّتي تتعرض إلى التوحيد ومعارفه.

والسؤال لِمَ ذَلِكَ؟

قد مرّ آنفاً أنّ آيات العقائد أشدّ إحكاماً من آيات الفروع، ولما كان التوحيد أساس كلّ الدّين وأساس كلّ معارف القرآن فلا محالة أن يوزن به غيره لا- أن غيره يزنه، لأنّ معنى المحكم هو الأم، والأم معناها الميزان والمدار، ولا يعقل أن يكون شيء من الأصول فوق أصل التوحيد ليوزن به.

وتأتي في الرتبة اللاحقة الآيات الّتي تتعرض للنبوة فهي أعظم وأشدّ إحكاماً من الآيات الّتي تتعرض لبقية أصول الدّين، لأنّ موقعية النبوة موقعية مدارية بعد موقعية التوحيد.

والمعاد إذا ما لاحظناه في قسمه المرتبط بالتوحيد يكون بهذا المعنى أعظم من النبوة، وإذا لاحظناه في قسمه الذي لا يرتبط بالتوحيد تكون النبوة أعظم منه، وبعد النبوة تأتي موقعية الإمامة،

ص: 14

فتكون الآيات المتعرضة لها أشد إحكاماً من الآيات المتعرضة لما هو دونها.

### ولاية أهل البيت (عليهم السلام) مثبتة في أم الكتاب:

وما أثبتناه من أن محكم الآيات نازلة في بيان أحكم العقائد يتجلي بوضوح فيما بينته الزيارات الماثورة الناصّة علي أن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) مثبتة في محكمات الآيات:

منها ما ورد في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام):

«وأشهد أنك أمير المؤمنين الحق الذي نطق بولايتك التنزيل» (1).

ومنها ما ورد في زيارة الحسن (عليه السلام) ورد:

«والذي نطق بفضله التنزيل» (2).

وهذا البند اللطيف واللغة العظيمة مما غفل عنه جملة من المتكلمين فظنوا أن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ثابتة بالتأويل للآيات، بينما نصوص الزيارات تثبت أن إمامته وفضله نزل بها التنزيل، بمعنى أن الله نصّ علي ولايته وإمامته في التنزيل، وأحد معاني الإحكام هو التنزيل.

ص: 15

---

1- المزار، المشهدي 265

2- المزار، المشهدي 104

ولو تتبعنا أكثر نصوص الزيارات لوجدنا ما هو أرقى مما مرّ، إذ وردَ في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) قولهم: «الذي ذكره الله في محكم الآيات فقال تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) (1). (2)

وورد في زيارته (عليه السلام):

«السَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ».

ففضلاً عن نزول القرآن بالولاية في التأويل، وفضلاً عن نزوله بالولاية في التنزيل، فإنه نصّ عليّ ولايته في أم محكمات الآيات.

وعند هذا البيان لا بدّ أن تستوقف الأقلام وتعمل العقول في هذا المدّعي الخطير، إذ ليس ثمة آيات دلّت على ولاية عليّ (عليه السلام) وولاية فاطمة (عليها السلام) وولاية الحسنين (عليهم السلام) وانتهى الأمر، وليست ولايتهم مورد تنزيل الكتاب وكفي، كما أنها ليست منصوبة في المحكمات فحسب، بل تكفل بالنصّ عليّهما والنطق بوجوبها أم المحكمات.

وعليّ أساس ذلك نحن مطالبون بإقامة الدلائل على إمامة عليّ (عليه السلام) وولاية الزهراء (عليها السلام) وأولادهما (عليهم السلام) لا في تأويل الكتاب وحسب، ولا في تنزيل الكتاب وكفي، ولا بالمحكمات وانتهى الأمر.

بل مطالبون بإقامة الدلائل على إمامتهم وولايتهم (عليهم السلام) بالآيات التي تصدر قائمة المحكمات ولا أمومة عليّهما من آيات أخرى، أي 18

ص: 16

1- المزار، المشهدي 218

2- سورة 43 - آية 4



الآيات الأكثر إحصاءاً في القرآن.

وانعقاد أم المحكمات في إثبات الولاية أدل دليل علي كونها من أمهات أصول الدين وأحكام محكماته التي يدور عليها جملة كثيرة من أصوله وعقائده.

### وقفه مع السيد المرتضى:

ومما تقدم من بيان دلالة القرآن في أم محكماته علي إمامة علي وولايته (عليه السلام) يتبين وجه المناقشة فيما قاله السيد المرتضى من أن دلالة القرآن علي الولاية بيّنة علي مستوي الظاهر الخفي وليس الظاهر الجلي، فإن ما تقدم يوضح أن الولاية في القرآن ليست من الظاهر الخفي، أي ظاهر بالمعني الأعم، كما أنه ليس من الظاهر الجلي بل أعظم من ذلك، إذ لا يناسب الولاية التي هي من أحكام محكمات المعارف إلا أن تكون ظاهرة وجلية وواضحة بدرجات فائقة في الوضوح في أمهات آيات القرآن.

وفي صدارة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) بعد النبي (صلي الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام) تأتي ولاية فاطمة (عليها السلام) لا سيما وعنوان القربي في آيات الولاية أول انطباقها عليها (عليها السلام)، وتوسطها ينطبق علي الأئمة الأحد عشر (عليهم السلام).

وكذلك عنوان (أهل البيت) فإنه خاص ابتداءً ونزولاً بالخمس أصحاب الكساء.

وبعبارة أخرى: إنَّ انتشار الشبهات والالتباسات وإنَّ سبب احتجاب أنوار القرآن عَنْ أَنْ يبصرها عموم المسلمين المستضعفين لكنَّ ذَلِكَ لا يوجب تزلزل الضياء البرهاني في دلالة الآيات عما هُوَ عَلَيْهِ نظير الحال في أدلّة التوحيد، فَإِنَّ شبهات الإلحاد والملحدين قَدْ يُفرض لها انتشار ورواج وبالتالي يكون لها تعمية عَلَي عقول البسطاء لكنَّ ذَلِكَ لا يعني زوال بينات وأدلة التوحيد عمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ بدهاهة.

وبعبارة ثالثة:

تارة يعرّف البديهي والظاهر كوصف إدراكي للأشخاص والأفراد فَهَذَا يكون نسبيًا ومتغيرًا، وأخري يعرّف بلحاظ مقدمات الاستدلال ومناشئ الدلائل فَهَذَا لا يطرأ عَلَيْهِ أي تغيير.

ص: 18



## الضابطة الثانية: موقع العقائد فوق عالم الدنيا

\*الاعتقاد والمعرفة بمقامات الزهراء(عليها السلام) حَيْثُ إِنَّهُ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَلَيْسَ مِنْ الفروع فَهُوَ مقام اعتقادي.

\*لذا فَإِنَّهُ لَا تنحصر تداعياته وآثاره وتأثيره علي الحياة الدنيا فقط، بل يسع ويتسع إلي جميع العوالم بل الي ما فوق الجنة الابدية من عوالم النور.

لأصول الدِّينِ وعقائده موقعية وجودية عالية كَمَا أَنَّ لفروع الدِّينِ موقعية نازلة.

فَأَمَّا موقعية الفروع فمحصورة في النشأة الدنيوية بقسميها الأولي مِنْ الدُّنْيَا والآخرة منها، وَأَمَّا العقائد الدينية والمعارف الاعتقادية والأصول المعرفية فنشأتها الوجودية تعم وتستوعب عوالم سابقة وعالم لاحقة.

ولا شك أَنَّ عظمة وخطورة العقائد مُتَقَدِّمَةٌ عَلَي فروع الدِّينِ لاختلاف الموقعية؛ ولذا فَكُلُّمَا كبر الموقع الوجودي للشيء في ما

يتعرّض له القرآن يصبح الشيء أشدّ إحكاماً.

وبعبارة أُخري:

ثمة فرق بل فروق بين الدّين والشريعة، فإنّ الشريعة خاصّة بالنشأة الأرضية، بيّنما للدّين عموم وعمومية لكلّ عوالم الخلقة؛ ولذا فالدّين لا تقف حدوده عند نشأة مضت أو بتاريخ مضي أو بوضع راهن بل هو مرتبط بكلّ العوالم.

ويخطأ الكثير عندما يظنون أنّ الدّين ليس داخلاً في اهتمام المؤمنين بعدما يذهبون إلي الجنّة، بل الصحيح أنّ الدّين حاكم علي كلّ العوالم بما فيها عالم الجنّة الأبدية.

كما أنّ للدّين نظاما حاكما علي أهل النيران في النّار، وللدّين أيضا نظام حاكم في عالم الذر وعالم الميثاق الذي مضي.

وعلي ضوء ما تأسس فإن الاعتقاد والمعرفة بمقامات الزهراء (عليها السلام) حيث إنه من أصول الدين وليس من الفروع فهو مقام اعتقادي لا تنحصر تداعياته وآثاره وتأثيره علي الحياة الدنيا فقط، بل يسع ويتسع إلي جميع العوالم بل الي ما فوق الجنّة الأبدية من عوالم النور.

وبالتالي يكون نورا ومنهاجا وضياء وصراطا يعرج به فيها .

ص: 21

## الضابطة الثالثة: العمي عن المعارف في الدنيا عمي في العوالم الأخرى

\*مدي خطورة العمي في العوالم الآتية تتحدد وفق خطورة الاعتقاد في عالم الدنيا..

\*فما هو العمي الأخرى الذي سينجم عن تضييع معرفة مقامات الصديقة فاطمة (عليها السلام).

قَدْ تَضَمَّنَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ هَذِهِ الضَّابِطَةَ بِصِرَاحَةٍ وَوَضُوحٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا)

(1). (2)

ومعني العمي وأعمى هُوَ الخلو من المعارف، فَكُلُّ مَنْ هُوَ غَيْرُ عَارِفٍ فِي نَشْأَةِ الدُّنْيَا فَهُوَ أَعْمَى وَغَيْرُ عَارِفٍ فِي الآخِرَةِ، بَلْ وَأَضَلُّ سَبِيلًا.

ص: 22

---

1- سورة الإسراء / 72

2- سورة 17 - آيه 72

فعلي السالكين لله أن يكونوا بصراء وبصيرين وذو بصيرة هنا كي لا يضلوا السبيل في القيامة.

وثمة نص معرفي يتداوله الفلاسفة والمتكلمون كثيرا وهو قولهم «المعرفة بذر المشاهدة» فيغض النظر عن قائله فهو مطابق لمضمون الآية، فإنّ للآية منطوقا ومفهوماً، ومنطوقها إنّ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلَّ سَبِيلاً.

ومفهومها أيّ عكسها مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ بَصِيراً فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرَ بَصِيراً وَأَشَدَّ رَشْداً وَهَدَايةً، وَهَذَا هُوَ مَضْمُونُ الْحَدِيثِ السَّابِقِ؛ إِذْ مَعْنَى (المعرفة بذر المشاهدة) هُوَ كَوْنُ الْمَعْرِفَةِ فِي الدُّنْيَا بَوَابَةً نَافِذَةً لِأَجْلِ الْمَشَاهِدَةِ فِي الْآخِرَةِ.

فالآية وَالرَّوَايَةُ يَتَضَمَّنَانِ بَيَانَ نَقْطَةِ مَعْرِفِيَّةٍ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى يَشْتَمِلَانِ عَلَيَّ إِذْئَارٍ كَبِيرٍ لِلبَشَرِ وَتَخْوِيفٍ مِنْ الْقُصُورِ وَالتَّقْصِيرِ فِي الْمَعْرِفَةِ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

ولنا أنّ نتوغل أكثر في معني الآية وَالرَّوَايَةَ فنقول إنّ العمي في هذه الدُّنْيَا والعمي والضلال في الآخرة إمّا أن يكون عن أصل الحقيقة أو يكون عن طبقات الحقيقة، فمن عمي وتاه عن أصل الحقيقة في دار الدُّنْيَا عمي وضلّ عن أصل الحقيقة في عالم الآخرة، ومن ضلّ وعمي عن طبقات الحقيقة وشؤونها وأبعادها عمي وضلّ عن درجات الحقيقة في عالم الآخرة.

فبقدر ما يتعامي عنه وينكره ويجحده في عالم الدُّنيا يتعامي وينكر ويضل عنه في عالم الآخرة.

ولذا قد يهتدي إلى الجنان في الآخرة لكنّه يتعامي ويضل عن أعالي الجنان فيها، لأنّه لا يدرك من الآخرة إلا ما أدركه في الدُّنيا، فَمَنْ لَمْ يبصر أعالي المعارف مِنْ هَا هُنَا عمي عنها وضل سبيلها هُنَاكَ.

وَهَذَا هُوَ معني القاعدة القرآنية المودعة في قوله تَعَالَى: (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (1) (2)، والكسب هُوَ درجات المعرفة.

فإذا كان هذا حال الاعتقادات الواجبة المعتادة فكيف بالاعتقاد بأصل من أصول الدين ومدى خطورة العمي الذي سينجم منه كمعرفة مقامات الصديقة فاطمة (عليها السلام).

وقد ورد في روايات الرجعة في ذيل الآية المتقدمة أن من كان ضالاً في الحياة الأولى من الدنيا يبعث في الرجعة أشد ضلالاً.

فعن أبي بصير، عن أحدهما (عليه السلام)، في قول الله عز وجل: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (3) قال: في الرجعة (4).9.

ص: 24

---

1- سورة طور: الآية 16.

2- سورة 52 - آيه 16

3- سورة 17 - آيه 72

4- تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني 3 / 559.







## الضابطة الرابعة: العقيدة رؤية لماض أم منهج لحاضر ومستقبل

\*لفاطمة(عليها السلام) من الولاية في مستقبل الدنيا وهي الرجعة وما يلحقها من رجعات وعوالم لاحقة كعالم القيامة، وعند الحساب تكون(عليها السلام) آمرة وناهية وهو يوم الأهوال وتنصاع اليها جميع الملائكة.

يتوهم كثيرون أنّ العقائد تراث لتاريخ ماضي ورؤية لتاريخ غابر، بيّنما الصحيح أنّ العقيدة هي رؤية لحاضر راهن ولمستقبل واعد، وهي بذلك لها تداعيات خطيرة وأمواج وانعكاسات على الوضع الراهن والوضع المستقبلي وبه يتبين أنّ العقيدة أمر مصيري وليست أمراً اختيارياً أو نديباً.

وهذا ما يستبين أنّ لفاطمة(عليها السلام) من الولاية في مستقبل الدنيا وهي الرجعة وما يلحقها من رجعات وعوالم لاحقة كعالم القيامة، وعند الحساب

تكون (عليها السلام) آمرة وناهية وهو يوم الأهوال وتنصاع اليها جميع الملائكة.

فتبين ثمة ملكها للأمر ومقامها وليس ذلك الا انكشاف لما كانت عليه من ولاية في دار الدنيا وما قبل ذلك من عوالم وإن لم تكن محسوسة ومعروفة لنا، فإن ولايات المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) هي ذات مراتب ورتب متسلسلة يقوم كل منهم بالولاية عمن قبله ممن يفوقه رتبة.

ص: 28

## الضابطة الخامسة: لغة الفضائل ترجمانها الحجية و لغة الذم إسقاط للحجية

\*ثمة موازاة ومحاذاة بين لغة العقل العملي ولغة العقل النظري، أي كُـلُّ لغة من لغات العقل العملي لها ما يوازيها في لغة العقل النظري. للوحي مناهج وطرق لبيان العقائد، وإحدى تلك المناهج ما يعرف بلغة العقل العملي أو لغة الفضائل والمديح وفي قبالتها لغة الذم، فإنَّ الفضائل التي تنسب في لسان الوحي لأهل المقامات العقائدية تعني إسناد الحجية لهم، بينما الذم في لغة العقائد يعني عدم الحجية. فالمواطن القرآنية التي يذم فيها القرآن أفعال بعض زوجات النبي كما في سورة التحريم تمثل إشارة من القرآن مفادها أن زوجات النبي لسن حجة من الله.

بينما تشير المواطن التي مدح القرآن فيها أهل البيت (عليهم السلام) بمدح

إلهي ناموسي - لَيْسَ عَلَيَّ مُقْتَضَى العادة والعرف - إلي إثبات الحجية لهم (عليهم السلام).

فثمة موازاة ومحاذاة بين لغة العقل العملي ولغة العقل النظري، أي كُلُّ لغة من لغات العقل العملي لها ما يوازيها في لغة العقل النظري.

وَقَدْ أَجْمَعَ المسلمون اِكتعون عَلَيَّ أَنْ أَهْلَ الْبَيْتِ (عليهم السلام) المخصوصين قَدْ مَدَحَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَوْصَافٍ خَاصَّةٍ كَمَا فِي سُورَةِ الدَّهْرِ وَسُورَةِ الْحَشْرِ وَسُورِ أُخْرٍ عَدِيدَةٍ، وَبَيَّنَّ فَضَائِلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَكَرَامَتَهُمْ لَدَيْهِ، وَهَذِهِ اللَّغَةُ مِنْ لُغَاتِ الْعَقْلِ الْعَمَلِيِّ لَهَا مَا يُوَازِيهَا فِي لُغَةِ الْعَقْلِ النَّظَرِيِّ، وَهُوَ ثَبُوتُ الْحُجِّيَّةِ وَالْإِصْطِفَاءِ وَوُجُوبِ الطَّاعَةِ لَهُمْ (عليهم السلام).

وبعبارة أُخْرَى:

سَلَكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَسَالِكَ عِدَّةً لِبَيَانِ مَا لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام) مِنْ مَقَامٍ فَمَرَّةً قَالَ تَعَالَى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (1) (2) ، وَمَرَّةً سَلَكَ لُغَةَ أُخْرَى، فَقَالَ مَادِحًا لِلنَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) (3) (4) ، وَقَالَ مَادِحًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عليهم السلام): (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (5) (6) 3.

ص: 30

1- سورة النساء: الآية 59.

2- سورة 4 - آية 59

3- سورة النجم: الآية 8 ، 9.

4- سورة 53 - آية 8

5- سورة الأحزاب: الآية 33.

6- سورة 33 - آية 33

إذ لا معني لهذه الحفاوة وَذَلِكَ التكريم وتلك الوجاهة مِنْ الخالق الأزلي وبموازين إلهية غَيْر بشرية إلا إسناد الحجية والاصطفاء ووجوب الطاعة ووجوب الولاية.

وَمِنْ ثَمَّ فلا فرق بين المسلكين واللغتين القرآنتين إِلَّا أَنَّ الأولي «أطيعوا» لغة للعقل النظري، والثانية «المدح» لغة للعقل العملي.

فلغة الكرامة والفضائل في منظور العقائد هي لغة حجية وليست نظير المدح والمديح الشعري.

ولأجل أَنَّ يَنْبَهُ القرآن الكريم البشر عَلَي مَفَادَات لغاته أَكَّدَ المرة بَعْدَ الآخريْن عَلَي أَنَّهُ لَيْسَ بشعر شاعر، وَإِنَّمَا هُوَ نور كاشف للحقائق الكونية، فإذا ما اعترف البشر بَأَنَّ القرآن الكريم وَالنَّبِيَّ الأكرم (صلي الله عليه و آله) قَدْ مدحا أهل البيت (عليهم السلام) بفضائل خاصة وَلَمْ يشركا أحداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّة فِي فضيلة مِنْ تلك الفضائل بَلْ خصّوا بخصوصهم، فَهَذَا التخصيص بتلك الفضائل تذكير بالحقائق الثابتة والواقعية، وَلَمْ يمدحهم لِيُترنم بتلك المدائح ويداعب بها الخيال.

ولذلك لأبَدَّ أَنْ يُوْخَذَ ما مَرَّ دليلاً وبرهاناً عظيماً عَلَي حجية الزهراء (عليها السلام) لِأَنَّ القرآن الكريم فِي مواطن عديدة ركّز عَلَي خصوص مديح البضعة، بينها ذم زوجات النَّبِيِّ (صلي الله عليه و آله) فِي مواطن وموارد عديدة.

فَمِنْ جانب يُعلي مِنْ شأن فاطمة (عليها السلام) بخصوصها، وَمِنْ جانب

يؤنّب ويعاتب ويذم زوجات النبي (صلي الله عليه وآله)، والمغزي من ذلك تنبيه وتفهم المسلمين علي حجية الزهراء (عليها السلام) من جهة وعلي عدم حجية زوجاته من جهة أخرى.

وهذا هو معني ما قلناه من أن المديح لغة من لغات الحجية والاصطفاء، والذم لغة من لغات إسقاط الحجية والاصطفاء.

وعلي وجه عام ينبغي أن لا نغفل ونحن نتبع منظومة معارف القرآن والوحي عن مفاد لغة المدح ولغة الذم.

ومن هذا القبيل وصف القرآن لموسي وعيسي (عليهما السلام) بالوجه في قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ) (1). (2)

وقوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ) (3). (4)

إذ لا يحتمل المسلم أن المراد من نعت الوجه هو محاباة رحم أو قرابة، إذ ليس بين الله تعالى وبين أحد صلة رحم وقرابة، كما لا يحتمل مسلم أن وزان توصيف القرآن هو وزان التوصيف الشعري، إذ ليس عند الله تعالى عجز عن التوصيف المطابق.9.

ص: 32

1- سورة آل عمران: الآية 45.

2- سورة 3 - آيه 45

3- سورة الأحزاب: الآية 69.

4- سورة 33 - آيه 69



وَمِنْ ثَمَّ فَالْمُرَادِ مِنَ الْمَدِيحِ بِالْوَجَاهَةِ وَالْوَجِيهِ هُوَ الْاصْطِفَاءُ.

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ إِذَا تَبَدَّه لَدِينَا أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بِخُصُوصِهِمْ مَكْرَمِينَ وَمَمْدُوحِينَ فِي مَنْطِقِ الْوَحْيِ (الْخُصُوصِيَّةُ تَعْنِي لَا لِأَجْلِ شَرْطِيَّةِ عَمَلٍ أَوْ صِفَةِ مَفْرُوعٍ عَنْهَا فِيهِمْ بَلْ هُمْ بِشَخْصِهِمْ الشَّخِصِ مَكْرَمُونَ) فَهُمْ حِينَئِذٍ مَصْطَفُونَ ذَاتًا.

وَلَنَا أَنَّ نَقْرَبَ دَلَالَةَ لُغَةِ الْمَدِيحِ عَلَى الْحُجِيَّةِ بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ مَدِيحِ اللَّهِ لِمَرْيَمَ بِالطَّاهِرَةِ، وَقَدْ جَاءَ عَلَيَّ لِسَانِ الْوَحْيِ قَوْلُهُ تَعَالَى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) (1) (2)

وَمِنْ أَعْظَمِ قِصَصِ الْقُرْآنِ مَا حَدَّثَتْ بِهِ الْآيَاتُ مِنْ تَأْرِيخِ مَرْيَمَ؛ لِذَا فَفِي مَرْيَمَ لِلْمُسْلِمِينَ عِبْرَةٌ، وَالْعِبْرَةُ تَعْنِي الْعِبُورَ، أَيَّ خَذُوا مِنْ مَرْيَمَ مَعْبِرًا؛ وَلِذَا جَسَّدَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْآيَةَ فَأَشَارَ لِلْمُسْلِمِينَ بِضُرُورَةِ الْعِبُورِ مِنْ مَرْيَمَ إِلَى مَرْيَمَ الْكُبْرَى، أَيَّ إِذَا مَا وَصَفْتَ مَرْيَمَ بِمَرْيَمَ حَيْثُ أَنَّهَ اسْمُ عِلْمٍ مَأْخُوذٌ بِمَعْنَى الطَّاهِرَةِ وَالبَتُولِ، فَإِذَا كَانَتْ مَرْيَمَ طَاهِرَةً مُتَبَتِّلَةً فَتَمَّةٌ مَنْ هِيَ أَطْهَرُ مِنْ مَرْيَمَ، وَهِيَ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَبِنَصِّ الْقُرْآنِ. 1.

ص: 33

1- سورة يوسف: الآية 111.

2- سورة 12 - آية 111

وما مرَّ يسترعي السؤل فيقال:

سلمنا أن لغة الفضائل والمناقب ذات بُعد تشريعي وعقائدي وقانوني وأن القراءات عديدة في منطق القرآن.

والسؤال: لم اعتمدها القرآن الكريم فعبر عن الحجية بلغة مناقبية بدلاً عن وصفهم بالحجية بلغة مباشرة وواضحة؟

إن أحد أسرار ذلك هو وقاية مقامات أهل البيت (عليهم السلام) عن الطمس والتغيب من قبل أعدائهم وخصومهم، إذ لو بُيئت تلك الحقائق وأبرزت بلغة قانونية صرفة أو بلغة عقائدية واضحة فإنه لا يستبعد أن تمتد يد التحريف وأقلام الطمس لتلك الفضائل والمناقب، إذ لصراحتها يتحسس منها الخصوم والحساد أكثر، بينما لغة الفضائل فيها نوع من الاستتار والخفاء في الإفصاح عن الحجية، وأهل التعقل وحدهم يدركون أن اللغة القانونية واللغة العقائدية هي لب ولباب لغة المديح والفضائل وليست هي السطح الظاهر فيها.

ص: 34

## الضابطة السادسة: لغة القرآن والزيارات

إنَّ الأدعية والزيارات مِنْ أعظم مصادر المعارف، وَمِنْ أحكم محكمات أدلة المعارف.

أشار الشَّيخ المجلسي الأب إلي أنَّ درجات المعرفة المحكية بالنصوص الواردة عَنْ أهل البيت (عليهم السلام) متفاوتة، فالمعارف المودعة في الأدعية والزيارات يختلف مستواها عَنْ سائر رواياتهم.

فما هُوَ السر في ذَلِكَ؟

سره أن المخاطب في الأدعية الشريفة هُوَ الله، وَمِنْ شأن ووزان الخطاب مَعَ الله أَنْ يصعد ويرتقي جزالة في المعني والبلاغة علماً ورمزاً.

والمخاطب في الزيارة هُوَ المعصوم لا-عموم الناس، وَمِنْ شأن، ووزان الخطاب للمعصوم أَنْ يتميز في علو العلوم والمعارف وفي البلاغة وجزالة الكلام عَنْ سائر الروايات.

ص: 35

وما أشار إليه المجلسي من فائدة ينم عن بصيرة وفتنة بلغات الكلام الصادر عن أهل البيت، إذ مفاده أن جلّ إن لم يكن كلّ العقائد المبيّنة في الأدعية والزيارات لا تحتل التقيّة، فإنّ الإمام إذا ما سئل من سائل عن مسألة فقهية أو عقيدية فأنته قد يوارى في الجواب فلا يبين الحقّ بشكل صريح، أو قد يعرض لأجل أنّ المقام يقتضي التقيّة، فيرعي ويحفظ المؤمنين عن شراسة الظالمين بالتعريض في الجواب أو بإخفاء الحقيقة فيه، إلّا أنّ المقام في الدّعاء أو في الزيارات مختلف تماما.

وقد عبّر المجلسي الأوّل بتعبير دقيق فقال: إنّ محفل الدّعاء محفل خاص بين المعصوم والله، كما أنّ المخاطب في الزيارات هو المعصوم، واللغة في الخطابين وإن كانت مشفرة لكتّها مشتملة على حقائق عالية وبطون خفية.

وبذلك يتبين أنّ الأدعية والزيارات من أعظم مصادر المعارف، ومن أحكم محكمات أدلة المعارف.

فلو لاحظنا مثلا دعاء الندبة بشيء من التأمل لأدركنا ما فيه من منظومة معادلات يتلو بعضها بعضاً في علم المعارف والعقائد يعجز عن التفطن لها المفسرون والعرفاء والمتكلمون إلّا بالاستعانة بنصوصهم وكلامهم (عليهم السلام).

ومن سديد القول الاعتقاد بأنّ الزيارة الواحدة لأي من

المعصومين (عليهم السلام) عبارة عن دورة لمنظومة عقائدية.

وقد قال كبار علماء الإمامية جيلاً بعدَ جيل أن مَنْ أراد إدراك وفهم منظومة عقائدية كاملة فعليه بسير زياراتهم، كزيارة عاشوراء وزيارة وارث وزيارة أمين الله.

ومما يؤسف له أن الكثير من المؤمنين المتعلمين علي سبيل نجاة، بل كثير من أهل الفضل والفضيلة في غفلة وسبات عن المصادر الأم التي يُستقي منها منظومة العقائد الإيمانية، إذ ربما يتوهم كثير من أهل الفضل أن بإمكانه أن يقتنص عقائد الدين من كتاب باب الحادي عشر للعلامة الحلبي أو من كتاب التجريد للخواجة وشرح العلامة أو من أي كتاب آخر ألفه فحول العلماء - وهم شكر الله سعيهم وقدس الله أسرارهم - وإن قدموا خدمات جليلة في هذا المجال إلا أنه لا يقايس بما يمكن أن يعترف من الوحي علي قدر السعة والطاقة البشرية.

ولذا فالعكوف والاقتصار علي مصدر أو مصدرين مما ألفه أهل العلم لا ريب أنه يوجب الغفلة والبعد عن حقائق عالية يتقوم بها الإيمان.

والسر في ذلك أن ما كتبه فحول العلماء لم يستوعب بناء تمام المنظومة العقيدية.

ولذا فكل سلسلة كتب العقائد التي ألفها الشيخ الصدوق، بل

كل ما أنتجته بقيّة الأقالام العلمية في طبقة واحدة وفي قرن واحد لا يمكن أن تستوفي مجموع منظومة عقائد الإمامية، بل أن منظومة العقائد الإمامية الكاملة لا تستوفي من جيلين بل مجموعة أجيال من علماء الإمامية منذ عهد الأئمة (عليهم السلام) إلى يومنا هذا.

وحينئذٍ فمن أين تستقي الحقيقة المعرفية الكاملة لمذهب الإمامية؟

إن السبيل إلى ذلك هو بالأخذ بما صدر عن مجموع علماء الإمامية، بل إن سيرة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) مضافاً لعلماء الإمامية، أي مجموع سيرتهم عبر الأجيال المختلفة يمثل جسراً واصلاً بيننا وبين أهل البيت (عليهم السلام).

فإن من عرف أن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هي بحر طمطم يدرّك أن ذلك البحر لا يمكن أن يغرفه عالم أو اثنان أو جيل أو أجيال.

وقد ذكرنا في علم الرجال ثمرة للحقيقة الأنفة، وهي أنه لا يمكن أن يجعل القيم علي تراث أهل البيت (عليهم السلام) شخصية واحدة أسمها النجاشي أو شخصيات متعددة.

ومن يتبع ذلك المنهج الخاطي في علم الرجال فقد سلك منهجاً منكوساً يضيّع عليه كثيراً من حقائق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

والمنهج الصحيح هو أن كل مجموع علماء الإمامية مأمونون علي

تراث مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وَلَيْسَ لأحد بخصوصه أو جماعة بعينها أيّ صفة وصاية في أن تكون هي الجسر الوحيد الواصل بيننا وبين تراث أهل البيت (عليهم السلام).

وَمِنْ المُنْتَهات عَلَيَّ ما نحن فيه قاعدة الإجماع، حَيْثُ يُقال (أجمعت العصابة عَلَيَّ تصحيح ما يصحّ عنهم)، فيتبيّن بها أن لقول الجماعة دور؛ ولذا لا يمكن بحال أن نشطب قاعدة الإجماع في الرجال ليكون البديل الاكتفاء بقول النجاشي مثلاً، وإِنّما المنهج العلمي أن يكون لِكُلِّ مشاركة في إيصالنا لتراث أهل البيت (عليهم السلام).

وقد ذكرنا في الإجماع في علم الأصول أنه لا يمكن الاقتصار فيه عَلَيَّ طبقة أو طبقتين وإلّا لا يكون إجماعاً.

وَعَلَيَّ ضوء ما مرَّ فَلَيْسَ مِنْ الصحيح أن يأتي أحدهم فيقول لَمْ أجد في كتب علم الكلام ذكراً لمقامات فاطمة (عليها السلام) وَإِنّما ذكرت مقامات النَّبِيِّ (صلي الله عليه و آله) والنبوة ومقامات الإمامة والأئمة فحسب..

فإننا نقول: إنَّ مصدر معارفنا هُوَ الكتاب والسنة قبل تأليفات البشر، إذ لا يشك أن كتاب الله أعظم مِنْ كتب البشر وَأَنَّهُ المصدر الأوّل، ونصوص القرآن في مقامات فاطمة (عليها السلام) عديدة وذات مغازي عظيمة هَذَا أَوّلاً، وثانياً لَيْسَ مِنْ المنهج العلمي كَمَا مرَّ بنا لاستلھام منظومة المعارف دراسة كتاب أو كتابين، بَلْ المنهج العلمي يسوقنا

لمراجعة كتب كُلِّ علماء الإمامية وَالتّي منها كتب المحدثين المختصّة بالعقائد وَفِيهَا قَدْ أُثْبِتَتْ مَوْقِعِيَّةُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) بِأَنَّهَا وَلِيَّةُ الْأَمْرِ، وَهُوَ مَقَامٌ يَعَدُّ مِنْ الْعُقَائِدِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام)، إِذْ إِنَّ مَقَامَاتِ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) لَا تَقْتَصِرُ عَلَيَّ مَقَامِي النَّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ.

وَمِنْ الْغَرَائِبِ أَنْ تَسْتَشْهَدَ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ مَقَامَاتِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) بِنُصُوصِ قِرْآنِيَّةٍ فِي فَضْلِهَا فَيَرِدُ مُسْتَشْكِلًا بِخَلْوِ كِتَابِ الْمُتَكَلِّمِ الْفَلَانِيِّ عَنْ ذِكْرِ مَقَامِ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) غَافِلًا عَنْ أَنَّ مَقَامَ الْعُقَائِدِ مَقَامٌ تَحْقِيقٌ لَا مَقَامٌ تَقْلِيدٌ، وَمِنْ الْمَجْمَعِ عَلَيْهِ عَدَمُ جَوَازِ التَّقْلِيدِ فِي الْعُقَائِدِ وَأَنَّ التَّعَلُّمَ وَالتَّحْقِيقَ وَالبَحْثَ وَالتَّنْقِيبَ هُوَ الْمَبْرِيُّ لِلذِّمَّةِ.

وَيُضْرَسُ قَاطِعَ نَقُولِ إِنَّ مَعَارِفَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) لَيْسَتْ حِكْرًا عَلَيَّ مَشْرَبٌ وَاحِدٌ، بَلْ الْمَشَارِبُ بِمَجْمُوعِهَا هِيَ الْمَوْصِلَةُ لِلْمَنْظُومَةِ الْعُقَائِدِيَّةِ الْكَامِلَةِ، وَبِالتَّالِيِ يَجِبُ أَنْ نَسْتَقِيهَا مِنْ كِتَابِ مَجْمُوعِ الْمَشَارِبِ مِنْ مُحَدِّثِينَ وَأَصُولِيِّينَ وَمُفَسِّرِينَ وَمُتَكَلِّمِينَ وَفَلَاسِفَةً وَعُرَفَاءَ.

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ مِنَ الْخَطَأِ أَنْ تُعْرَفَ عَلَيَّ مَقَامَاتُ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَام) أَوْ عَلَيَّ مَصْحَفُهَا مِنْ كِتَابِ وَاحِدٍ، فَلَا الْكَافِي لَوْحَدِهِ حَوِيَّ كُلِّ الْمَنْظُومَةِ الْعُقَدِيَّةِ، بَلْ وَلَا الْكُتُبَ الْأَرْبَعَةَ تَمَثَّلُ كُلُّ تَرَاثِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام).

وَمِنْ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ لَا نَغْفَلَ عَنْهَا هِيَ أَنَّ تَنَاوُلَ الْعُقَائِدِ وَالْمَعَارِفِ لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَيَّ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَإِنَّمَا تَنَاوَلَهَا مَجْمُوعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ



رواد المدارس والتخصصات، فللمفسرين شاكلة ولون ومزاج في تناول بحث المعارف، لأن التفسير مدرسة للعقائد، والمقصود من المدرسة هي الشاكلة والمنهجية.

وللمحدثين منهج ومدرسة ونمط في دراسة العقائد سواء كان مبني ذلك المحدث إخبارياً أو أصولياً أو كلامياً أو فلسفياً، فلكل محدث لون وشاكلة إلا أنها تتلون بلغة حديثة.

وقد جرت مداولة في جملة من الندوات العلمية حول ما لدي مدرسة أهل سنة الخلافة من المعتقدات الضرورية المسلمة بحسب كتب التفسير والحديث عندهم وقد تنكر لها المتكلمون منهم، وفي ذلك دلالة على أن الكثير من حقائق الدين التي أبداهم الوحي الإلهي في القرآن وعلى لسان الرسول (صلي الله عليه وآله) وقد تنبه لها المفسرون والمحدثون، ومن ثم أرسلوها إرسالات المسلمين والضروريات بينما تنكر لها جملة كتّاب المدرسة الكلامية لديهم والمدرسة الفلسفية لديهم، لعدم إطلاع المتكلمين والفلاسفة على ما أفاضه الوحي من معارف وحقائق.

ولذا إذا ما أردنا أن نحيط علماً بمدرسة معينة أو بمذهب معين أو بديانة معينة فلا بد من الإلمام بالمشارب المختلفة عند علمائها ومفكريها.

وبناء على ما قرّناه نفهم أن ما درج عليه لدي علماء مدرسة أهل

البيت(عليهم السلام) مِنْ حصر الأصول الاعتقادية في الأصول الخمسة هُوَ مُجَرَّد تنظيم تبويبي فني محض وَإِلَّا فالأصول الاعتقادية عِنْد القدماء لا تنحصر في عشرة أو عشرين أو ثلاثين فضلاً عَن الخمسة، أَيْ حصرها في الخمسة لمجرد التعليم وَالتربية العقائدية، ولمجرد التبويب الفني مِنْ قبل العلامة الحلبي وغيره وَإِلَّا فالأصول العقائدية كثيرة.

ومما يشهد عَلَي كثرة أصول العقائد في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) كثرة الكتب الَّتِي تناولت العقائد منها كتاب الهداية للصدوق المشتمل عَلَي قسمين، والقسم الأول مِنْهُ مخصص لتناول العقائد بلغة حديثة، بينما القسم الثَّانِي مِنْهُ في الفقه، وَمِنْ الخَطَأ أن يصنَّف كتاب الهداية بأنَّه كتاب متمحض في الفقه.

ومنها كتاب الاعتقادات للشيخ الصَّدُوق وَقَدْ شرحه المفيد، وَقَدْ كَانَ مداراً للتدريس عِنْد علماء الإمامية وَإِلَي يومنا هَذَا.

ومنها كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد، ومنها كتاب حق اليقين للسيد عبدالله شبر وغيرها، بَلْ نفس كتب الملل والنحل مشتملة عَلَي نمط آخر مِنْ العقائد، وممن كتب في الملل والنحل سعد بن عبدالله الأشعري، وكذا النوبختي كتب في فرق الشيعة وذكر كثيراً مِنْ ضروريات الإمامية الَّتِي لا أثر لها في كتاب التجريد ولا شرح التجريد ولا في باب الحادي عشر.

وكذا تتلمس في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي كثيراً من ضروريات معتقدات مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

بَلْ فِيهِ بَيَانٌ لِكَثِيرٍ مِّنْ مَّعَالِمِ الْإِعْتِقَادَاتِ الْإِمَامِيَّةِ لَمْ يَشْتَبِهَا الشَّيْخُ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعُقَائِدِيَّةِ الْآخَرِي كَكِتَابِ الْاِقْتِصَادِ، بَلْ كَثِيرٌ مِّنْ الْمَبَانِي الْعُقَائِدِيَّةِ الْأَصِيلَةِ الْعَمِيقَةِ ذَكَرَهَا الشَّيْخُ الطُّوسِي فِي تَفْسِيرِ التَّبْيَانِ وَلَمْ يَذْكُرْهَا فِي كِتَابِ الْآخَرِي.

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْإِمَامُ الْعِلْمِي بِالْعُقَائِدِ هُوَ مَدَارِسَةُ مُخْتَلَفِ كِتَابِ الْمَعَارِفِ وَالْعُقَائِدِ بِمَدَارِسِهَا وَمَشَارِبِهَا الْكَثِيرَةِ بَعْدَ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَصْدَرِينَ الْأَصْلِيِّينَ وَهُمَا الْكِتَابُ وَالسَّنَّةُ الْمَطْهُرَةُ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام).

وَمِنْ بَابِ التَّقْرِيبِ لِمَنْ لَزِمَتْهُ لِمَنْ أَخَذَ الْعُقَائِدَ مِنْ مُخْتَلَفِ الْمَصَادِرِ نَمِثَلُ بِمَقَامِ الْمَحْدَثِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَقَامَاتِ الْمُسَلِّمَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَّهُ يَتَلَوُ مَقَامَ النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، فَقَدْ أُثْبِتَ هَذَا الْمَقَامَ كِمَنْ لَزِمَتْهُ مَحْدَثِي السَّنَّةِ، وَحَتَّى الْبَخَارِيُّ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ حَصْرُ الْمَقَامَاتِ الْعُقَائِدِيَّةِ فِي الرَّسُولِ وَفِي النَّبِيِّ، بَلْ وَرَاءَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ مَقَامُ الْمَحْدَثِ الْمَعْصُومِ.

بَلْ أُثْبِتَ هَذَا الْمَقَامَ فِي الصَّحَاحِ السَّنَّةِ، وَكَذَا أُثْبِتَهُ ابْنُ حَبْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي شَرْحِ الْبَارِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ مَحْدَثِي وَمُفَسِّرِي السَّنَّةِ فِي حِينِ

أن المتكلمين من أهل السنة في كتبهم يجحدون ذلك المقام، غير أن إنكارهم لا ينفي الحقيقة ولا يعتم عليهما، إذ لا يمكن أن نصادر مسار أهل السنة ونختصره في كتب المتكلمين والحال أن المتكلمين عندهم قد غفلوا وقصّروا واعتمدوا على كثير من المباحث بخلاف المفسرين والمحدثين عندهم.

والباحث في كتب الكلام لدينا ولدي العامة يتلمس عدم الرحابة والسعة فيها، في مقابل رحابة وسعة كتب الحديث والتفسير.

وسر ذلك أن هم المتكلم عادة هو الجدل الكلامي، والجدل يقوقه ويحبسه في أفق الطرف الآخر بدلاً من أن يخلق في سماء الحقيقة بسعتها الرحبة، أي أن آفة الخصومة في الدين أنها تصرفك عن سعة الحقيقة إلى أفق ضيق يجادل فيه الطرف الآخر؛ ولذا مع حسن المداراة إلا أن أحد آفاتها أنها تلون الطرف الأول بالطرف الآخر من حيث لا يشعر.

ومن ثم نجزم أن المتكلمين - شكر الله مساعيهم - أخفقوا إخفاقاً كبيراً حينما لم يفرزوا بحثاً مستقلاً لمقامات فاطمة (عليها السلام) الاعتقادية في علم الكلام وإن كان جملة منهم ذكروا بعض مقاماتها من باب الاستطراد.

وقد أخفقوا في ذلك أيضاً إذ كيف يكون البحث في الركن الركين بحثاً استطرادياً، وهذا ما أوجب الغفلة والوهم لدى بعض

الفضلاء أو ربما بعض الأجلة، فقالوا أن الاعتقاد بمقامات فاطمة (عليها السلام) وعصمتها حسب كلمات المتكلمين ليس من الأصول الاعتقادية - نعوذ بالله من ذلك -.

ونعود للتأكيد على أن المتكلمين قصروا في تدوين وبلورة مقاماتها (عليها السلام) وإن كانوا ارتكازاً ليسوا بنافين لها ولا منكرين ولا جاحدين.

وعدم عقدهم فصلاً مستقلاً في مقاماتها يمثل مأخذة حضارية دينية عليهم إذ لم يراعوا نفس القولية الموجودة في منظومة الكتاب ومنظومة الحديث مما أوجب الشوش عند عامة المؤمنين في مقاماتها وموقعيتها رغم أن موقعيتها ليست محل جدل في الإيمان بحسب ما يرسمه القرآن الكريم وهو العمدة في البيانات والأدلة الوحيانية الضرورية، وهو أكبر بيان وبرهان ونور وهداية لتبيان تلك الحقائق.

كما أن موقعيتها وحجيتها ليست محل إبهام بحسب ما ترسمه بيانات أهل البيت (عليهم السلام) الكثيرة والمُسْتَقْبِصَة وَالَّتِي مِنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ (صلي الله عليه وآله) لَقِنَ حَمْزَةَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ لَيْلَةَ اسْتِشْهَادِهِ الشَّهَادَةَ الْأُولَى وَالشَّهَادَةَ الثَّانِيَةَ وَالشَّهَادَةَ بِإِمَامَةِ الْأُمَّةِ، وَالشَّهَادَةَ بِمَقَامِ فَاطِمَةَ (عليها السلام) وَأَنَّهُ سَيُسْأَلُ عَنْهُ فِي الْقَبْرِ.

فقد ورد عن موسى بن جعفر عن أبيه (عليهما السلام) قال:

«ولما كانت الليلة التي أصيب حمزة في يومها دعا به رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقال: يا حمزة يا

عم رسول الله، يوشك أن تغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو وردت علي الله تبارك وتعالى، وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟ فبكي حمزة وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهمني، فقال: يا حمزة تشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، وأني رسول الله تعالى بالحق قال حمزة: شهدت، قال: وأن الجنة حق، وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الصراط حق، والميزان حق، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفريق في الجنة، وفريق في السعير، وأن عليا أمير المؤمنين، قال حمزة: شهدت وأقررت وآمنت وصدقت وقال: الأئمة من ذريته الحسن والحسين، وفي ذريته قال حمزة: آمنت وصدقت، وقال: فاطمة سيده نساء العالمين قال: نعم صدقت، وقال: حمزة سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه، فبكي حتي سقط علي وجهه وجعل يقبل عيني رسول الله(صلي الله عليه وآله)، وقال: جعفر ابن أخيك طيار في الجنة مع الملائكة، وأن محمد وآله خير البرية تؤمن يا حمزة بسرهم وعلاانيتهم وظاهرهم وباطنهم، وتحيي علي ذلك وتموت، توالي من والا هم، وتعادي من عاداهم قال: نعم يا رسول الله، أشهد الله وأشهدك وكفي بالله شهيدا، فقال رسول الله(صلي الله عليه وآله): سددك الله ووفقك»(1).0.

ص: 46

## الضابطة السابعة: الاعتقاد بالنبوة أعظم من الاعتقاد بالجنة والنار

\* إنَّ لِكُلِّ معنًى عقائدي وراء كونه حقاً موقعية حقائقية وجودية.

\* وإذا ما قلنا أنَّ أصل النبوة أعظم الأصول بَعْدَ أصل التوحيد فَلَيْسَ المقصود نبوة بدن النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) أو بعثته للرسالة في الأرض، بل المقصود بعثة النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) حتَّى في العوالم الأخرى.

\* والإيمان بالنبوة بهذه الحدود بلا أدنى شك أعظم من الاعتقاد بالجنة والنَّار.

يغفل كثير من المتكلمين عن حقيقة أنَّ الاعتقاد بالجنة والنَّار لَيْسَ بأعظم من الاعتقاد بالنبوة، وَلَيْسَ بأعظم من الاعتقاد بالإمامة.

وقد يتوهم البعض من مصطلح النبوة هو بدن النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) إلا أنَّ

حقيقة النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) ليست ببدنه، وحينما نقول أن أعظم الخلائق خلقة بحسب بيانات القرآن والعترة هُوَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ (صلي الله عليه وآله)، فَلَيْسَ المقصود ببدنه الأرضي وإنْ كَانَ بَدَنُهُ مقدساً وعظيماً وَإِنَّمَا مرادنا مِنْ عظمة النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) هُوَ عظمة نوره الأَطهر، وحينئذٍ فإين الْجَنَّةُ وَالنَّارُ مِنْ نور سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عظمة و قدسية؟!!

وَمِنْ الْأَعاجيب ما يؤمن به البعض مِنْ أَنَّ الشهادة بَأَنَّ الْجَنَّةَ حقَّ وَالنَّارَ حقَّ ذكر لله وَأَمَّا الشهادة لعلِّي (عليه السلام) بالولاية فليست بذكر لله تَعَالَى رغم أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مِنْ فروع الولاية لعلِّي (عليه السلام).

بمعني أَنَّ التولي له باب للجنة وعدم توليه باب النَّار.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ نور النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) ونور الوصي (عليه السلام) قبل عالم السَّماءِ وعالم الأَجسام، وبهذه الحقيقة تترتب منظومة العقائد والمعارف، فَعَلَى صعيد الاعتقاد بالأنبياء (عليهم السلام) لا يمكن أن يقارن أحد منهم بسيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) كَمَا فِي قوله تَعَالَى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (1). (2)

كَمَا أَنَّ كون الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حق لا يعني تقدمهما عَلَى نبوة النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) وولاية الوصي (عليه السلام).

وَمِنْ الْأهمية بمكان بَعْدَ معرفة الحقائق الاعتقادية مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ حقَّ وَالنَّارَ حقَّ والصراط حقَّ والميزان حقَّ والحساب حقَّ والحشر 3.

ص: 48

1- سورة البقرة: الآية 253.

2- سورة 2 - آيه 253



حق أن نتعرف على طبقات تلك الحقائق، إذ أن القرآن وبوضوح شديد قد أشار إلى أن معرفة الحقائق تمثل نصف المعرفة، بينما تمثل طبقات المعرفة النصف الآخر، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: (لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (1). (2)

فهذا نصف ومنتصف الطريق ولا بد أن ينظم إليه قوله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (3) لتكون منظومة المعرفة بمقام النبوة كاملة متكاملة.

والمقصود بطبقات المعرفة هو معرفة الموقعية الوجودية للأمر الاعتقادي، إذ أن لكل معنى عقائدي وراء كونه حقاً موقعية حقائقية وجودية، وإذا ما قلنا أن أصل النبوة أعظم الأصول بعد أصل التوحيد فليس المقصود نبوة بدن النبي (صلي الله عليه وآله) أو بعثته للرسالة في الأرض، بل المقصود بعثة النبي (صلي الله عليه وآله) حتى في العوالم الأخرى.

والإيمان بالنبوة بهذه الحدود بلا أدنى شك أعظم من الاعتقاد بالجنة والنار.

وربما من المسلمات أن من آمن بالإسلام ولم يستطع أن يتعلم معارف الجنة والنار فلا يضر ذلك بنجاته أخروياً لكنه إذا لم يتعلم ويتفقه في معارف أصل النبوة فلا سبيل له للنجاة أخروياً. 5.

ص: 49

1- سورة البقرة: الآية 285.

2- سورة 2 - آيه 285

3- سورة 2 - آيه 253

1) ومما يشهد عليّ كون النبوة والإمامة أعظم طبقة من معارف الحساب وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَنَّ الْأَخِيرَةَ بِتَمَامِهَا نَتَائِجُ وَفُرُوعُ وَثَمَارُ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ وَأُولَاهَا التَّوْحِيدُ، وكيف تكون الفروع أعظم من الأصول؟!!

2) وَمِنْ الشُّوَاهِدِ الْأُخْرَى تَقَدَّمَ خَلْقَةُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَالْوَصِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَام) النُّورِيَّةِ، بَلْ دَلَّتِ الرِّوَايَاتُ الْكَثِيرَةُ أَنَّ الْجَنَّةَ خَلَقَتْ مِنْ نُورِهِمْ كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الْقَائِلَةِ أَنَّ الْجَنَّةَ خَلَقَتْ مِنْ نُورِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَام)، فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي رِوَايَةٍ طَوِيلَةٍ:

«وَفَتَّقَ نُورَ الْحُسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الْجَنَانَ وَالْحُورَ الْعَيْنِ وَالْحُسَيْنِ وَاللَّهُ أَجَلُ مِنَ الْجَنَانَ وَالْحُورَ الْعَيْنِ» (1).

وَأَيُّ مَعْنَى لِاسْتِلَالِ خَلْقِ الْجَنَّةِ مِنْ أَنْوَارِ الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) غَيْرَ تَقَدُّمِهِمْ فِي الطَّبَقَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ الْمَحْكَمَةِ وَهُوَ مَدْلُولُ ذَيْلِ الْمَقْطَعِ السَّابِقِ.

وَالْقَوْلُ بِطَبَقَاتِ الْعَقَائِدِ لَيْسَ مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ التَّرْفِيَّةِ أَوْ مِنَ الْمَعَارِفِ الْهَامِشِيَّةِ، إِذْ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لَمَا قَالَ تَعَالَى فِي قُرْآنِهِ: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) (2) (3)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) (4). (5)

فالضلال والعمي عن موقع الإمامة وإن كان ممن اهتدي في 2.

ص: 50

1- الفضائل، بن شاذان/ 129.

2- سورة الإسراء: الآية 71 .

3- سورة 17 - آية 71

4- سورة الإسراء: الآية 72.

5- سورة 17 - آية 72

الدُّنْيَا لمعرفة شؤون المعاد مؤلّد للعمي في الآخرة، بل وأضلّ سبيلاً.

وَلَقَدْ ضَلَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفِرَقِ الْبَاطِنِيَّةِ وَعُلَمَاءِ الصُّوفِيَّةِ حِينَ خَلَطُوا مَعَارِفَهُمُ الْحَقَّةَ الصَّحِيحَةَ بِتَفْسِيرَاتٍ خَاطِئَةٍ، أَيَّ اعْتَقَدُوا بِالْعُنْوَانِ الصَّحِيحِ وَلَكِنَّهُمْ ضَمَّنُوهُ مَعْنَى بَاطِلًا، فَقَالُوا أَنَّ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلِسَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَلِسَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَقَرَّرَ وَوُجِدَ فِي عَوَالِمٍ مَخْلُوقَةٍ سَابِقَةً عَلَيَّ عَالَمِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّنَاسُخِ فِي حِينٍ أَنَّ الْمَوْقِعِيَّةَ الْوُجُودِيَّةَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْعَوَالِمِ لَا صِلَةَ لَهُ بِالتَّنَاسُخِ الْبَاطِلِ، إِذْ أَنَّهُ سَنَخَ وَجُودَ نُورِي لَا بِجِسْمٍ وَمَادَةٍ.

وَهَذِهِ مِنَ الْبَحْثِ الَّتِي لَمْ يَسْتَطِعِ الْفَلَسَفَةُ أَنْ يَتَعَرَّفُوا عَلَيْهَا، بَلْ لَمْ يَخُوضُوا فِيهَا لِافتقار المعرفة بها إلي بيانات الوحي في حين تكثرت الروايات الكاشفة عن وجودات مجردة في عالم الأظلة وعالم الأنوار وأوضحت أن الأنوار على طبقات.

وَمِنْ هُنَا انْفَتَحَ الْبَابُ لِلْجَزْمِ بِأَنَّ وَجُودَ الْخَمْسَةِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ غَيْرَ مَحْصُورٍ فِي الْأَجْسَامِ الْخَاصَّةِ بِهَذِهِ النِّشْأَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، بَلْ لَهُمْ تَوَاجُدٌ وَوُجُودٌ فِي نِشْآتٍ أُخْرَى مَهِيْمَةٌ عَلَيَّ نِشْأَةُ الْأَرْضِ وَعَالَمِ الدُّنْيَا، وَلَهُمْ شُؤُونَ وَصَلَاحِيَاتٌ فِيمَا سَبَقَ مِنَ الْعَوَالِمِ كَمَا أَنََّّهُمْ لَهُمْ شُؤُونَ وَأَدْوَارٌ فِي الْقَادِمِ مِنَ الْعَوَالِمِ.

وَمِنْ الشُّوَاهِدِ عَلَيَّ تَقَدَّمَ مَعْرِفَتَهُمْ فِي طَبَقَاتِ الْمَعَارِفِ هُوَ أَنَّ أَعْظَمَ حَدَثٍ اسْتَعْرَضَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ بَعْدَ أَصْلِ التَّوْحِيدِ هُوَ حَدَثُ

استخلاف خليفة الله في الأرض في قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (1). (2)

حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَدِيثَ يُمَثِّلُ مَطْلِعَ عَالَمِ الْخَلْقَةِ وَمَطْلِعَ عَالَمِ الدُّنْيَا، وَيَبَيِّنُ الْقُرْآنَ مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ اِرْتِبَاطَ تِلْكَ الْخِلَافَةِ بِتِلْكَ الْأَنْوَارِ.

وَقَدْ يَشْكَلُ مَنْ لَا أُنْسَ لَهُ بِالنُّصُوصِ قِرْآنًا وَرِوَايَةً وَيَقُولُ مَنْ أَيْنَ جِئْتُمْ بِلَفْظِ عَالَمِ الْأَنْوَارِ؟

وَهُوَ سَوَالٌ سَيِّالٌ يُوَاجِهُ بِهِ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ، فَفَضْلًا عَنِ اتِّهَامِ مَعَارِفِهِمْ بِالْبَطْلَانِ تَتَّهَمُ أَلْفَاظٌ وَعَنَاوِينُ مَعَارِفِهِمْ بِالْغَرَابَةِ وَالشَّدُوذِ عَنِ تَعْبِيرَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَالْحَقُّ أَنَّهُ مَا مِنْ لَفْظٍ أَوْ عَنَاوَانٍ رَاجِعٍ فِي عِلْمِ الْمَعَارِفِ إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي رِوَايَاتٍ أَوْ زِيَارَاتِ الْمَعْصُومِينَ، بَلْ الْكَثِيرُ مِنْ مِصْطَلِحَاتِهِمْ مُسْتَلَّةٌ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَمِنْهُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ التَّعْبِيرِ عَنِ تَقَرُّرِ وَجُودَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي نَشْأَةِ الْمَجْرَدَاتِ بِعَالَمِ الْأَنْوَارِ، فَقَدْ صَدَحَ الْقُرْآنُ بِتِلْكَ اللَّفْظَةِ فِي سُورَةِ النُّورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ نَارٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلِيِّ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ (3) 0.

ص: 52

1- سورة البقرة: الآية 30.

2- سورة 2 - آية 30

3- سورة 24 - آية 35

فَيَبِّينُ تَقَرُّرَ وَجُودِ أَنْوَارِ خَمْسَةِ، وَمِنْ بَعْدِهَا أَنْوَارِ أُخْرَى مُتَعاقِبَةٌ «نور علي نور» أَي نور يشق من نور، ونور يعمل علي أثر نور.

وللباحث القرآني أن يتأمل في كون تلك الأنوار خمسة، فهل الله واحد أو خمسة، ومن ثم يتبين أنها أنوار مخلوقة له تعالي مناسبة في وجودها لتجردها في تلك النشأة.

وبناء عليه فما يذكر للنبي (صلي الله عليه وآله) من أوصاف كوصف النبوة والرسالة والعبودية ليست ثابتة له في النشأة الأرضية فحسب، فوصف النبي (صلي الله عليه وآله) بأنه عبد ورَسُولٌ لله يستوعب عوالم فوق نشأة الأرض، فهو عبد لله في الجنة وفي عالم الذر وسائر العوالم، وهو رَسُولٌ وواسطة بين الله وخلقه في كل النشآت والعوالم الوجودية، وإذا كان مولد وجوده البدني في عام الفيل فلنيس لوجوده النوري وقت زمني أرضي.

وَمِنْهُ يَتَبَيَّنُ مَا يَرِسمه الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِفَاطِمَةَ (عليها السلام) مِنْ مَوْقِعِيَّةٍ عَظِيمَةٍ تَتَخَطِي الْمَوْقِعَ الْأَرْضِي إِلَى الْمَوْقِعِ الْوُجُودِي النُّورِي.

والشاهد علي ما للزهراء (عليها السلام) من مواقع وجودية عليا ما بيئته أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من الملفات المودعة في مصحف فاطمة (عليها السلام)، ومن تلك الملفات ملف الحكومات في الأرض، أي الإحاطة بكُلِّ مِنْ 5.

ص: 53

1- سورة النور: الآية 35.

2- سورة 24 - آيه 35

سيحكم ويملك في الأرض إلي قيام الساعة.

وَقَدْ عَرَفُوا مَصْحَفَهَا بكونه صحفاً وحيانية، وليس وحي نبوة، وَلَهُ نَظِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ (1). (2)

ومعني الآية تمثل جبرائيل لمريم، ولما كانت فاطمة(عليها السلام) أعظم شأنًا ومقاماً من مريم فلا غرابة في ثبوت هذا السنخ من الوحي لفاطمة(عليها السلام).

والسؤال كيف لمصحف فاطمة(عليها السلام) أن يحيط علماً بالماضي والحاضر والمستقبل؟

السّر في ذلك هو كونه موحى ببركات الاتصال بباطن سيّد الأنبياء(صلي الله عليه وآله)، أي أن نور سيّد الأنبياء هو الوسيط في فيض ذلك الوحي، فهو تنزل من باطن النبيّ عَلَيْهَا، لأنّ ارتباط أهل البيت(عليهم السلام) بالنبي(صلي الله عليه وآله) ليس من سنخ الارتباط الحسيّ فحسب، فإنّ أقوى رابطة بينهم وبينه هي الرابطة النورية بنصّ دلالات آيات وروايات كثيرة.

وبنصّ الحديث القدسي المتواتر لدي الفريقين في ذيل سورة براءة حيث قال تَعَالَى

«لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»(3).

إذ من حق الباحث أن يتساءل تحت قوله تَعَالَى:

«لا يبلغ عنك إلا 98

ص: 54

---

1- سورة آل عمران / 42

2- سورة 3 - آيه 42

3- معاني الأخبار ، الشيخ الصدوق 298

أنت، فهل للنبي (صلي الله عليه وآله) شخصيتان؟

وهل يُعقل أن يبلغ الشخص عن نفسه الشخص؟

الجواب: إن لوجود النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) طبقتين من الوجود طبقة نورية يُبلِّغ عنها ويُستمد منها، وطبقة بدنية مستمدة ومبلِّغة، أي أن جوارح بدنه الشريف تُبلِّغ عن مرتبة نوره الأقدس.

ومنه يُعرف نوع نيابة علي (عليه السلام) عن النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) إذ من الخطأ أن يُحصَر تبليغ علي (عليه السلام) للنبي (صلي الله عليه وآله) فيما يتلقاه من بدن النَّبِيِّ كَمَا هُوَ شأن سائر الصحابة، بل ثمة تلقي من النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) يختص به علي (عليه السلام) وهو تلقيه من طبقة نور النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) كَمَا يتلقي بدن النبي من طبقة نوره.

ومنه يعرف وجه عظمة الحديث القدسي المتواتر لدي الفريقين، وبه يثبت أن علياً (عليه السلام) يستمد من مقام نور وقلب وروح النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله)، وسنخ تلك الرابطة والاستمداد ثابتة لفاطمة (عليها السلام) حيث تتلقي من باطن النبوة ومن نور النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله).

ولذا ورد في رواياتنا أن مصحف فاطمة (عليها السلام) إملء من رسول الله (صلي الله عليه وآله).

فكيف يكون ذلك وقد ارتحل من عالم الدنيا؟

والجواب: إن لها نحو ارتباط بأبيها نوراً وروحاً.





## الضابطة الثامنة: أنحاء ارتباط الحجج بالبشر

\*لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي الْحُجْجِ أَنْ يَكُونَ لَهَا ارْتِبَاطٌ مُبَاشِرٌ بِالْبَشَرِ.

\*بَلْ يَسْتَعَاذُ عَنْ ذَلِكَ بِحُجْجٍ مَعْصُومِينَ آخَرِينَ.

\*وَكثِيرًا مَا يَكُونُ الْحُجَّةُ الْإِلَهِيَّةُ لَعَلَّوْا مَقَامَهُ غَيْرَ مُرْتَبِطٍ بِالْبَشَرِ بِالْمُبَاشَرَةِ لَكِنَّهُ يَرْتَبِطُ بِهِمْ بِحُجْجٍ آخَرِينَ يَتَلَوْنَهُ فِي الْحُجْجَةِ.

لَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي الْحُجْجِ أَنْ يَكُونَ ثَمَّةُ تَمَاسٍ مُبَاشِرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَشَرِ، وَلَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَدَاءُ الْمَسْئُولِيَّةِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ بِالْمُبَاشَرَةِ.

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ بَعْضَ الْحُجْجِ مِمَّنْ لَهُمْ مَقَامَاتٌ عَظِيمَةٌ وَأُوَكِّلَ إِلَيْهِمْ إِدَارَةٌ وَمَسْئُولِيَّةٌ فِي ضَمَنِ الْحُجْجِ اقْتَصَرَ دَوْرُهُمْ عَلَى الْإِشْرَافِ فِي ضَمَنِ دَائِرَةِ الْحُجْجِ.

ص: 57

ويمكن أن نمثل لذلك بأمثلة كثيرة، منها نحو ارتباط سَيِّدِ الأنبياء (صلي الله عليه وآله) بالأمم السابقة كقوم نوح وإبراهيم وموسى (عليهم السلام) فلا تكاد تجد أحداً من أهل العلم ينفي ارتباط النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) بالأمم السابقة عَلَيْهِ، كما لا يقول أحد بتأثيره بالباشرة فيمن سبقه من الأمم.

فكيف نجتمع بين تبليغه وتأثيره فيهم مع عدم حضوره الجسدي معهم؟

وَلَقَدْ أَثْبَتَ الْقُرْآنُ بِلَاغِ النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) وتأثيره فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكَمْ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) (2). (1).

ففيها يخاطب الله أنبياءه بقوله: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ) (3) بمعنى أنكم تابعون له، فتكون الآية مبيّنة لشأن عظيم في سَيِّدِ الأنبياء (صلي الله عليه وآله) وهو أن جميع الرسل السابقين كانوا رسلاً له علي الأمم السابقة.

وَمِنْ ثَمَّ يَثْبُتُ حُجَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله) عَلَيَّ تِلْكَ الْأُمَمِ بِوَسْطَةِ رَسْلِ تِلْكَ الْأُمَمِ وَلَيْسَ بِالْمَبَاشَرَةِ.

ومما تقدّم ينحل إشكال مفاده: كيف تؤثر فاطمة (عليها السلام) في الأمة 1.

ص: 58

1- سورة آل عمران: الآية 81.

2- سورة 3 - آيه 81

3- سورة 3 - آيه 81

وَلَيْسَ لَهَا حَالَةٌ اتِّصَالٍ مَبَاشِرٍ بِهَا؟

وجوابه: إِنَّ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَكَمَا سَيَتَبَيَّنُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ الشَّوَاهِدِ وَلايَةِ الأَمْرِ وَهِيَ مَفْتَرِضَةُ الطَّاعَةِ عَلَيَّ أُمَّةَ أَهْلِ البَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بَدءً مِنَ الحَسَنِ وَمَروراً بِالْحَسَنِ وَانْتِهَاءً بِالتَّسْعَةِ مِنْ وَلَدِهِ فَضلاً عَن سائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَعَبْرَ تَأْثِيرِهَا وَدَوْرِهَا فِي ضَمَنِ دَائِرَةِ الحَجَّجِ تَوْثُرٍ وَتَرْبِطٍ بِالبَشَرِ، فَلَيْسَ مِنَ الضَّرُورِيِّ فِي الحَجَّجِ أَنْ يَكُونَ لَهَا ارْتِبَاطٌ مَبَاشِرٌ بِالبَشَرِ، بَلْ يَسْتَعَاضُ عَن ذَلِكَ بِحَجَّجِ مَعْصُومِينَ آخَرِينَ، وَكثيَراً ما يَكُونُ الحِجَّةُ لَعَلُّو مَقَامِهِ غَيْرَ مَرْبِطٍ بِالبَشَرِ بِالمَبَاشِرَةِ لَكِنَّهُ يَرْبِطُ بِهِمْ بِحَجَّجِ آخَرِينَ يَتَلَوْنَهُ فِي الحِجَّةِ.

ص: 59



## الضابطة التاسعة: المقامات المشتركة بين الخمسة لا تنافي التراتبية

\*ينبغي التنبيه إليه هُوَ أن استعراض المقامات المشتركة والصلاحيات المتحدة بين الخمسة أصحاب الكساء لَيْسَ المقصود مِنْهُ إلغاء التراتبية في المقام بينهم.

\*بَلْ بيان أنهم قَرَنُوا في مرتبة مِنْ المراتب وإنْ كانت هِيَ المرتبة الأولى مَعَ التحفظ عَلَي التراتبية بينهم.

\*وَلَا بُدَّ مِنْ التنبّه إلي أَنَّ ذَلِكَ الاقتران والمشاركة ليست عَلَي نحو التشريف والمجاملة والفضيلة العامة، بَلْ عَلَي نحو الحقيقة.

معلوم أَنَّ كتاب الله لَيْسَ فيه خطأ ولا خلل، بَلْ كُلُّ كلام فيه موزون بميزان إلهي دقيق كَمَا أَنَّ كُلَّ آياته حقائق، بَلْ مِنْ أدق وأعمق الحقائق الوحيانية بحيث يهيمن عَلَي ما بَيَّنَّ مِنْ درجات الوحي في

وَقَدْ وَقَعَ مِنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي الْعِلْمِ بِالْمَعَارِفِ فِي الْإِشْكَالِ عِنْدَ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ مَعَارِفِ الْوَحْيِ الْقُرْآنِيِّ وَبَيْنَ مَعَارِفِ التَّوْرَةِ.

فَقَالَ مَا مَفَادُهُ: إِنَّ الْفَرْقَ الْمَلْحُوظَ بَيْنَهُمَا هُوَ أَنَّ الْأَحْدَاثَ وَالْبَيَانَاتِ الْمَوْدَعَةَ فِي التَّوْرَةِ جَاءَتْ فِي نَسْقٍ مُرْتَّبٍ وَنِظَامٍ مُتَسَلِّسٍ كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي التَّأَلِيفَاتِ وَالْكِتَابَاتِ.

بَيْنَمَا تَمَيَّزَ الْقُرْآنُ بِعَدَمِ التَّسْلِسِ وَالتَّرَابُطِ فِي الْأَحْدَاثِ وَالْقَضَايَا وَالْمَعَارِفِ، وَنَصَ كَلَامِ الْمُسْتَشْكَلِ هُوَ «السُّورُ الْقُرْآنِيَّةُ لَا تَخْضَعُ لِوَحْدَةِ مَوْضُوعٍ كَمَا يَدْخُلُ بَسْتَانًا يَنْتَقِلُ بَيْنَ أَزْهَارِهِ، وَالتَّوْرَةُ خَاضِعَةٌ لِشُرُوطِ التَّأَلِيفِ الْمُتَعَارِفِ فِي وَحْدَةِ الْمَوْضُوعِ وَتَسْلِسُ الْأَحْدَاثَ».

وَيُمْكِنُ الْإِجَابَةُ عَلَيْهِ بَعْدَ مَلَاْحِظَةِ أَنَّ تَرْتِيبَ السُّورِ وَالآيَاتِ مُتَلَقِيٌّ مِنَ الْمُعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَلَيْسَ بِاقْتِرَاحِ أَحَدٍ، بَأَنَّ يُقَالَ أَنَّ مَا تَوَهَّمَهُ الْقَائِلُ مِيزَةً لِلتَّوْرَةِ عَلَى الْقُرْآنِ لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّرَاتِيبِيَّةَ الْوَاضِحَةَ عَادَةً مَا يَلَاْحِظُ فِيهَا مُتَوَسِّطِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ بَغِيَّةَ إِقَامِهِمُ الْحَقَائِقَ الْمُبَسَّطَةَ، بَيْنَمَا مَا يَلُوحُ مِنْ عَدَمِ تَرَابُطِ مَوْضُوعَاتِ وَأَحْدَاثِ الْقُرْآنِ هُوَ وَوَلِيدُ النَّظَرَةِ السُّطْحِيَّةِ وَهِيَ غَيْرُ مُؤَهَّلَةٍ لِفَهْمِ التَّرَابُطِ وَالْمَنْظُومِيَّةِ بَيْنَ الْحَقَائِقِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا الْوَحْيُ الْقُرْآنِيُّ.

وبعبارة أُخْرَى:

إنَّ الملحوظ والمراعي في تسلسل موضوعات القرآن وأحداثه هو المعادلات والحقائق الاعتقادية المُهمَّة، إذ لَيْسَ الغرض مِنْهُ أَنْ يفهم المتلقين تلك المعارف بنموذج القصص المسلّية، وإنَّما ما أُلقي في القرآن شبيه بالمعادلات النهائية في المحاكم القانونية، إذ لا تطرح النتائج والمعادلات بحسب تسلسل أحداث القضايا وإنَّما يُفصح عَنْ المعادلة النهائية بَعْدَ الموازنة بين الأحداث.

ثمَّ أَنَّهُ مِنْ أَهمِّ دلالات الإشكال السابق هُوَ جهل قائله بأصل مفروغ مِنْهُ في علم المعارف وَهُوَ أَنَّ بيانات الوحي قَدْ تنزَّلت عَلَيَّ قدر سعة الإِفْهَام لدي أجيال البشرية، وحين بلغت البشرية مبالغ الرشد العقلي تنزَّلت عَلَيَّهَا آخر أطروحة إلهية.

ثمَّ إنَّ المعادلات القرآنية المودعة في الآيات لَمْ تنزل وفق درجة واحدة، وإنما عَلَيَّ درجات، فمنها:

(1) محكمات.

(2) ومتوسطات المحكمات.

(3) وأحكم المحكمات.

والأخيرة هِيَ الَّتِي تتكفل ببيان أحكم محكمات العقائد كالتوحيد والنبوة، وفي أحكم المحكمات قرن الله تَعَالَى بسيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) أصحاب الكساء وَلَمْ يقرن به أحداً مِنْ الأنبياء، بَلْ تشير بيانات

ص: 63

الإمام الصّادق (عليه السلام) إلي أنّ ذلك الاقتران بين الخمسة أصحاب الكساء في مرتبة من مراتبه لم يقرن بهم بقيّة الأئمة التسعة من أهل البيت، وإنّما قرنوا بهم في رتبة لاحقة.

وبعبارة أُخري:

وَرَدَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ بَيِّنَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) أَنَّ مَقَامَاتِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ذَاتَ مَرَاتِبٍ، وَفِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى مِنْهَا قَرَنَ اللَّهُ بِهِ بَقِيَّةَ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ، وَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْهَا قَرَنَ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) التَّسْعَةَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وَلَا بُدَّ مِنَ التَّنَبُّهِ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الْاِقْتِرَانُ وَالْمُشَارَكَةُ لَيْسَتْ عَلَيَّ نَحْوَ التَّشْرِيفِ وَالْمَجَامَلَةِ وَالْفَضِيلَةِ الْعَامَّةِ، بَلْ عَلَيَّ نَحْوَ الْحَقِيقَةِ.

وَمِنْهُ يَعْرِفُ الْحُظُوظَ الْعَالِيَةَ فِي الْمَقَامَاتِ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) حَيْثُ يَقْرَنُ وَيُشَارِكُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِرَانِهِ مَوْقِعَةَ الصَّدِيقَةِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِمَوْقِعَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي مَوَاقِعَ لَمْ يَشَارِكْ فِيهَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أُولَى الْعِزْمِ وَالنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَضْلاً عَنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ الْمُرْسَلِينَ.

وسياتي في مقالات هذا الكتاب بيان جملة من المقامات المشتركة.

ومما ينبغي التنبيه إليه هو أن استعراض المقامات المشتركة والصلاحيات المتحدة بين الخمسة أصحاب الكساء ليس المقصود منه إلغاء التراتبية في المقام بينهم، بل بيان أنهم قرنوا في مرتبة من المراتب



وإن كانت هي المرتبة الأولى مع التحفظ على التراتبية بينهم، أي أن الخصائص المشتركة للمجموعة لا تنافي التقدّم والتأخر بقياس بعضهم للبعض الآخر.

وبعبارة أُخري:

إن اشتراكهم في المقامات بلحاظ عالم الأرض وبلحاظ عوالم أُخري ينسجم مع القول بالتفاوت المقامي بينهم وبلحاظ كُـلّ العوالم.

ص: 65



\*الجدير ذكره أنّ مبحث الإمامة لا يبدأ من إمامة علي (عليه السلام) وإنّما بدأت وانبتقت من رسول الله (صلي الله عليه وآله)، أي أنّه بتنصيب إلهي وحياني كان للنبي (صلي الله عليه وآله) إمامة إلهية إلي جانب ما له من رسالة ونبوة.

\*وإذا ثبت له منصب الإمامة يكون قوله (صلي الله عليه وآله): «إلا أنّه لا نبي بعدي»<sup>(1)</sup> من براهين وأدلة دوام منصب الإمامة بعد رحلته، إذ لم يقل (لا إمامة بعدي) بل قال (لا نبي بعدي)، فأثبت للنبوة صفة الخاتمية وأثبت للإمامة صفة الديمومة.

مما يؤسف له أنّ البحث عن الإمامة في المدارس الكلامية قد هبط إلي مستوي متدن بحيث اقتصر عندهم البحث عن الإمامة في حدود الأرض، وبنوا على هذا البحث تعريفاً قاصراً للإمامة يُخلّ

ص: 67

بحقيقتها وسعة أدوارها.

وَعَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ التَّعْرِيفِ شَدِيدِ الْاِقْتِضَابِ وَالْقُصُورِ تَرْتَبَتْ شَبَهَاتٌ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا شَبَهَاتٌ حَدَاثِيَّةٌ عَصْرِيَّةٌ لَمْ يَسْتَنْدِ أَصْحَابُهَا عَلَيَّ التَّحْقِيقَاتِ فِي أَصْلِ الْإِمَامَةِ، وَإِنَّمَا انبَثَقَتْ تَسَاؤُلَاتُهُمْ وَإِشْكَالِيَاتُهُمْ بِسَبَبِ ضُمُورِ وَقُصُورِ التَّعْرِيفِ الْكَلَامِيِّ لِلْإِمَامَةِ.

وَقَدْ تَبَيَّنَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ لِلْإِمَامَةِ كَمَا لِلنَّبِيِّ ثَلَاثَةَ أَبْعَادٍ:

الأوَّل: دور الأئمة في دار الدُّنْيَا.

الثَّانِي: دور الأئمة في عالم الرجعة.

الثَّالِث: دورهم في عالم الآخرة.

وفي مباحث الإمامة ربما يغفل الكثير عن عقيدة مسلمة وهي عقيدة إمامة رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله) فَهُوَ فِي دَرَجَةٍ مِنَ الْإِمَامَةِ يَكُونُ فِيهَا إِمَامَ الْأُمَّةِ الْاِثْنِي عَشَرَ (عليهم السلام).

ورغم التسالم بين محدثي الفريقين وجُلِّ مفسري المسلمين علي ذلك إِلَّا أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لَمْ يَثْبُتُوا هَذَا الْمَبْحَثَ وَإِنْ ذَكَرُوهُ بِشَكْلِ ضَمْنِي.

ولكن الجدير ذكره أَنَّ مَبْحَثَ الْإِمَامَةِ لَا يَبْتَدَأُ مِنْ إِمَامَةِ عَلِيِّ (عليه السلام) وَإِنَّمَا بَدَأَتْ وَانْبَثَقَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله)، أَيَّ أَنَّهُ بِنْتِصِيبِ إِلَهِي وَحَيَانِي

كَانَ لِلنَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِمَامَةٌ إِلَهِيَّةٌ إِلَى جَانِبِ مَا لَهُ مِنْ رِسَالَةٍ وَنَبْوَةٍ.

وَإِذَا ثَبِتَ لَهُ مَنْصِبُ الْإِمَامَةِ يَكُونُ قَوْلُهُ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ):

«إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (1) مِنْ بَرَاهِينِ وَأَدْلَةٍ دَوَامِ مَنْصِبِ الْإِمَامَةِ بَعْدَ رِحْلَتِهِ، إِذْ لَمْ يَقُلْ (لَا إِمَامَةَ بَعْدِي) بَلْ قَالَ (لَا نَبِيَّ بَعْدِي)، فَأُثْبِتَ لِلنَّبْوَةِ صِفَةَ الْخَاتِمِيَّةِ وَأُثْبِتَ لِلْإِمَامَةِ صِفَةَ الدِّيمُومَةِ.

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى:

لَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (2). (3)

فُتْبِتَ بِهَا دَوَامُ وَاسْتِمْرَارُ قَاطِرَةِ الْإِمَامَةِ، وَالنَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي قَوْلِهِ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي» بَيْنَ خْتَمِ النَّبْوَةِ بَعْدَهُ فَيَتَشَكَّلُ بِذَلِكَ بَرَهَانٌ نَتِيجَتُهُ دِيمُومَةُ الْإِمَامَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِمَعْنَاهَا الْقُرْآنِي وَالرُّوَايِي لَا بِمَا ذَكَرَهُ فَفَهَاءُ الظَّاهِرِ وَعِلْمَاءُ الْكَلَامِ.

إِذْ بِمَرَاجَعَةِ آيَاتِ الْإِمَامَةِ فِي الْقُرْآنِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهَا مَنْظُومَةٌ مَقَامَاتٍ وَذَاتُ أبعادٍ وَزَوَايَا مُخْتَلِفَةٍ، وَبِتِلْكَ الْمَعْرِفَةِ الْوَاسِعَةِ لِمَقَامَاتِ الْإِمَامَةِ تَنْجَلِي كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَهَاتِ وَالتَّسْأُولَاتِ وَالإِثَارَاتِ وَالتَّشْكِيكَاتِ وَالإِنْكَارَاتِ الَّتِي نَشَأَتْ بِسَبَبِ قُصُورِ التَّعْرِيفَاتِ فِي كُتُبِ الأَعْلَامِ. 4.

ص: 69

1- المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي 1 / 159.

2- سورة البقرة: الآية 124.

3- سورة 2 - آية 124

والسؤال هل للصديقة فاطمة (عليها السلام) حظ من مقامات الإمامة؟

إن رتبة البضعة الطاهرة (عليها السلام) في الولاية تأتي في المرتبة الثالثة بعد النبي (صلي الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) في ضمن سلسلة هذه المراتب، كما دلت عليه الأدلة المتعددة والكثيرة.

ص: 70

### إشارة

المقالة الأولى: موقع الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي أصول العقائد:

\*الشاهد الأول: ملكها فِي العوالم الآتية.

\*الشاهد الثاني: تلقين النَّبِيِّ (صلي الله عليه و آله) لحمزة (عليه السلام).

\*الشاهد الثالث: اعتراف أبي بكر بمقامات فاطمة عَلَيْهَا السَّلَام





تقسّم العقائد الدينية إلى أصول وتفاصيل، وقد يصطلح عليها بأسس العقائد وتفرعاتها، والفرق بينهما أن الأسس والأصول:

أولاً: يجب عليّ كلّ مكلف تعلّمها والإيمان بها.

ثانياً: النجاة الأخروية مرهونة بها.

ثالثاً: يُساءل كلّ مكلف عنها.

رابعاً: تستوعب تداعياتها مسير الإنسان في راهنه ومستقبله.

بينما تفاصيل العقائد وتفرعاتها:

أولاً: شرط وجوب الاعتقاد بها مُعلّق عليّ حصول العلم بها، فإن لم يحصل فلا وجوب في ذمّة المكلف للسعي نحو تحصيله.

ثانياً: تحصيل العلم بالتفاصيل ندبي، والسعي للعلم بها مستحب فإن حصل العلم بها وجب الاعتقاد بها.

ثالثاً: لها تداعيات وآثار عليّ راهن الإنسان ومستقبله لكنّه لَيْسَ بوزان ومستوي تداعيات أصول العقائد.

وما ذكرناه مِنْ تقسيم هُوَ التقسيم الرئيسي وَإِلَّا فالعقائد درجات ومراتب وأقسام.

والسؤال ها هُنَا: هَلْ أَنْ المعرفة الاعتقادية بمقام الزهراء(عليها السلام) داخل في أساسيات وأصول العقائد أم أنّهُ مِنْ تفاصيلها؟

وبصياغة أُخري:

هَلْ أَنْ ما يرسمه الدّين الحنيف في نصوص القرآن وحديث النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) وروايات المعصومين لفاطمة(عليها السلام) مِنْ موقعية في العقيدة يُعَدُّ مِنْ العقائد التفصيلية التفريعية أو مِنْ أسس الدّين وأصول العقائد؟

وجوابه: إنّ المعرفة الاعتقادية بمقام الزهراء(عليها السلام) هُوَ واحد مِنْ جملة الأُسس والأصول الدينية، بَلْ الإيمان بها معتقد ركني مِنْ جملة أركان الدّين.

واليك مجموعة مِنْ الشواهد والأدلة عَلَيّ ذَلِكَ:

### **الشاهد الأوّل: ملكها في العوالم الآتية:**

روي في الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه(عليهم السلام) عن الحسين بن علي(عليه السلام) قال: إنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان

ص: 74

قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء (عليهم السلام) وعرف دلائلهم، جاء إلي مجلس فيه أصحاب رسول الله (صلي الله عليه و آله) وفيهم علي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو سعيد الجهني، فقال: يا أمة محمد ما تركتم لنبى درجة، ولا لمرسل فضيلة إلا أنحلتموها ببيكم، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه؟ فكاع القوم عنه.

فقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): نعم ما أعطي الله نبيا درجة، ولا مرسلا فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد (صلي الله عليه و آله) وزاد محمدا علي الأنبياء أضعافا مضاعفة.

فقال له اليهودي: فهل أنت مجيبي؟ قال له: نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله (صلي الله عليه و آله) ما يقر الله به عين المؤمنين، ويكون فيه إزالة لشك الشاكين في فضائله (صلي الله عليه و آله) ... قال له اليهودي: فإن هذا سليمان أعطي ملكا لا ينبغي لأحد من بعده؟ فقال علي (عليه السلام): لقد كان كذلك ومحمد (صلي الله عليه و آله) أعطي ما هو أفضل من هذا إنه هبط إليه ملك لم يهبط إلي الأرض قبله وهو: ميكائيل فقال له: يا محمد عش ملكا منعما وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، ويسير معك جبالها ذهبا وفضة، ولا ينقص لك مما ادخر لك في الآخرة شيء، فأومي إلي جبرئيل - وكان خليله من الملائكة - فأشار عليه أن تواضع فقال له: بل أعيش نبيا عبدا آكل يوما ولا آكل يومين والحق ياخواني من الأنبياء فزاده الله تبارك وتعالى الكوثر، وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أولها إلي آخرها سبعين مرة،

ووعده المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أَعَدَّه اللهُ عز وجل علي العرش، فهذا أفضل مما أعطي سليمان(1).

وروي في بصائر الدرجات عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل (إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلْنَاكُمْ مُلُوكًا) (2) فقال الأنبياء رسول الله (صلي الله عليه وآله) وإبراهيم وإسماعيل وذريته والملوك الأئمة (عليهم السلام) قال فقلت وأي ملك أعطيتم فقال ملك الجنة وملك الكرة (3).

ومفاد الرواية مُستلٌّ من أوصاف الآخرة في القرآن الكريم فَإِنَّهُ وصف عرض الجنة كعرض السموات والأرض في قوله تعالى: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) (4). (5)

وبأن الأرض والسَّمَاءَ فيها غير الأرض والسَّمَاءَ في الدُّنْيَا، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَكُونَ الْحَكْمُ وَالْمَلِكُ الْآخِرِيُّ أَكْبَرَ مِنْهُمَا فِي عَالَمِ الدُّنْيَا لِاخْتِلَافِ الْعَالَمِينَ فِي الْمَسَاحَةِ وَالطَّاقَاتِ وَالْقُدْرَاتِ.

وَقَدْ أُشِيرَ فِي الرِّوَايَاتِ أَنَّ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مَقَامَاتٍ فِي الْعَوَالِمِ الْآتِيَةِ 1.

ص: 76

---

1- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي 1 / 314 ، 331 / الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي 2 / 917 ، 921.

2- سورة 5 - آية 20

3- مختصر بصائر الدرجات ، حسن بن سليمان الحلبي / 28.

4- سورة الحديد: الآية 21.

5- سورة 57 - آية 21

ومنها عالم الآخرة الذي لا مُصانعات ولا مُجاملات فيه، وَهُوَ يَوْمٌ لا يتكلم فيه إِلَّا مِنْ أذن لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صواباً، وَهُوَ يَوْمٌ يتبيّن فيه التجلي الإلهي كأعظم ما يكون ...

والسؤال: أيُّ معني للإفصاح عَنْ مقام للزهراء(عليها السلام) فِي ظل ذَلِكَ العالم؟

والذي يزيد العقل حيرة أَنَّ القرآن الكريم لَمْ يفصح عَنْ دور للأنبياء العظام فِي ذَلِكَ العالم، فَلَمْ يعطي دوراً لإبراهيم الخليل ولا لموسي الكليم، ولا لعيسي روح الله، ولا لنوح صفي الله، بيد أَنَّهُ يعطي للزهراء(عليها السلام) دوراً بَلْ أدواراً.

ألا يكفي هَذَا شاهداً عَلَي كونها مِنْ الأصول الاعتقادية!!

ومما يؤسف لَهُ أَنَّ تجعل المناصب الإلهية فِي الدُّنْيَا للمصطفين دليلاً دافعاً عَلَي موقعيتهم فِي الدِّين، بَيْنَمَا تهمل دلالة الأوسمة الإلهية الأخرى لبعض المصطفين عَلَي موقعيتهم الركنية فِي الدِّين، إذ أن ذلك لا يصحّ إِلَّا بأن نعتقد فِي المرحلة السابقة بكون ملك الدُّنْيَا أعظم مِنْ ملك الآخرة ولا يقول به أحد.

**الشاهد الثَّانِي: تلقين النَّبِيِّ(صلي الله عليه و آله) لحمزة(عليه السلام):**

كَانَ مِنْ ديدن النَّبِيِّ(صلي الله عليه و آله) كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الروايات تلقينه العقائد الحَقَّة للأبعدين مِنْ سائر الناس فضلاً عن الأقربين مِنْ ذويه.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ قَدْ لَقَّنَ عَمَّهُ حَمْزَةَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ وَأَسَدِ اللَّهِ الْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ مَرَّةً قَبْلَ وَقَعَةِ بَدْرٍ وَأُخْرَى قَبْلَ وَقَعَةِ أَحَدِ النَّبِيِّ اسْتَشْهَدَ فِيهَا.

فعن موسى بن جعفر عن أبيه (عليه السلام) قال: ..ولما كانت الليلة التي أصيب حمزة في يومها دعا به رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقال: يا حمزة يا عم رسول الله، يوشك أن تغيب غيبة بعيدة فما تقول لو وردت علي الله تبارك وتعالى وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟

فبكي حمزة وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهمني.

فقال: يا حمزة تشهد أن لا إله إلا الله مخلصا، وأني رسول الله تعالى بالحق، قال حمزة: شهدت، قال: وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الصراط حق، والميزان حق، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفريق في الجنة، وفريق في السعير، وأن عليا أمير المؤمنين.

قال حمزة: شهدت وأقررت وأمنت وصدقت وقال: الأئمة من ذريته الحسن والحسين وفي ذريته .

قال حمزة: أمنت وصدقت، وقال: فاطمة سيده نساء العالمين، قال: نعم صدقت، وقال: حمزة سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه، فبكي (حتى سقط علي وجهه وجعل يقبل عيني رسول الله (صلي الله عليه وآله) وقال: جعفر ابن أخيك طيار في الجنة مع الملائكة، وأن محمد وآله خير البرية تؤمن يا حمزة بسرهم وعلايتهم وظاهرهم وباطنهم، وتحيي علي ذلك

وتموت، توالي من والاهم، وتعادي من عاداهم.

قال: نعم يا رسول الله، أشهد الله وأشهدك وكفي بالله شهيدا، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): سددك الله ووفقك (1).

ومما يُستفاد من سيرة رَسُولِ الله (صلي الله عليه وآله) أنَّ ثمة سنة مؤكَّدة مفادها استحباب تجديد العهد بالعقائد الحقَّة وأصول الدِّين كُلِّما حَفَّتْ بالإنسان المخاطر وصار في معرض الانتقال من دار إلى دار.

ومما علمه رَسُولُ الله (صلي الله عليه وآله) عمه الحمزة ولقنه به الشهادة الأُولي والشهادة الثانية والشهادة بامرة أمير المُؤمِنين (عليه السلام) والأئمة المعصومين، ثمَّ أَرَدَفَ ذَلِكَ بالشهادة للزهراء (عليها السلام) بكونها سيدة نساء العالمين (عليها السلام).

وَهَذَا معناه أَنَّ مِنْ جملة الأُمُور الَّتِي يجب تعلمها وَالَّتِي يُسَاءَل عنها في القبر والبرزخ وَعِنْدَ الميزان والحساب الاعتقاد بمقام فاطمة (عليها السلام) فِي الدِّين وبكونها سيدة نساء العالمين.

فوضح من هَذَا التلقين النبوي الشريف انطباق خصائص الأصول الاعتقادية الَّتِي قرناها فِي أوَّل المقالة عَلَي الاعتقاد بمقام فاطمة (صلي الله عليه وآله).

ولا يغيب عن ذهن القارئ الكريم أَنَّ مما يوثق ركنية الاعتقاد بمقام فاطمة (عليها السلام) أَنَّ الذي يُسَاءَل عنه لَيْسَ عموم الناس فحسب، بَلْ يُسَاءَل أمثال حمزة من عبد المطلب الذي لَهُ تلك المكانة والمقام العظيم.0.

ص: 79

## الشاهد الثالث: اعتراف أبي بكر بمقامات فاطمة (عليها السلام):

وَمِنْ الشَّوَاهِدِ عَلَيَّ أَنَّ مَعْرِفَتَهَا رُكْنَ فِي الدِّينِ مَا أَفْصَحَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ فِي مَوَاجِهَتِهِ وَسِجَالِهِ مَعَ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

فقد ورد في الاحتجاج فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان وقال: يا بنت رسول الله... وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء،... وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لاندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمتك نافذ فيما ملكت يداي ..

فقال أبو بكر: أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أبعد صوابك ..(1).

فقد أقر لها بعدد طائل من المقامات العقيدية العظيمة أحدها أنّها ركن الدين، وهذا مشهور في مصادر الفريقين.

وَمِنْ البَيِّنِ إِنَّ مَا وَصَفَ بِهِ مَوْقِعِيَّةَ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) إِنَّمَا هُوَ رِوَايَةٌ عَنِ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِمَّا رِوَايَةٌ لِنَصِّ مَا وَرَدَ عَنْهُ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْ رِوَايَةٌ لِمَفَادَاتٍ وَمُضَامِينٍ هِيَ بِمِثَابَةِ التَّرْجَمَانِ لِنُصُوصِ نَبْوِيَّةِ مُسَلِّمَةٍ.

وتلك النصوص تمثل كليات من النبي (صلي الله عليه وآله) في شأن فاطمة (عليها السلام) كقوله (صلي الله عليه وآله) تارة وهو يصفها بأنّها (سيدة نساء العالمين) وتارة أنّها (سيدة نساء أهل الجنة).

ص: 80



وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله):

«أنا سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقربين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمرسلين،...وابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين»(1).

وعنه، قال: إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) كان جالسا ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فقال: اللَّهُمَّ إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي فأحبب من أحبهم، وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم... وإنها لسيدة نساء العالمين.

ف قيل له: يا رسول الله، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال النبي (صلي الله عليه وآله): ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخريين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادى به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة «إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علي نساء العالمين»(2).

وروي في الخصال عن رسول الله (صلي الله عليه وآله):

«...هنيئا لك يا علي فإن الله عز وجل زوجك فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»(3).3.

ص: 81

1- الأماي، الشيخ الصدوق 374.

2- الأماي، الشيخ الصدوق 574، 575.

3- الخصال، الشيخ الصدوق 573.



## المقالة الثانية: الاعتقاد بها عليها السلام فريضة مودة أم إيمان بموقعها الخاص

\*هل النصوص بصدد إيجاب فريضة مودتها وحبها كما هُوَ فَهْمُ العامة لسائر الآيات المادحة لأهل البيت (عليهم السلام)؟

أم أنّها بصدد رسم موقعية خاصة؟

ثمّة آيات كثيرة نزلت للإشادة بفضائل فاطمة (عليها السلام)، وثمرّة أحاديث نبوية كثيرة رواها رواة الفريقين، وثمرّة أحاديث كثيرة للمعصومين (عليهم السلام) في شأنها.

وَكُلُّ ذَلِكَ بمجموعه يستدعي التساؤل عَنْ ما ترسمه لنا النصوص مِنْ شأن ومكانة لها (عليها السلام).

فَهَلْ هِيَ بصدد إيجاب فريضة مودتها وحبها كما هُوَ فَهْمُ العامة لسائر الآيات المادحة لأهل البيت (عليهم السلام)؟

أم أنّ النصوص بصدد رسم موقعية خاصة ومقام استثنائي

ص: 83

لها(عليها السلام) ضمن خريطة مواقع المصطفين من الله؟

ونجيب بضرر قاطع أن الآيات الكريمة في مقام رسم ما لها من موقع ديني بل ما لها من مواقع إلهية، وهي كثيرة:

أحدها: موقع الحقيبة الوزارية في حكومة دولة رسول الله(صلي الله عليه وآله) السياسية حال حياته(صلي الله عليه وآله).

وهو موقع متسالم عليه بين الفريقين بنحو ارتكازي، وبلورته أن لها شأنًا وولاية علي الأموال العامة في الدولة الإسلامية كما في سورة الحشر وسورة الروم وسورة الإسراء، أي أن الله أمر رسوله(صلي الله عليه وآله) بتفعيل دورها في حكومته، بل وأندز بلزوم تفعيله قبل أمره وإنذاره بولاية علي(عليه السلام) في آية الغدير، وإن كان قد أندز(صلي الله عليه وآله) بنصب علي(عليه السلام) إماماً وزيراً في بني هاشم من أول أيام البعثة النبوية بقوله تعالى: (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (1). (2)

وقد نصت علي ذلك كتب الفريقين في حديث الدار يوم الإنذار.

ثانيها: مقام الولاية العظمي والحجبية الكبرى، ويقصد به الولاية العظمي للنبي(صلي الله عليه وآله) وأصحاب الكساء علي الخلائق في الدولة الإلهية التي لا تقتصر علي الحاكمية في الأرض، بل هي ظل حاكمية الله في كل العوالم وعلي كل الخلائق.

وقد بيئنا ذلك في غير واحدة من الضوابط السابقة.4.

ص: 84

1- سورة الشعراء: الآية 214.

2- سورة 26 - آيه 214

## المقالة الثالثة: نورية الزهراء عليها السلام و ما يترتب عليها من أدوار

\*مِنْ الخَطَأِ أَنَّ تَقْسَرَ النورية واشتقاق الأنوار عَلَيَّ المعني الشرفي.

\*بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِعِظْمَةِ الْخَلْقَةِ وَعِظْمَةِ الْكَمَالِ، وَمِنْ ثَمَّ عِظْمَةِ دَرَجَةِ الْحِجِّيَّةِ، وَعِظْمَةِ التَّمْثِيلِ لِدَوْرِ الْقُدْوَةِ وَالْأُسُوَّةِ، وَمِنْهُ تَبْنِي خَرِيْطَةَ كُلِّ جَوَانِبِ الْكَمَالِ.

\*إِنَّ الزهراء(عليها السلام) تسبق أولادها عَلَيَّ كُلِّ صَعِيدٍ، فَعَلِمَهَا يَكْبُرُ عِلْمُهُمْ، وَمَقَامَهَا فَوْقَ مَقَامِهِمْ، وَهَكَذَا فِي بَقِيَّةِ الْكَمَالَاتِ تَتَّصِرُ مَوْجِعَ الْأَصْلِ وَالْمَعْصُومِينَ مِنْ أَوْلَادِهَا فِي مَوْجِعِ الْفَرْعِ.

المتتبع لروايات الفريقين يقف عَلَيَّ مفاد متفق عَلَيَّ فيما يخص الوجود النوري لأهل البيت(عليهم السلام)، وَمِنْ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ رَوَايَاتُ اشْتِقَاقِ نَوْرِ فَاطِمَةَ(عليها السلام) مِنْ نَوْرِ النَّبِيِّ(صلي الله عليه وآله) ونور علي(عليه السلام)، وَأَنَّ الْأَنْوَارَ الثَّلَاثَةَ خَلَقَتْ مُتَعَاقِبَةً بِاشْتِقَاقِ الْمَتَأَخَّرِ مِنَ الْمَتَقَدِّمِ بِنَحْوِ مُتَسَلِّسٍ.

فَأَوْلَ مَا خَلَقَ هُوَ نُوْرُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَاشْتَقَّ مِنْهُ نُوْرُ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمِنْهُ اشْتَقَّ نُوْرُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

ففي الرواية عن سلمان الفارسي قال: دخلت علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) ... قال: يا سلمان خلقتني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري عليا فدعاه إلي طاعته فأطاعه، وخلق من نوري وعلي (عليه السلام) فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين....(1).

فما هو المراد من النورية وتعاقب الأنوار؟

ثمة قراءة فلسفية وعرفانية ومعرفية تبين معني الخلقة النورية، فعندما يقال أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر فهو إشارة إلي أول وأعظم مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى، وذلك هو نور النبي (صلي الله عليه وآله) أي النبي بطبقته النورية، وعندما يقال خلق من نور النبي (صلي الله عليه وآله) نور علي (عليه السلام) فإن المشار إليه بأنه المخلوق الثاني ليس هو بدن علي (عليه السلام) وليس هو روحه وإنما هو نوره، أي علي (عليه السلام) بوجهه النوري في العوالم السابقة.

وحيثما يقال أن نور فاطمة (عليها السلام) اشتق ثالثاً وقبل اشتقاق أنوار المعصومين فهو إشارة إلي أن ثالث المخلوقين عظمة هو نور فاطمة، ونورها يكبر أنوار المعصومين (عليهم السلام).6.

ص: 86

وما مرَّ هوَ التحليل الفلسفي والعرفاني والعقلي للأنوار، وترجمانه بالقراءة الكلامية اختلاف الحجج في المراتب، وأنَّ حجَّة فاطمة(عليها السلام) فوق حجَّة أولادها المعصومين(عليهم السلام).

وَمِنْ الخَطَأِ أَنْ تفسَّرَ النورية واشتقاق الأنوار عَلَيَّ المعني الشرفي، بَلْ هُوَ بيان لعظمة الخلقة وعظمة الكمال، وَمِنْ ثمَّ عظمة درجة الحجَّة، وعظمة التمثيل لدور القدوة والأسوة، وَمِنْهُ تبنى خريطة كُلِّ جوانب الكمال، بمعني أَنَّ الزهراء(عليها السلام) تسبق أولادها عَلَيَّ كُلِّ صعيد، فعلمها يكبر علمهم، ومقامها فوق مقامهم، وهكذا في بَقِيَّة الكمالات تتصدر موقع الأصل والمعصومون مِنْ أولادها في موقع الفرع.

وَقَدْ أثبت في غير واحدة مِنْ الروايات لفاطمة(عليها السلام) مقام الوساطة العلمية الغيبية بين غيب الغيوب والأئمة المعصومين(عليهم السلام)، وتلك الوساطة تطبق مِنْ تطبيقات تَقَدَّمَ خلقتها النورية اللَّيَّ ذُكِرَتْ في روايات مستفيضة عِنْدَ الفريقين.

والمستبع لأوصافها(عليها السلام) اللَّيَّ وصفها بها النَّبِيُّ(صلي الله عليه و آله) يلحظ أَنَّها أوصاف يؤيد بعضها البعض الآخر، وَمِنْ أوصافها الوحيانية اللَّيَّ تقرب مِنْ معني ما نحن فيه وصف «أم أبيها» الذي وَرَدَ عَلَيَّ لسان النَّبِيِّ(صلي الله عليه و آله).

فقد روي في المناقب عن كثير بن يزيد عن جعفر بن محمد عن

أبيه قال: كنية فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله) أمُّ أبيها(1).

وهو وصف ينطوي على عدة معاني وتفسيرات:

أحدها: أنها سيدة الأمة أو سيدة نساء الأمة أو سيدة نساء الجتة أو سيدة نساء العالمين.

والآخر: يفهم من تفسير معني «الأم» وهو الأصل، فقد سميت الأم إما لأنها أصل الأولاد فيكون معني «أم أبيها» أنها هي الأصل لوالدها رسول الله (صلي الله عليه وآله).

وبالمعني العرفاني الفلسفي اشتقاق وتنزل وجود رسول الله (صلي الله عليه وآله) من وجودها (عليها السلام) وهذا لا يعني التدافع مع ما مر من اشتقاق وجودها من وجود النبي (صلي الله عليه وآله)، إذ هو اشتقاق طبقتها النورية من طبقتة النورية أمّا الآخر فهو اشتقاق وخلق النبي (صلي الله عليه وآله) بطبقتة البدنية من طبقتها النورية.

والثالث: يعرف بالمقايسة بين وصفها بأم أبيها على لسان النبي (صلي الله عليه وآله) وبين وصف القرآن لنساء النبي (صلي الله عليه وآله) بأمهات المؤمنين في قوله تعالى (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) (2). (3)

فقد فسرت أمومتهم للمؤمنين بحرمة زواج المؤمنين منهن<sup>6</sup>.

ص: 88

1- مناقب علي بن أبي طالب\*، ابن المغازلي 267.

2- سورة الأحزاب: الآية 6.

3- سورة 33 - آيه 6



فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا) (1). (2)

وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى التَّشْرِيفِي وَالتَّكْرِيمِي، لِأَنَّ التَّشْرِيفَ وَالْإِحْتِرَامَ لَهُنَّ مَشْرُوطٌ بِالتَّقْوَى وَدَرَجَاتِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ انْتَهَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (3). (4)

وَمَعَ سَقُوطِ هَذَا الشَّرْطِ لَا يَكُونُ لَهُنَّ أَيُّ فَضْلٍ عَلَى الْآخَرِينَ، وَكَمْ فَرْقٌ بَيْنَ تِلْكَ الْأُمُومَةِ بِمَا لَهَا مِنْ مَعْنَى مَبِينٍ فِي الْقُرْآنِ وَبَيْنَ أُمُومَةِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) لِأَبِيهَا، بَيْنَمَا هُنَاكَ أُمُومَةُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ أُمِّ أَبِيهَا؟

يَتَوَقَّفُ مَعْرِفَةَ وَاحِدٍ مِنْ أَعْمَقِ مَعَانِي وَصَفِهَا «أُمِّ أَبِيهَا» عَلَى إِضْحَاحِ مَقْدَمَةِ مَعْرِفِيَةٍ مَجْهُولَةٍ وَهِيَ كَوْنُ أَنْوَارِهِمْ فِي الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ عَلَى طَبَقَاتٍ وَلَيْسَ عَلَى طَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ، فَطَبَقَةٌ مِنْ نُورِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هِيَ الْأَسَاسُ فِي اشْتِقَاقِ نُورِ عَلِيِّ وَالزَّهْرَاءِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وَالْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وَتِلْكَ الطَّبَقَةُ هِيَ الْأَسَاسُ لِاشْتِقَاقِ نُورِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي طَبَقَةٍ نُورِيَّةٍ أَدُونِ.

وَمِنْهُ يَكُونُ مَعْنَى «أُمِّ أَبِيهَا» أَنَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي طَبَقَةٍ نُورِيَّةٍ مِنْ 2.

ص: 89

1- سورة الأحزاب: الآية 53.

2- سورة 33 - آية 53

3- سورة الأحزاب: الآية 32.

4- سورة 33 - آية 32

وجودها يشتق منها نور النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) ونور علي (عليه السلام) بلا تدافع ولا تهافت لحفظ الرتبة النورية واختلافها شدةً وضعفًا.

وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ أَحَدُ مَعَانِي مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) فِي عَلِي (عليه السلام):

«علي مني وأنا من علي»<sup>(1)</sup>.

وفي الحسن (عليه السلام):

«حسن مني وأنا منه»<sup>(2)</sup>، وفي الحسين (عليه السلام):

«حسين مني وأنا من حسين»<sup>(3)</sup>.

ومما يشهد على طبقات الأنوار ما وَرَدَ مَرَّةً مِنْ كَوْنِ نُورِهِمْ (عليهم السلام) فَوْقَ الْعَرْشِ، وَمَرَّةً تَحْتَ الْعَرْشِ. 6.

ص: 90

---

1- الأمل، الشيخ الصدوق 57، 58.

2- بحار الأنوار، العلامة المجلسي 43، 306.

3- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه 116.

إشارة

\*أنحاء القرابة والقربي.

\*إجمال مقامات فاطمة(عليها السلام) في كتب المتكلمين

أنحاء القربي:

مما يؤسف له هو اعتقاد كثير من المسلمين أن كلَّ الشأن في خصوصية أهل البيت(عليهم السلام) كونهم قربي النَّبِيِّ(صلي الله عليه وآله) بمعنى القربي الطينية والتوالد البدني والنسب الدموي والنسبة الجسدية، لكنه وإن كان هذا النوع من الصلة ذا شأن إلا أنَّ جلَّ مراتب الشأن فيهم في واد آخر يُعبَّر عنه بالقربي النورية والتوالد المعنوي والنسبة الروحية.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ قَرِيبِي الرَّسُولِ(صلي الله عليه وآله) عنوان يشير إلي الصلة النورية والتي هي أصل الصلة البدنية.

والقربي الدينية المعنوية موازية للقربي الاصطفائية، أي أَنَّهُ

اصطفاهم بعد اصطفاء النبي (صلي الله عليه وآله) علي أساس قويم هو صلتهم ووصالهم الروحي الديني منه، وليس علي أساس مجرد قرباهم من بدنه.

ومقام فاطمة (عليها السلام) من النبي (صلي الله عليه وآله) كما أنه مقام متقدم ورايط لغيرها بالنبي (صلي الله عليه وآله) علي مستوي القربي البدنية، فكذلك لها مقام متقدم بالنبي (صلي الله عليه وآله) علي مستوي القربي الدينية الاصطفائية.

ومما يشهد علي موقعها الرائد والمتقدم في دائرة القربي الدينية قوله (صلي الله عليه وآله)

«فاطمة بضعة مني»(1).

وقد شط وجاوز الحقيقة من فسّر عنوان «بضعة النبوة» بالبضع البدني، وكذا من حمل معني البضعية علي صرف الحنان الأبوي العاطفي وقراها قراءة ساذجة وهابطة، بل إن عنوان البضعة خصوصاً مع ما تلاها من قول النبي (صلي الله عليه وآله):

«هي روعي التي بين جنبي»(2) فيه دلالة صريحة علي كونها بيانا نوريا دينيا أديانيا.

وقد أجاد الأوسي في تفسيره روح المعاني تحت السؤال الذي مفاده: هل فاطمة أفضل أم عائشة؟

فأجاب: «والذي أميل إليه أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات من حيث إنها بضعة رسول الله (صلي الله عليه وآله) و آله...إذ5.

ص: 92

1- الأمالي ، الشيخ الصدوق 165.

2- الأمالي ، الشيخ الصدوق 175.

البضعية من روح الوجود وسيد كل موجود لا أراها تقابل بشيء، وأين الثريا من يد المتناول، ومن هنا يعلم أفضليتها علي عائشة رضي الله تعالى<sup>(1)</sup>.

ولا يفوتنا تسجيل فائدة معرفية لطيفة، وفيها جواب علي سؤال مقدّر وهو: لم لا تحمل البضعية الواردة في أحاديث النبي (صلي الله عليه و آله) علي البضعية البدنية وكونها قطعة من جسده الشريف؟

فقول: إِنَّهُ كَلَّمَا وَرَدَتْ كَلِمَةُ «مَنِي» عَلَي لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي التَّعْرِيفِ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فَمَعْنَاهَا الْإِشْتِقَاقُ النَّوْرِي، وَهَذَا الْإِسْتِظْهَارُ يُؤَيِّدُ بِالتَّأَمُّلِ فِي تِلْكَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا لَفْظَةُ «مَنِي» جَمِيعاً، لِيَتَبَيَّنَ أَنَّهَا تَتَوَافَقُ فِي الْإِفْصَاحِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى النَّوْرِي.

وقد وقع العديد من الباحثين في الشبهة والإشكال عند تحليل تلك الروايات لغفلتهم عن المقام النوري الذي تشير إليه لفظة «مني».

وفيما نحن فيه يكون معني «بضعة مني» نظير قوله (صلي الله عليه و آله): «حسين مني» وقوله تعالى في الحديث القدسي: «لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك».

هدا مضافاً إلي أن حمل البضعية علي معني التوالد البدني لفاطمة (عليها السلام) من رسول الله (صلي الله عليه و آله) فيه تسطيح للمعني وبيان للواضحات<sup>5</sup>.

ص: 93

مَعَ عدم وجود شبهة نفي الصلة بينهما مِنْ أَحَد، فلا موجب لتأكيدهما وبيانها حينئذٍ.

### إجمال مقامات فاطمة (عليها السلام) في كتب المتكلمين:

وَقَدْ ينكر علينا البعض فيقول: مِنْ أَيْنَ لكم أَنْ تنسبوا لفاطمة (عليها السلام) موقِعاً نورياً قريباً استثنائياً مِنْ رَسُولِ الله (صلي الله عليه وآله) فِي حين أَنْ المتكلمين فِي كتبهم الكلامية والفلاسفة فِي أبحاثهم العقلية لَمْ يشيروا إِلَى ذَلِكَ المقام الاعتقادي لها؟

وفي الجواب ننبّه عَلَي عِدَّة نقاط مُهمّة يحسن أَنْ تكرر فِي ثنايا البحث بصياغات مختلفة:

أَوَّلًا: إِنَّ أصل الدِّين ومقامات الأولياء الاعتقادية مودع فِي الكتاب وَالسَّنة، وما كتب المتكلمين إِلَّا نتاج بشري فِيه استفادات مِنْ الوحي، لكنَّهُ لَيْسَ الوحي المقدس بعينه.

ولذا تعارف بين أهل التحقيق قولهم «كم ترك الأول للآخر» ومقصودهم أَنْ الفهم البشري وإنْ واكب بَعْض حقائق الوحي إِلَّا أَنْ غفلاته عَنْ الحقائق كثير.

ثانيًا: لم نحصر المقامات الاعتقادية فيما أثبتته المتكلمون فِي كتبهم!!

أليس فِي هَذَا إغفال لمشارب ومدارس العلوم الأخرى ذات المكانة الرفيعة مثل مدرسة التفسير والحديث وغيرها!!

وَهَلْ يَظُنُّ مِنْ يَتَحَرَّى مِظَانِ الْحَقِيقَةِ أَنَّ بِالْإِمْكَانِ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا بِقِرَاءَةِ صِنْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمُؤَلَّفَاتِ.

ثالثاً: يتعصب الكثير لعلم الفلسفة والمعقول وينكرون أيَّ حقيقة لم يُشر إليها الفلاسفة، بيد أن هذا التعصب للفلسفة مخالف لشعار الفلسفة والفلاسفة أنفسهم في نبذ التعصب، فإنَّ الفلسفة قائمة على التحقيق والاجتهاد بلا وقوف ولا تلاكاً.

وليس للتقليد قدم ولا أثر في حقل الفلسفة، بل المدار على تحري الدليل، كما أنه ليس من سوء الأدب والتطاول مناقشة الكبار ونقد جهودهم العلمية بفتح الحوار العلمي في آثارهم ونتائجهم، فإنَّ الاحترام والتوقير لهم شيء والبحث العلمي لمظان الحقيقة شيء آخر.

فلو رأى أجيال الفلاسفة أن في التحقيق لنتائج من سبقهم سوء أدب ومن ثمَّ أحجموا عن التفكير فيها وأخذوها أخذ المسلمات لما وصل الفكر الفلسفي لما هو عليه أخيراً من الانبساط والتوسع.

ص: 95





\*المقامات الاصطفائية في القرآن.

\*المحدثه وسام إلهي عظيم لفاطمة(عليهما السلام).

\*فاطمة(عليها السلام) محدثه من الملائكة والرؤح الأمرى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) (1). (2)

وَقَدْ وَرَدَ فِي قِرَاءَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَهِيَ قِرَاءَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ أَنَّ الْآيَةَ بِهَذَا النِّحْوِ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مَحْدُثٍ» فَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَصَابَهُ خِصَامَةٌ فَجَاءَ إِلَيْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ: هَلْ عِنْدَكَ مِنْ طَعَامٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ وَذَبْحٌ لَهُ عِنَاقًا وَشَوَاهُ فَلَمَّا أَدْنَاهُ مِنْهُ تَمَنَّى رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنْ يَكُونَ مَعَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ

ص: 97

1- سورة الحج: الآية 52.

2- سورة 22 - آيه 52

والحسين (عليهم السلام) فجاء منافقان ثم جاء علي بعدهما فأنزل الله في ذَلِكَ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث»<sup>(1)</sup>.

ولا صلة لهذه القراءة بالتحريف في القرآن الكريم بل هي قراءة من القراءات، وقد أشار إليها البخاري في صحيحه، بل واعترف بها المحدثون من الفريقين علي أنها إحدى القراءات المعتمدة.

وقد بحثنا في محله في الوثائق والمصادر الدالة علي صحة هذه القراءة وقد تبين أنها مذكورة في شروح البخاري وكذا شروح مسلم وشروح الصحاح الأخرى.

فكونها قراءة من القراءات أمر مفروغ منه، وطبقاً لها يثبت أن مقام المحدث مقام لدني من الله وهو مغاير لمقام النبوة ومغاير كذلك لمقام الرسالة.

### المقامات الاصطفائية في القرآن:

وقد دلت آيات قرآنية أخرى علي وجود مقامات اصطفائية لدنية أخرى ليست بنبوة وليست برسالة، كما في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)<sup>(2)</sup>. (3)

ص: 98

1- تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي 2/ 86.

2- سورة البقرة: الآية 247.

3- سورة 2 - آيه 247

فَلَمْ يَقُلْ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا وَإِنَّمَا مَلِكًا، أَيَّ أَنْ اللَّهُ اصْطَفَاهُ بِاصْطِفَاءِ لَيْسَ هُوَ عَلِيٌّ حَدَّ اصْطِفَاءِ النَّبِيَّةِ، وَبَعَثَهُ بَعَثَةَ لَيْسَتْ هِيَ عَلِيٌّ حَدَّ الرِّسَالَةِ، وَإِنَّمَا بَعَثَهُ مَلِكًا إِمَامًا لِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ، حَيْثُ إِنَّ بَعَثَتَهُ كَانَتْ جَوَابًا عَنْ طَلِبِهِمْ لِمَا طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ: (إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (1). (2)

وَهَذَا يَنَاسِبُ مَقَامَ الْقِيَادَةِ، وَالْقِيَادَةُ هِيَ الْإِمَامَةُ، وَجَعَلَ آيَةَ مَلِكِهِ وَمَلِكِ إِمَامَتِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِمُعْجَزَةٍ وَدَلِيلٍ بَرَهَانِيٍّ غَيْبِيٍّ إِلَهِيٍّ عَلِيٍّ إِمَامَتِهِ، وَفِيهِ يَقُولُ تَعَالَى: (إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (3). (4)

فَتَلَخَّصَ أَنَّ الْإِرْسَالَ فِي مَنْظُومَةِ السَّمَاءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَيَّ النَّبِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَقَدْ دَلَّتْ الْآيَاتُ فِي قَالِبِ وَحْيَانِي آخِرِ عَلِيٍّ اتِّحَادِ بَعَثَةِ الْقِيَادَةِ وَبَعَثَةِ الْمَلِكِ مَعَ بَعَثَةِ الْإِمَامَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَيَّ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (5) (6)، وَالْمَلِكُ هُوَ مَلِكُ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ 4.

ص: 99

- 
- 1- سورة البقرة: الآية 246.
  - 2- سورة 2 - آية 246
  - 3- سورة البقرة: الآية 248.
  - 4- سورة 2 - آية 248
  - 5- سورة النساء: الآية 54.
  - 6- سورة 4 - آية 54

وَهُوَ تَعْبِيرٌ آخَرَ عَنِ وَايَةِ الْأَمْرِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي بَحْثِ قَوَاعِدِ التَّفْسِيرِ أَحَدِي آيَاتِ اعْتِمَادِ قِرَاءَةِ مَنْ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِيقَانِ بِصَحَّتِهَا، وَهُوَ تَطَابُقُ تِلْكَ الْقِرَاءَةِ لِمَحْكَمَاتِ قِرَائَةِ أُخْرَى، وَهَذَا الْمَعْيَارُ وَالْآلِيَةُ يَنْطَبِقُ فِي مَوْرَدِنَا فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْآيَةِ مَوْضِعَ الْبَحْثِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ» (1) مُتَطَابِقٌ مَعَ مَا فِي آيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآيَةِ سُورَةِ النِّسَاءِ، وَكَذَلِكَ مَعَ آيَاتِ سُورِ أُخْرَى.

وَمِنْ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ الْمَذْهَبَ الْوَحِيدَ الَّذِي تَرْجَمُ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ الْأَصِيلَةَ الْقِرَائِيَّةَ هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) دُونَ بَقِيَّةِ مَذَاهِبِ الْمُسْلِمِينَ.

### المحدثة وسام إلهي عظيم لفاطمة (عليها السلام):

وَقَدْ حَبَا اللَّهُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بَوْسَامٍ عَظِيمٍ لِكُنْهٖ مَغَايِرَ لَوْسَامِ الرِّسَالَةِ وَوَسَامِ النُّبُوَّةِ وَوَسَامِ الْإِمَامَةِ فَدَلَّتِ الْأَدْلَةُ عَلَيَّ أَنَّ أَحَدَ أَلْقَابِهَا هُوَ أَنَّهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) (مُحَدَّثَةٌ).

وَمُضَافًا إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ ثَبِتَ لَهَا بِالرُّوَايَاتِ عُنْوَانُ الْمُحَدَّثَةِ، فَقَدْ ثَبِتَ لَهَا بِالْآيَاتِ رُوحَ هَذَا الْعُنْوَانِ وَلَبَهُ وَإِنْ لَمْ يَعْنُونَ بِنَفْسِ الْأَلْفَاظِ، بَلْ دَلَّتْ عَلَيَّ أَنَّهَا مُحَدَّثَةٌ مِمَّنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ جِبْرَائِيلَ.

ص: 100

---

1- تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي 2/ 86.

وَهَذَا أَحَدُ الشَّوَاهِدِ عَلَيَّ عَلُوَ مَقَامِهَا عَلَيَّ مَقَامَ مَرْيَمَ، فَإِنَّ مَرْيَمَ مَحْدُوثَةٌ مِنْ جِبْرَائِيلَ أَوْ مِنْ طَبَقَاتِ أُخْرَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَيَّ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (1). (2)

وَأَمَّا فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَهِيَ مَحْدُوثَةٌ وَبِنَصِّ الْأَدْلَةِ تَارَةً مِنْ قَبْلِ الْمَلَائِكَةِ وَتَارَةً مِنْ قَبْلِ جِبْرَائِيلَ وَأُخْرَى مِنْ قَبْلِ مِمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ جِبْرَائِيلَ.

فَإِنْ قُلْتِ: وَأَيْنَ ذَلِكَ النَّصِّ فِي الْقُرْآنِ؟

وَجَوَابُهُ أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ رَسَمَ فِي آيَاتِهِ ذَلِكَ الْمَقَامَ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِوَضُوحٍ، لَكِنْ يَتَوَقَّفُ فَهْمُهُ عَلَيَّ ضَمِّ مَجْمُوعَةِ نَصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ تَتَأَلَّفُ فِي تَكْوِينِ مَضْمُونٍ وَاحِدٍ.

(1) فَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) (3) (4) عَلَيَّ وَجُودَ جَانِبِ غَيْبِي لِلْقُرْآنِ، بَلْ عَلَيَّ مَقَامَاتٍ وَمَنَازِلَ غَيْبِيَّةٍ لَهُ لَا يَنَالُهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ.

(2) وَدَلَّتْ لِي ذَلِكَ سُورَةُ الشُّورَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ (5) 9.

ص: 101

1- سورة آل عمران: الآية 42.

2- سورة 3 - آية 42

3- سورة الواقعة: الآية 77 - 79.

4- سورة 56 - آية 77

5- سورة 42 - آية 52

نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (1) (2) والموجود المعبر عنه «بالروح» أعظم من جبرائيل، لأن القرآن لم يصف جبرائيل أنه من عالم الأمر وهو عالم كُنْ فيكون.

(3) وَأَنْبَأَتْ سُورَةَ النُّحْلِ أَنَّ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَعْرَجُ وَيَنْزِلُ بِالرُّوحِ الْأَمْرِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (3) (4) ، والملائكة عنوان عام يدخل فيه جبرائيل، بل يعم إسرئيل أيضاً.

(4) وَإِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْأَمْرِي الَّذِي بِهِ اقْتَدَارَ إِسْرَافِيلُ وَجِبْرَائِيلُ وَعِزْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الشُّورِيِّ بِوَصْفِ أَنَّهُ حَقِيقَةُ الْقُرْآنِ، فَقَالَ تَعَالَى: (كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا). (5)

فالموحي ليس هو مجرد كلام وقول كما أنه ليس مجرد طرد بريدي، بل هو روح أمري أودع في ذات الموحي إليه.

ولو قلت ما هو الدليل على كون الموحي هو نفس الروح الأمري؟

فجوابه في نفس الآية في قوله تَعَالَى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ) (6) 2.

ص: 102

1- سورة الشوري: الآية 52.

2- سورة 42 - آيه 52

3- سورة النحل: الآية 2.

4- سورة 16 - آيه 2

5- سورة 42 - آيه 52

6- سورة 42 - آيه 52

مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (1). (2)

إِذْ مَفَادَهَا أَنَّ ذَلِكَ الرُّوحَ هُوَ عَيْنَ الْكِتَابِ وَإِلَّا لَا يَكُونُ فِي صَلَاةٍ وَلَا ارْتِبَاطٍ بَيْنَ مَقْطَعِ (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا) (3) وَمَقْطَعِ (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ) (4).

وَفِي الْمَقْطَعِ الْأَخِيرِ (لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا) (5) وَصَفَ لِلرُّوحِ الْأَمْرِي بِأَنَّهُ مِنْ عَالَمِ النُّورِ وَلَيْسَ وَلَيْسَ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ، وَهُوَ نَفْسُهُ الْمَشَارِ إِلَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (6). (7)

وَهَذَا الْوَصْفُ لِلرُّوحِ لَمْ يُوَصَفْ بِهِ جِبْرَائِيلُ فِي الْقُرْآنِ فَلَمْ يَنْزِلْ جِبْرَائِيلُ مِنْ عَالَمِ النُّورِ.

(5) وَإِذَا تَفَقَّحَ هَذَا الْمَطْلَبُ الْقُرْآنِي كَمَقْدَمَةٍ لِمَا نَحْنُ فِيهِ فَإِنَّ الْفَصْلَ الثَّانِي فِي خَرِيْطَةِ الْقُرْآنِ هُوَ مَا أَشِيرُ إِلَيْهِ فِي الْآيَاتِ مِنْ أَنَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مِنْ أَهْلِ آيَةِ التَّطْهِيرِ وَهُوَ مَا يَعْتَقِدُ بِهِ كَافَّةُ الْمُسْلِمِينَ ضَرُورَةً.

(6) فَتَكُونُ النَّيْجَةُ أَتَمًّا مِمَّنْ يَنْالُ وَيَخْصُ بِذَلِكَ النُّورَ وَالرُّوحَ الْأَمْرِي، أَيَّ أَنَّهَا تَحِيْطُ عِلْمًا بِالْكِتَابِ النَّوْرِيِّ، وَهَذَا هُوَ لُبُّ وَبَابُ مَقَامِ الْمُحَدَّثَةِ. 8.

ص: 103

1- سورة الشورى: الآية 52.

2- سورة 42 - آية 52

3- سورة 42 - آية 52

4- سورة 42 - آية 52

5- سورة 42 - آية 52

6- سورة التغابن: الآية 8.

7- سورة 64 - آية 8

## فاطمة (عليها السلام) محدثة من الملائكة والروح الأمري:

بَيَّنَّ الْقُرْآنَ نَزُولَ لآيَاتِهِ؛ الْأَوَّلُ نَزُولُ نَازِلٍ وَهُوَ شَأْنُ جِبْرَائِيلَ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ بِالْكَلِمَاتِ وَالْأَصْوَاتِ وَالْمَعَانِي وَعَبَّرَ عَنْهُ بِالنَّزُولِ النُّجُومِيِّ، وَكَانَتْ بَدَايَتُهُ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ.

وَمَعْنِي مِصْطَلَحُ نُّجُومِي هُوَ الْمُؤَقَّتُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) (1) (2) فَيَعْبَّرُ عَنْ أَحَدِ مَرَاتِبِهِ النَّازِلَةَ بِالْقَوْلِ.

وَالْآخِرُ نَزُولٌ دَفْعِي عَالِي.

وَالْقُرْآنُ خِلَافًا لِلْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لَا يُطْلَقُ عَلَيَّ الدَّفْعِيُّ الْعَالِي مِصْطَلَحُ النُّزُولِ، وَتَسْمِيَةُ الْمُفَسِّرِينَ لَهُ بِالنُّزُولِ مِنَ الْخَطَأِ، لِإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّازِلِ، بَلْ يُسَمِّيهِ الْقُرْآنُ فِي سُورَةِ الشُّورِيِّ: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (3) (4)، فَعَبَّرَ بـ «أَوْحَيْنَا» وَلَيْسَ أَنْزَلْنَا.

وَلِذَا لَا يَعْبُرُ عَنْهُ لَا نَزُولٌ وَلَا تَنْزِيلٌ.

وَهَذَا الْأَخِيرُ الَّذِي نَعْبُرُ عَنْهُ بِالنُّزُولِ مَسَامِحَةٌ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ جِبْرَائِيلَ وَالْمَلَائِكَةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وَقَدْ نَالَتْهُ الْبُضْعَةُ الطَّاهِرَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فَكَانَتْ بِذَلِكَ مُحَدَّثَةً.

ص: 104

1- سورة الحاقة: الآية 40.

2- سورة 69 - آية 40

3- سورة الشوري: الآية 52.

4- سورة 42 - آية 52



وَهَذَا لَا يَنْفِي كَوْنَهَا (عَلَيْهَا السَّلَام) مُحَدَّثَةٌ بِالْمَقَامِ النَّازِلِ مِنْ جِبْرَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، بَلْ دَلَّتِ النُّصُوصُ الْمَعْتَبِرَةُ لَدِينَا أَنَّ إِسْرَافِيلَ آتَاهَا بَعْدَ شَهَادَةِ الْمُصْطَفِيِّ وَرَحِيلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى وَمَعَهُ جَمَلَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي لَيْلَةٍ وَهِيَ تَتَهَجَّدُ إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يَقْطَعُوا عَلَيْهَا وَرَدَّهَا ثُمَّ حَدَّثَهَا بِقِسْمٍ مِنَ الْمُصْحَفِ وَهُوَ الْمَرْتَبَةُ النَّازِلَةُ مِنْ مَقَامِ الْمُحَدَّثَةِ وَالْمَرْتَبَةُ الصَّاعِدَةُ مِنْهُ هُوَ تَحْدِيثُ الرُّوحِ الْأَمْرِيِّ.

بَلْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) النَّصِيبَ الْأَعْلَى مِنَ الرُّوحِ الْأَمْرِيِّ بَعْدَ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَام) وَلِذَا سُمِّيَتْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ لِأَنَّ مَدَارَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ هُوَ الرُّوحُ الْمُنْزَلُ فِيهَا.

وَإِذَا رَمْنَا أَنْ نَسْتَوْضِحَ هَذَا الْمَقَامَ الْخَطِيرَ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) فَثَمَّةُ بَابِ رَسْمِهِ لَنَا الْقُرْآنُ فِي قِصَّةِ مَرْيَمَ، وَالْغَوْصُ فِيهِ يَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْخَطِيرِ فِي فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام).

فَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ مَرْيَمَ مُحَدَّثَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصَّ طَفَاكِ عَلَي نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (1) (2) فَهِيَ مُحَدَّثَةٌ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ وَمُحَدَّثَتُهَا الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرَائِيلَ.

وَبِذَلِكَ يَثْبُتُ أَنَّ مَرْيَمَ (عَلَيْهَا السَّلَام) مَا كَانَتْ تَتَلَقَّى مَا تَتَلَقَّاهُ مِنْ أَمْرِ إِلَهِي 2.

ص: 105

1- سورة آل عمران: الآية 42.

2- سورة 3 - آية 42

وبيان رباني عبر لسان النَّبِيِّ زكريا(عليه السلام) والصلة البدنية به، وإِنَّمَا مضافاً إلي ذلك تتلقي مُبَشِّرَةً مِنَ الملائكة وَمِنْ جبرائيل(عليه السلام).

وَلَقَدْ أَفَاضَ الْقُرْآنَ فِي بَيَانِ تَفَاصِيلِ تَحْدِيثِ الملائكة لِمَرْيَمَ وَأَنَّهُ جَرَى ذَلِكَ مَرَاتٍ وَمَرَاتٍ وَلَيْسَ مَرَّةً وَاحِدَةً.

هَذَا مضافاً إلي أَنَّهَا كَانَتْ تَتَجَاوَبُ مَعَ مَنْ يَحْدِثُهَا، أَيَّ كَانَ التَّفَاعُلُ مِنَ الطَّرْفَيْنِ إِقَاءً وَسؤالاً وَجواباً، ففِي سِوَرَةِ آلِ عِمْرَانَ بَيَانٌ أَنَّ تَحْدِيثَهَا بَدَأَ مِنْ بَشَارَةِ اللَّهِ لَهَا بِكَلِمَتِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) (1) (2)، وَنَلاحِظُ أَنَّ هَذِهِ البَشَارَةَ المَلَكُوتِيَّةَ مِنَ اللَّهِ مَعَ كَوْنِهَا كَذَلِكَ لَكِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَيَّ مَأْمُورِيَّةَ إِلهِيَّةَ خَطِيرَةٍ وَعَلَيَّ دُورَ عَظِيمٍ عَصِيبٌ قَدْ أَوْكَلَ إِلَيَّ مَرْيَمَ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ تَنْزَلُ فِيهِ الأَقْدَامُ وَتَخَارُ دُونَهُ العِزَائِمُ.

وَفِي سِوَرَةِ مَرْيَمَ يَقُولُ تَعَالَى: (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّسْ نَبِيٌّ بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا (3) 5.

ص: 106

1- سورة 3 - آيه 45

2- سورة آل عمران: الآية 45.

3- سورة 19 - آيه 17

وفي المقطع الأخير من الآيات يذكرها الملك بقول الله لها سابقاً.

وتشير الآيات إلي تحديث آخر لها لما رفعت حملها في قوله تَعَالَى: (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) (3). (4)

فتبين الآيات أن العبد الكبير الذي تتطلبه حصول البعثة الجديدة لنبي من أولي العزم كله قد وقع علي مريم وَلَمْ يَقَعْ عَلَيَّ زَكَرِيَا وَعَلَيَّ عَلِيَّ يَحْيَى (عليهما السلام).

وأن أول من تحمّل مسؤولية الإعلان الإلهي عن بدء نبوة ناسخة لشريعة سابقة وفي ظل دجل وعقد بني إسرائيل هي مريم وكييس غيرها، وأن النبي خاطرت بشرفها وعرضها للإعلان عن سطوع برهان نور النبوة الجديدة وكابدت في جهاد قلّ نظيره وكثرة تبعاته هي مريم، ولم يكن أياؤها بتلك المأمورية بتوسط بدن زكريا ولا بوحى أتاها عن لسانه.6.

ص: 107

1- سورة مريم: الآية 17 - 21.

2- سورة 19 - آية 21

3- سورة مريم: الآية 24 - 26.

4- سورة 19 - آية 24

وفي ذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فكلي واشربي وقر عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا)(1) أي أفصحني عن وجود أمر ومأمورية، وتلك المأمورية غير مرتبطة بفروع الدين لقوله تَعَالَى: (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا)(27) يا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)(29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(30)(2)(3) ، فالمأمورية مرتبطة بأصل متقدم في منظومة أصول الدين وهو النبوة.

وتشير الآيات إلي وجود ما يشبه التواطئ وتكامل الأدوار ووجود نوع من النظم والبرمجة في المسؤولية، حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)(4)(5) ، أي استنتقوه عن دوره وعن مأموريته الإلهية.

بل كانت المأمورية الإلهية علي مريم ضخمة ومعقدة، بحيث أن ما تقوم به لم يكن مرتبطاً بفروع الدين ولا مرتبطاً بأصول الدين فحسب، بل أوكل إليها تدشين وتأسيس نبوة نبي من أولي العزم ناسخة لشريعة النبي موسى (عليه السلام).9.

ص: 108

1- سورة مريم: الآية 26.

2- سورة مريم: الآية 27 - 30.

3- سورة 19 - آية 27

4- سورة مريم: الآية 29.

5- سورة 19 - آية 29

وللباحث ها هنا أن يتصوّر حجم المرارة التي ستكابدها مريم جراء إعلانها عن تلك المأمورية، فمن جهة كان أول من أعلن عن الأمر الإلهي الجديد هي مريم المرأة، ومن جهة كان المعلن إليهم والمكلف بالتحول من شريعة إلى شريعة هم بنو إسرائيل الذين قص لنا القرآن في سورة البقرة عن لجاحهم وحجاجهم للساحة الربوبية في أكثر من تشريع وأكثر من تكليف، وقص علينا كذلك إجهادهم للأنبياء السابقين من يعقوب إلى يوسف ثم موسى وهارون وزكريا ويحيى (عليهم السلام)، وكذا أنبياء عديدون قد نالهم الإعياء والإجهاد جراء تكليفهم بهداية بني إسرائيل.

ومنه يتبين ما يمكن أن ينال مريم منهم، ومع كل ذلك كانت هي المأمورة بالخطاب الإلهي المباشر أن تكون واسطة بين شريعتين.

ونفس جعل المأمورية علي عاتق مريم يشهد بما لها من مقام وسُودد، حيث كانت حلقة رابطة وناقلة للبشر من نبوة موسى إلى نبوة عيسى في حين أنه لم يوكل ذلك الدور لزكريا أو يحيى أو غيرهما من الأنبياء (عليهم السلام).

وقد اعتقد بنو إسرائيل أن العدوان علي مريم كان سهلاً لكونها امرأة وغير موصوفة بنبوة ولا برسالة، فكان خطابهم كما حكاها القرآن في قوله تعالى: (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءاً وما كانت أمك بغياً) (1). (2)8.

ص: 109

1- سورة مريم: الآية 28.

2- سوره 19 - آيه 28

وفي هَذَا اللَّسَانِ تُعَدُّ صَارِخٌ وَإِعْدَامٌ لِلشَّخْصِيَّةِ، وَكَمْ فِي الْمَرْأَةِ مِنْ نِقَاطٍ تُغْرِي عَدُوَّهَا بِالْعَدْوَانِ وَالْعَتُوِّ وَالطَّغْيَانِ عَلَيْهَا، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ تُخْتَارُهَا السَّمَاءُ لِهَذَا الدُّورِ الْعَصِيبِ، وَكَأَنَّهُ إِفْصَاحٌ عَنْ عَدَمِ صِلَاحِيَّةِ أَحَدٍ مِنَ الرِّجَالِ لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الْوِظِيْفَةِ.

وَمِنْهُ نَدْرِكُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (1) (2) لَيْسَ هِبَةً مَجَانِيَةً وَإِنَّمَا فِي قِبَالِهَا امْتِحَانٌ عَصِيبٌ وَمَسْئُولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ كَانَتْ يُمْكِنُ أَنْ تُطَيِّحَ بِمَرْيَمَ وَتُصْفِيَّ وَجُودَهَا بِمَنْطِقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي مَقَابِلِ تَطْلُعِهِمْ لِتُصْفِيَّتِهَا وَإِعْدَامِهَا جَسَدِيًّا وَمَعْنَوِيًّا إِلَّا تَطْلُعُهَا لِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الدِّفَاعِ عَنْ وَجُودِهَا الْجَسَدِيِّ وَمَوْقِعِهَا الْمَعْنَوِيِّ وَهُوَ اسْتِئْصَالُ كُلِّ مَسَارِهِمُ الضَّالِّ وَالْبَاطِلِ وَتَبْدِيلُ نَسِيحِ دِينِي مُتْرَاكِمٍ.

وَكَمَ كَانَ لَهَا مِنْ هِمَّةٍ وَمَغَالِبَةٍ لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَيْهَا زُرَافَاتٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، فَلَمْ يَتَصَدَّ دَاوُدُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِنَسْخِ شَرِيعَةِ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَلَمْ يَتَصَدَّ سَلِيمَانُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَذَلِكَ لِنَسْخِهَا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِلِ وَالْخِيَالِ أَنْ يَحِيدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَنْ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَلِذَا قَتَلُوا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَخُونُوهُمْ وَاتَّهَمُوهُمْ بِكُفْرِهِمْ غَيْرَ مَأْمُونِينَ عَلَى شَرِيعَةِ مُوسَى وَغَيْرِهَا.

ص: 110

1- سورة آل عمران: الآية 42.

2- سورة 3 - آية 42

مؤتمرين بالتوراة مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَتْبَاعِ مُوسَى (عليه السلام) ومنها جهم التوراة.

لَكِنَّ كُلَّ هَذَا الْمَخْزُونِ مِنَ الْعِنَادِ وَاللَّجَاجِ وَالْغُرُورِ الْمَعْجُونِ فِي هَوِيَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَنْسَخُ أَمْدَهُ وَيَنْتَهِي بِقَاوِمِهِ عَلَيَّ يَدِ امْرَأَةٍ، فَقَدْ كَانَ هَمَّتْهَا وَهَمَّتْهَا اسْتِئْصَالَ الْغِيِّ الْمَتْرَاكِمِ فِيهِمْ، وَكَانَ هَمَّهُمْ وَهَمَّتْهُمْ اسْتِئْصَالَ مَرْيَمَ وَجُودِيًّا وَمَعْنَوِيًّا.

وما مرَّ في الصورة القرآنية بكُلِّ حيثياتها تحقَّق بما هو أعظم منها في دور لبوة النبوة البضعة الطاهرة (عليها السلام)، فقد كابدت:

أَوَّلًا: زَلْزَالَ تَصْفِيَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَرَأَتْ سُلْسُلَةَ الْمُؤَامِرَاتِ وَالتَّخْطِيطَاتِ ضِدَّ أَبِيهَا جَسْديًّا وَمَعْنَوِيًّا، وَهِيَ تَشَبَّ فِي الشَّهْرِ مَا تَشَبَّ فِي السَّنَةِ وَبَدَأَتْ عَلَيْهَا مَلَامِحُ الْبُلُوغِ فِي السَّنِ وَهِيَ فِي سَنِيهَا الْمُبَكَّرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَبْثِ وَالْجَزَافِ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ إِعْدَادًا لَهَا لِإِنْجَازِ مَأْمُورِيَّةِ عَظِيمَةٍ عَلَيَّ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (1). (2)

فمَسْؤُولِيَّتُهَا الْمَلَقَاةَ عَلَيْهَا مَعَ أَبِيهَا وَقَبْلَ زَوَاجِهَا تَتَطَلَّبُ أَنْ تَشَبَّ سَرِيعًا فِي كُلِّ الْجِهَاتِ وَالنَّوَاحِي لِتَكُونَ سَكْنًا وَكَهْفًا لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) سَكْنٌ تَدْبِيرٌ وَعَضِيدٌ مَسْؤُولِيَّةٌ.

ومن يقرأ مذكرات حياة الشخصيات ذات الطابع الأمني يدركه 2.

ص: 111

1- سورة يوسف: الآية 22.

2- سورة 12 - آية 22

أن من ترتبط به من النساء إذا لم تكن علي مستوى من الوعي السياسي والأمني والوعي الاستراتيجي بدرجة مناسبة لزوجها فإنها تكون الباب لاخرته سياسيا وأمنيا لأن الشبكة العدوانية المناوئة له لن توفر أي ثغرة يمكن منها اختراقه وافشاله مهمته.

ولقد كانت البضعة الطاهرة(عليها السلام) وفي ظل وجود والدتها خديجة راعية للنبي(صلي الله عليه وآله) علي مستوى يكبر ويغايير رعاية خديجة له لما لها من عظيم علم وحكمة ودراية وتديبير.

ففي التسع سنين لقطات عصيبة زلزل فيها النبي(صلي الله عليه وآله) ووقفت فيها فاطمة(عليها السلام) مدافعة وراعية وحاضنة، فكان للنبي(صلي الله عليه وآله) يدان، يد قاضمة وهي يد أمير المؤمنين(عليه السلام) ويد حانية وهي يد فاطمة(عليها السلام).

وكان دورها مع النبي(صلي الله عليه وآله) هو الفصل الأول من أداء المأمورية الخطيرة، وكان الفصل الأخير وقوفها في وجه مشروع السقيفة إلي جانب أمير المؤمنين(عليه السلام) وهو الآخر لا يقل خطورة وزلزالا للدين ولحامله عن الفصل الأول، فقد اجتمعت فيه من الملابس ما يمكن أن يمرر من خلالها المشروع الجديد علي الناس بأن يصوروا عليا(عليه السلام) طالب ملك وساع للرئاسة، فكان بمثل هذه الملابس والتليسات والاهامات امكانية تمرير الخطة والحيلة علي المسلمين في شأن علي(عليه السلام) لكنه لم يكن في الإمكان أن تمرر مثل تلك الملابس في شأن



فاطمة(عليها السلام).

فقد كان موقفها(عليها السلام) شبيه موقف مريم(عليها السلام) التي خاطرت بشرفها وعرضها ولم يكن بيد بني اسرائيل أن يمرروا علي الناس فكرة أنها طالبة للزعامة في حين أنه لو تصدى لتلك المأمورية يحيي أو زكريا أو أي نبي من الأنبياء لأمكن الطعن عليهم بتلك التدليسات والتحريفات.

ص: 113



\*أهل البيت(عليهم السلام) رواة عن كل طبقات وجود النبي(صلي الله عليه وآله)...

\*المحدث مرتبط بروح من أرواح النبي(صلي الله عليه وآله)...

ثمة عدة من الآيات بينت أن الروح الأمري الذي هو حقيقة الكتاب - الكتاب هو المقام العلوي الوجودي الذي لا يتجافي عن موقعه وهو الروح الأمري- أورث لثلة بشرية خاصة بعد رسول الله(صلي الله عليه وآله).

منها ما في سورة الشوري: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا)(1). (2)

ومفادها الجمع بين مقام النبوة ومقام الثقلين.

ص: 115

1- سورة الشوري: الآية 52.

2- سورة 42 - آيه 52

ومنها مافي سورة النحل وهي قوله تعالى: (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) (1). (2)

والمعادلة في هذه الآيه عين المعادلة في الآيه السابقة ومفادها تنزل الروح الأمري علي مجموعة من عبادہ وليس علي من يشاء من أنبيائه ورسله، أي علي ثلة من عبادہ المصطفين باصطفاء وراء اصطفاء النبوة.

ونفس المعادلة بينت في سورة غافر في قوله تعالى: (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) (3) (4).

ونفس العنوان أشير إليه في سورة الواقعة في قوله تعالى: (فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) (5). (6)

وصرح بهذا المطلب في سورة فاطر في قوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصَّطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (7). (8)

وحيث إن فاطمة(عليها السلام) واحدة من أولئك المصطفين المطهرين بنص القرآن وتعاليم روايات الفريقين، فيثبت لها أنها محدثة من الروح.

ص: 116

1- سورة النحل: الآية 2.

2- سورة 16 - آيه 2

3- سورة 40 - آيه 15

4- سورة غافر: الآية 15.

5- سورة الواقعة: الآية 78 - 79.

6- سورة 56 - آيه 78

7- سورة فاطر: الآية 32.

8- سورة 35 - آيه 32

الأمرى.

ثم إن وزان مقام المحدث كوزان مقام الرسالة والنبوة فكما أن القرآن صرح بأن الرسل والأنبياء علي طبقات كما في قوله تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) (1) (2) فكذلك الأمر في المحدثين فهم علي طبقات ودرجات.

### أهل البيت (عليهم السلام) رواة عن كل طبقات وجود النبي (صلي الله عليه وآله):

وهنا تثبت لأهل البيت (عليهم السلام) خصيصة علي بقية أصحاب النبي (صلي الله عليه وآله) ومن أخذ عنه من الرواة وهي الجواب عن سؤال مكرر، فلطالما طرح تساؤل مفاده:

ماهي خصيصة علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) في تلقيهم عن النبي (صلي الله عليه وآله)؟

فإن كانوا هم رواة عن النبي (صلي الله عليه وآله) فإن سلسلة من الصحابة كانوا يروون عنه؟

وجوابه:

إن النقل عن النبي (صلي الله عليه وآله) علي نحوين: فتارة يكون نقلاً عن بدن النبي (صلي الله عليه وآله) وتارة يكون نقلاً عن روح النبي (صلي الله عليه وآله) ونوره، وأهل البيت (عليهما السلام)

ص: 117

1- سورة 2 - آيه 253

2- سورة البقرة: الآية 253.

لهم خصيصة علي غيرهم في كلال- النحوين، فإن نقلهم عن بدن النبي (صلي الله عليه وآله) لا يشابهه نقل أحد من الصحابة عن بدنه الشريف ضبطاً ودقة وإدراكاً لمحل عصمتهم، ويتجلي تميزهم وخصيصةهم بوضوح في النحو الثاني إذ لا يشاركهم أحد في النقل عن نفس النبي (صلي الله عليه وآله) وروحه ونوره وسائر طبقاته الغيبية.

ولم يدع أحد من الرواة مهما وسمت نقولاته بالصحة والمطابقة أنه كان يتلقي من هذا الباب الغيبي إلا أهل البيت (عليهما السلام)، فلم يقتصر ارتباطهم بالنبي (صلي الله عليه وآله) علي الاتصال ببدنه، بل لهم ارتباط ببدنه البرزخي وارتباط بنفسه وروحه، وارتباط بنوره وطبقات ذاته.

وأحد طبقات ذوات النبي (صلي الله عليه وآله) هو ما بينه الله تعالى في سورة الشوري في قوله: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نُّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) (1) (2) ففيها تصريح أن أحد أرواح النبي (صلي الله عليه وآله) هو نفس الروح الأمري، وفي المقطع الأخير تصريح بأن من (يشاء من عباده) يمسون وينالون ويتصلون ويرتبطون بذلك الروح الأمري، أي هم علي دوام في الارتباط بطبقات متعددة من ذات النبي (صلي الله عليه وآله) علاوة علي ارتباطهم بالبدن الدنيوي له.2.

ص: 118

1- سورة 42 - آيه 52

2- سورة الشوري: الآية 52.

## المحدث مرتبط بروح من أرواح النبي (صلي الله عليه وآله):

وعلي هذا الأساس يتبين معني أن فاطمة(عليها السلام) محدثة، وبيانه أن القرآن صرّح بأن الروح الأمري قوة من قوي النبي(صلي الله عليه وآله) وروح من أرواحه الخادمة في ذاته، فإذا قيل أن فاطمة(عليها السلام) محدثة فمعناه أنها مرتبطة بقوة وروح من أرواحه الخادمة.

والروح الأمري المحدث لفاطمة(عليها السلام) هي الروح النازل في ليلة القدر كما ورد في نصوص الآيات والروايات، فمحدثها علي هذا البيان طبقة من طبقات ذات النبي(صلي الله عليه وآله).

ولذا فعنعة الرواة عن النبي(صلي الله عليه وآله) عنعنة بدنية فقط، بينما عنعنة علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين(عليهم السلام) عن النبي(صلي الله عليه وآله) عنعنة نورية، وتسمي هذه العنعنة بالأداء والإبلاغ عن النبي(صلي الله عليه وآله) ولا تسمي نقلا عنه.

وقد صرّح بذلك الحديث القدسي الذي مر علينا سابقا: «لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»(1).

فيثبت لفاطمة(عليها السلام) ببركة مقام المحدثه أنها ممن يؤدي ويبلغ عن نور وقلب النبي(صلي الله عليه وآله).

ولذا ورد في روايات مصحف فاطمة(عليها السلام) التعبير تارة بأنه إماء

ص: 119

رسول الله (صلي الله عليه وآله) أي أن الذي حدثها هو رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وتارة أنه إملاء أوحى الله به إليها، ولا تباين بين الأمرين فإن وصال واتصال فاطمة (عليها السلام) لم ينقطع برهة بالنبي (صلي الله عليه وآله) بعد رحيله البرزخي لكنه ليس وصالا بالبدن النبوي.

وبعبارة أخرى:

كان لفاطمة (عليها السلام) من الأول وقبل موت النبي (صلي الله عليه وآله) وصالان واتصالان به (صلي الله عليه وآله) أحدهما بدني والآخر نوري، وبموته وانقطاع بدنه عن الدنيا انقطع الوصال البدني الدينوي وبقي الوصال النوري علي حاله لعدم موت ورحيل طبقات نوره بموت بدنه.

والوصال الثاني قائم في كل برهة بين أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الإمام الثاني عشر (عليه السلام) ورسول الله (صلي الله عليه وآله) كما صورناه سابقا، وهو وصال علي درجات، وصال ببدنه البرزخي ووصال بروحه ونفسه ووصال بروحه الكلية ووصال بنوره وطبقات متعددة من ذاته.

وهذا الوصال والإرتباط هو نوع تأييد واداء وإملاء من الرسول (صلي الله عليه وآله) لهم وهو مختلف بالكلية عن شبهة التناسخ التي يهلوس بها بعض الفرق الباطنية المنحرفة.

وأحد الشواهد علي عظمة مقام المحدثة الثابت لفاطمة (عليها السلام) ما رواه في بصائر الدرجات عن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال

ص: 120



قيل له إن عبد الله بن الحسن يزعم أنه ليس عنده من العلم الا ما عند الناس فقال:

«صدق والله ما عنده من العلم الا ما عند الناس ولكن عندنا والله الجامعة فيها الحلال والحرام وعندنا الجفر أفيدري عبد الله أمسك بعير أو مسك شاة وعندنا مصحف فاطمة اما والله ما فيه حرف من القرآن ولكنه املاء رسول الله صلي الله عليه وآله وخط علي عليه السلام كيف يصنع عبد الله إذا جائه الناس من كل فن يسألونه اما ترضون ان تكونوا يوم القيمة اخذين بحجزتنا ونحن اخذون بحجزة نبينا ونبينا اخذ بحجزة ربه»<sup>(1)</sup> وهذا يدل علي هيمنتها(عليها السلام) علي أولادها(عليهم السلام) وإلا فما معني أنها تقرر الوظائف لهم غير كونها ذات هيمنة!!

فقد كانت علاوة علي كونها بنت بدن النبي(صلي الله عليه وآله) هي بنت نور النبي(صلي الله عليه وآله) فلها هيمنة علمية نورية ولها ولاية أعظم من ولايتها علي البشر وهي ولايتها علي الأصفياء وولايتها علي الأئمة الأحد عشر(عليهم السلام).

فمقام المحدثثة يثبت لها ولاية الأمر لإدارة الدولة الإلهية، ولعل أحد تفاسير ما ورد: «علي معرفتها دارت القرون الأولى»<sup>(2)</sup> هو دوران القرون الأولى في الدولة الالهية السابقة علي معرفتها وولايتها، ولها8.

ص: 121

---

1- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار/ 181 باب ان الأئمة أعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة(عليها السلام).

2- الأمالي، الشيخ الطوسي 668.

ولاية عظمي بلحاظ النشاءات الآتية.

وقد قيل إن الكثير من أهل التشرف وأهل المعني رأوا رأي العين هيمنة فاطمة (عليها السلام) علي أولادها (عليهم السلام) وكونهم تحت إمرتها، والمدار كله في الاثبات علي ما قدمناه من دليل.

ص: 122

إشارة

المطلب الأول: مراسيم تسليم المصحف لفاطمة(عليها السلام)...

المطلب الثاني: العلوم المودعة في مصحفها...

نهج فاطمة(عليها السلام) قدوة...

المطلب الثالث: إشراف فاطمة(صلي الله عليه وآله) علي الإمامة الإلهية...

البعد الأول: الوساطة النورية...

البعد الثاني: الوساطة النورية تثبت الحجية...3

تحت عنوان مصحف فاطمة(عليها السلام) يقف الباحث علي مطالب جليلة تصب كُلهَا في تقريب ما لها من مقام إلهي خطير وموقع ديني خاص، منها:

**المطلب الأول: مراسيم تسليم المصحف لفاطمة(عليها السلام):**

قَالَ أحد المحققين الكبار مِنْ علماء الإمامية بعد أن أُطلع عَلَي بَعْض فقرات روايات المصحف: إِنَّ المصحف الشريف نزل عَلَي

فاطمة(عليها السلام) بكوكبة وهالة إلهية ملكوتية خاصة. انتهى

فلو أنَّه أطلع عَلَيَّ المقاطع الأخرى في الروايات فماذا يمكنه أن يقول!!

إذ الهيئة الاحتفالية والكوكبة الإلهية حين نزول الوحي الإلهي عليها(عليها السلام) نادراً ما نجد لها في الأنبياء أولي العزم إلا سَيِّدَ الأنبياء(صلي الله عليه وآله).

فتذكر في تسليم المصحف لفاطمة(عليها السلام) ما لَمْ يذكر في نزول الوحي عَلَيَّ الأنبياء، فَقَدْ أنزل عَلَيَّهَا المصحف في ليلة الجمعة في الثلث الثالث من الليل وكان النزول بأمر من الله تعالي وتوسط جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وَهُوَ أمر غريب ونادر، إذ غالباً ما كَانَ نزول الوحي عَلَيَّ سَيِّدَ الأنبياء(صلي الله عليه وآله) بتوسط نزول جبرائيل وفي بعض الحالات النادرة بتوسط إسرافيل أو بالوحي الذي هو أعظم من ذلك إذا لم يكن بين الله وبين سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) وسيط من الملائكة.

والملك الذي كان نزوله للتوسط في الوحي عَلَيَّ رَسُولَ الله(صلي الله عليه وآله) نادراً وَهُوَ إسرافيل كَانَ هُوَ مِنْ وَسَائطِ إنزال المصحف الشريف عَلَيَّ فاطمة(عليها السلام).

ويخطأ مَنْ يظن أن مقامات الملائكة عَلَيَّ مستوي موحد، بل الروايات بينت أنهم عَلَيَّ طبقات، فَإِنَّ إسرافيل فِي وصف الروايات ذا

شأن عظيم بحيث أن جبرائيل بالنسبة إليه كعصفور في بحر، بل كان يتخوف ويذعر من قدرة إسرافيل وقوته ذعراً شديداً بحيث يلوذ بسيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) هذاً مع ما ورد في الروايات من وصف جبرائيل بذي القوة المتين بحيث يقلب قري قوم لوط بطرف من جناحه.

فقد روي في تفسير القمي عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: بينا رسول الله (صلي الله عليه وآله) جالس وعنده جبرئيل إذ حانت من جبرئيل (عليه السلام) نظرة قبل السماء فامتقع لونه حتى صار كأنه كركمة ثم لاذ برسول الله (صلي الله عليه وآله).

فنظر رسول الله إلي حيث نظر جبرئيل فإذا شئ قد ملا ما بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب من الأرض ثم قال:

يا محمد إني رسول الله إليك أخبرك أن تكون ملكاً رسولاً أحب إليك أو تكون عبداً رسولاً.

فالتفت رسول الله (صلي الله عليه وآله) إلي جبرئيل وقد رجع إليه لونه.

فقال جبرئيل: بل كن عبداً رسولاً.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): بل أكون عبداً رسولاً، فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية ثم رفع اليمنى فوضعها في الثالثة ثم هكذا حتى انتهى إلي السماء السابعة كل سماء خطوة وكلما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل

فالتفت رسول الله (صلي الله عليه وآله) إلي جبرئيل فقال: لقد رأيتك ذعرا وما رأيت شيئا كان أذعر لي من تغير لونك.

فقال: يا نبي الله لا تلمني أتدري من هذا؟

قال: لا، قال: هذا إسرئيل حاجب الرب ولم ينزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض، فلما رأته منحطا ظننت انه جاء بقيام الساعة، فكان الذي رأيت من تغير لوني لذلك، فلما رأيت ما اصطفاك الله به رجعت إلي لوني ونفسي أما رأيت كلما ارتفع صغرا انه ليس شيء يدنو من الرب إلا صغرا لعظمته، ان هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم يلقيه اليه فيسعي به في السماوات والأرض انه لأدني خلق الرحمن منه وبينه وبينه سبعون حجبا من نور تقطع دونها الابصار ما لا يعد ولا يوصف واني لأقرب الخلق منه وبينه وبينه مسيرة الف عام(1).1.

ص: 126

1- تفسير القمي، القمي 2/28. بحار الانوار عنه. كتاب العرش، محمد بن عثمان ابن أبي شيبة/88 مع اختلاف يسير. ويدل علي علو مقام إسرئيل علي جبرئيل عدة شواهد منها ما ورد في روايات كثيرة أن جبرئيل يحدث عن إسرئيل وأسرئيل عن الله أو عن اللوح ومثاله ما رواه في معاني الأخبار بسنده عن علي بن موسى الرضا عن آباءه عن النبي، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرئيل، عن اللوح، عن القلم، قال: يقول الله تبارك وتعالى: «ولاية علي بن أبي طالب - صلوات الله عليهِ - حصني، فمن دخل حصني أمن ناري». معاني الأخبار، الصدوق/371. ومنها أنه سيد الملائكة فقد روي في شرح الاخبار عن النبي: النبي: ما خلق الله عز وجل شيئا إلا جعل له سيديا، فالنسر سيد الطيور والثور سيد البهائم والأسد سيد السباع وإسرئيل سيد الملائكة ويوم الجمعة سيد الأيام وشهر رمضان سيد الشهور وأنا سيد الأنبياء وعلي سيد الأوصياء. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي/1/223.

وإذا كان جبرائيل مَعَ ما لَهُ مِنْ مقام هُوَ الَّذي كَانَ ينزل عَلَي مريم فَإِنَّ إسرائيل كَانَ مِنْ جملة مَنْ ينزل عَلَي فاطمة(عليها السلام) فِي حالة خاصّة وطقوس ملكوتية واحتفالية إلهية، وَهُوَ ما لَمْ يعهد فِي أحد مِنْ الأئمة(عليهم السلام) حسب بياناتهم، هَذَا بالالتفات إلی أَنَّ تلك الهالة الملكوتية ليست تشریفات شكلية إِذْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَ الله بقدر وميزان.

ومما تَدُلُّ عَلَيهِ تلك المراسيم بدقائقتها ما لدي فاطمة(عليها السلام) مِنْ قدرة وأهليّة عَلَيّ تحمل نزول الوحي الإلهي، إِذْ أَنَّ نزول الوحي بكيفياته المختلفة يتطلب مِنْ متلقيه قدرة اصطفايية خاصة، فَهُوَ مما لا يمكن حتي للشياطين مَعَ ما لها مِنْ نفوذ بإذن الله أَنْ تدخل فيه، إِذْ يرافقه حصانة خاصة ليصل لمتلقيه كَمَا أَرَادَهُ الله؛ ولذا يتطلب قدرة خاصة وأهليّة استثنائية.

فما كَانَ مِنْ قدرة للنبي موسي(عليه السلام) لتحمل نزول وتنزل التوراة وما كَانَ لعيسي(عليها السلام) مِنْ أهلية لتلقي الإنجيل وما كَانَ مِنْ قابلية لدي سَيِّدِ الأنبياء(صلي الله عليه وآله) لتلقي القرآن، كُلُّ ذَلِكَ زُوِّدَتْ بِهِ فاطمة(عليها السلام).

إشارة

ومما ورد في روايات مصحفها أن فيه خبر ما كان وما يكون، وخبر كل سماء فسماء.

ولكي نقف على سعة هذا العلم وعظمته لأبد أن نستعلم من الروايات عدد السموات وأصنافها، فقد نطن أن عدد السموات محصور في سبع، فهل هو كذلك فحسب؟

إن ما تشير إليه الروايات هو وجود آلاف وآلاف من السموات السبع، فإن ما يطلق عليه سبع سموات عادة هو بحسب بيانات الوحي ما في العالم الجسماني وإلا فهي فيما لا يتناهي من الجسم اللطيف الذي فوق السموات السبع، إذا ثمة جبال من بردي وماء الذهب وغيرها، فالعوالم الجسمانية فوق بعضها البعض، وما هو فوق لا يقاس لما هو دون.

ومنه ندرك ما معني أن تعطي فاطمة (عليها السلام) خبر كل سماء فسماء، فليس المعني أنها أعطيت خبر سبع سموات إذ عدد السموات غير معلوم لدينا.

ولذلك انذهل أبو بصير حين سمع كلام الإمام الصادق (عليه السلام)، وقال متسائلاً هل كل هذا العلم في المصحف؟ فقال ويحك هذا في ورقتين من المصحف.



ومما وَرَدَ أيضاً أَنَّ مِنْ عُلُومِ مَصْحَفِهَا خَبَرَ الْحُكُومَاتِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ وَخَبَرَ كُلِّ مَلُوكِهَا وَحُكَّامِهَا.

ففي مصححة أبي بصير في دلائل الامامة وقد رواها عن اعلام زعماء الإمامية قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) عن مصحف فاطمة (عليها السلام) فقال: انزل عليها بعد موت أبيها.

فقلت: فففيه شيء من القرآن؟ قال: ما فيه شيء من القرآن.

قال: قلت: فصفه لي، قال: له دفتان من زبرجتين علي طول الورق وعرضه حمراوين .

قلت له: جعلت فداك صف لي ورقه، قال: ورقه من در أبيض قيل له: ( كن ) فكان .

قلت: جعلت فداك، فما فيه؟

قال: فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلي يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلا وغير مرسل، وأسمائهم، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب منهم، وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون

الأولي وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم، وفيه أسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك واحدا واحدا، وفيه صفة كراتهم، وفيه صفة جميع من تردد في الأدوار من الأولين والآخرين.

قال: قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار، وفيه أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وآجالهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل والزبور، وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد.

قال أبو جعفر (عليه السلام): فلما أراد الله تعالى أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل، هبطوا به عليها وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياما حتى قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا لها: السلام يقرئك السلام، ووضعوا المصحف في حجرها.

فقال لهم: الله السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعليكم يا رسل الله السلام، ثم عرجوا إلي السماء، فما زالت من بعد صلاة الفجر إلي زوال الشمس تقرأه، حتى أتت علي آخره .

ولقد كانت طاعتها مفروضة علي جميع من خلق الله من الجن والإنس، والطير والبهائم، والأنبياء والملائكة.

فقلت: جعلت فداك فلما مضت إلي من صار ذلك المصحف؟ فقال: دفعته إلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما مضى صار إلي الحسن، ثم إلي الحسين، ثم عند أهله حتي يدفعوه إلي صاحب هذا الأمر .

فقلت: إن هذا العلم كثير!

فقال: يا أبا محمد، إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه» (1).

وهذا يشير السؤال عن صلة فاطمة (عليها السلام) بهذا الصنف من الأخبار والعلوم.

فلم يطلع الله تعالى فاطمة (عليها السلام) على ملوك الأرض وملفات حكوماتها، وما شأن فاطمة (عليها السلام) بذلك، وما هذا الملف السياسي الذي يكشف لفاطمة (عليها السلام)؟.

ألا يدل ذلك على ما لها من شأن في مثل تلك الموضوعات والأحداث؟

وألا يدل على كونها مسؤولة من المسؤولين الكبار في الدولة الإلهية وفي الملكوت الإلهي في الظاهر والباطن؟6.

ص: 131

---

1- دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري ( الشيعي ) 104 ، 106.

وكيف يعزي لها كُلِّ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلا يَـةَ عَظْمِي عَلَيَّ الْعَوَالِمِ الْمُخْتَلَفَةِ؟

وأعظم مِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ مِنْ خِبر اللُّوحِ الأَخْضَرِ، وَالَّذِي لَمْ يودِعْ فِيهِ عِلْمَ حِكْمِ الأَرْضِ بَلْ ضَمَّنَ عِلْمَ الدَّوْلَةِ الإِلهِيَّةِ وَأَسْمَاءَ الأئِمَّةِ الاثني عشر، ذَلِكَ اللُّوحُ عِنْدَمَا نَزَلَهُ اللهُ عَلَيَّ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَخْصُّهُ بِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، أَيَّ أَنَّ عِلْمَ دَوْلَةِ الإِمَامَةِ الإِلهِيَّةِ وَاقَعَ تَحْتَ إِشْرَافِ فَاطِمَةَ، فَأَيَّ وَلا يَـةَ لَهَا، وَأَيَّ مَوْجِعِ صَدَارَةِ خِصَّتْ بِهَا.

فَقَدْ رَوَى فِي الإِمَامَةِ وَالتَّبَصُّرَةِ عَنِ أَبِي بَصِيرٍ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: قَالَ أَبِي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِعَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ: إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، فَمَتِي يَخْفِ عَلَيْكَ أَنْ أُخْلُوكَ فَأَسْأَلُكَ عَنْهَا؟

فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: فِي أَيِّ الأَوْقَاتِ شِئْتَ، فَخَلِي بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ لَهُ: يَا جَابِرُ، أَخْبِرْنِي عَنِ اللُّوحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسولِ اللهِ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَمَا أَخْبَرْتِكَ بِهِ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ اللُّوحِ مَكْتُوبًا، فَقَالَ جَابِرٌ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيَّ أُمِّكَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي حَيَاةِ رَسولِ اللهِ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَهْنَتْهَا بِوِلادَةِ الحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَرَأَيْتُ فِي يَدِهَا لَوْحًا أَخْضَرَ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زَمْرَدٍ، وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَابَةً بِيضَاءَ شَبِيهَةَ بِنورِ الشَّمْسِ، فَقُلْتُ لَهَا: بِأَيِّ أَنْتِ وَأُمِّي يَا بِنْتَ رَسولِ اللهِ مَا هَذَا اللُّوحُ؟

فَقَالَتْ: هَذَا اللُّوحُ أَهْدَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ رَسولَهُ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِيهِ اسْمُ

أبي، واسم بعلي، واسم ابني، وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي ليسرني بذلك»(1).

ولو أردنا تعميق هذا المطلب وبيان دورها وتأثيرها في سلسلة الحكام في الأرض فلا بد أن نطرح هذه المقدمة، وهي:

إن سلسلة الأحداث في الأرض ليست جبراً على البشر كما أنها غير مفوضة لهم، وإنما هي جارية على وفق نظام الأمر بين الأمرين.

إذ أن هذا النظام كما هو حاكم على صعيد الفعل الفردي إذ لا جبر ولا تفويض في فعل الإنسان الواحد، كذلك هو حاكم على الفعل الاجتماعي بنفس المقدار.

فلا تفويض للبشر في صنع وبلورة وصياغة أحداث الأرض كما أنه لا جبر ولا إزام من طرف الله تعالى، أي أن الله فعلاً ودوراً وللشعر فعلاً ودوراً، فمن جانب البشر فعلهم هو الإعداد لاتجاهات الحدث ومن جانب الله يكون دور العطاء غير المحظور.

وعلى هذا الأساس فلا يظن أن أمر الحكومات في الأرض موكول فقط و فقط لإرادة البشر، بل من الحتمي أن لقضاء الله وقدره تأثيراً.

والسؤال: من هو الذي ولّاه الله تقدير أمر الحكام في الأرض؟ 1.

ص: 133

---

1- الإمامة والتبصرة، علي ابن بابويه القمي 103 ، 109. الامالي، الطوسي / 291.

أوقل مَنْ هُوَ المخلوق الذي يتجلّي فيه فعل الله المبيّن في قاعدة «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»؟

وَجوابه: إِنَّ ما وَرَدَ في روايات المصحف مِنْ كون فاطمة(عليها السلام) معنيّة بأمر مَنْ يملك في الأرض وَمَنْ يحكم فيها سواء في الزمن الذي تكون فيه فاطمة(عليها السلام) عَلَي قيد الحياة أو بعده فيه إشارات إلي عموم ولايتها، وَأَنَّ لها مسؤولية إلهية مستمرة بلا توقّف.

ومعني أَنَّ فاطمة(عليها السلام) تجلّي لفعل الله في سلسلة الأحداث عَلَي المستوى الفردي والمستوي الاجتماعي لَيْسَ هُوَ الحتم والجبر وَإِنَّها مسؤولة عَنْ تسيير الأحداث بقالب جبري، بل هِيَ معنيّة ومسؤولة عَنْ حتم الأحداث مَعَ اشتغالها عَلَي البداء وبقاء مسؤولية البشر.

وبعبارة أُخري:

إِنَّ الله تَعَالَى لَمْ يخلق الكون ثُمَّ اعتزل عَنْ مملكته وترك الأُمور عَلَي عواهنها ففوض أمر الأفراد للأفراد، وأمر المجتمعات للإرادة الجمعيّة!!

وَإِنَّمَا لله إرادة وفعل في كُلّ حدث، والمعني بالجانب الإلهي في أفعال البشر هُوَ فاطمة(عليها السلام).

حَيْثُ لَمْ يُعط أحدا مسؤولية الاطلاع عَلَي مَنْ سيتقلّد الحكم والملك في الأرض سواء كَانَ مِنْ المسلمين أو غيرهم إِلَّا فاطمة(عليها السلام).

ص: 134

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ نَتَلَمَسُ التَّطَابُقَ وَالتَّشَاهِدَ بَيْنَ الْمَفَادِ الرَّوَائِيِ الْوَارِدِ فِي مَصْحَفِهَا وَبَيْنَ مَا سَيَأْتِي مِنْ شَهَادَةِ الْقُرْآنِ لَهَا بِوَلَايَةِ أَحْوَالِ الْأَرْضِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (1). (2)

### نهج فاطمة (عليها السلام) قدوة:

وَبَعْدَ كُلِّ مَا بَيْنَ مِنْ أَدْوَارٍ وَمَسْئُولِيَّاتٍ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) مِنْ حَقْنِهَا أَنْ نَسْتَغْرِبَ مِنْ سِيرَةِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَبْنُونَ عَلَى الْاسْتِغَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) أَوْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَكِنَّهُمْ يَهْجُرُونَ التَّوَسُّلَ عِلْمًا وَجَهْلًا بِمَنْهَاجِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) رَغْمَ أَنَّ مِنْهَا جِهَاتٌ غَوِثٌ وَغِيَاثٌ فِي الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ، فَلَيْسَتْ الزَّفِي مَحْصُورَةٌ فِي التَّحِبِّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) وَإِنْ كَانَ حُبُّهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الزَّفِي، لَكِنَّ أَحَدَ سَبَابِ التَّقَرُّبِ وَالْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ هُوَ الْمَثَابَةُ فِي فَهْمِ نَهْجِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) وَأَدْوَارِهَا بَعْدَ أَبِيهَا إِلَى جَنْبِ أَدْوَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام).

فَقَدْ كَانَ مِنْ مَنْهَجِهَا أَنَّهَا اسْتَنْهَضَتْ الْأَنْصَارَ عَسْكَرِيًّا فِي خُطْبَتِهَا لِتَثُورَ ضِدَّ الْمَسْتَوْلِيِّ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يَجْرُؤْ بِحَضْرَتِهَا (عَلَيْهَا السَّلَام) أَنْ يُبْدِيَ أَيَّ

ص: 135

1- سورة الحشر: الآية 7.

2- سورة 59 - آية 7

اعتراض، وهكذا سائر أركان السقيفة لم يجرؤا أمام مرأي المسلمين أن يبدوا صوت اعتراض علي منطلق فاطمة(عليها السلام).

وإن دل ذلك علي شيء فهو يدل علي ارتكاز لدي المسلمين والصحابة بثبوت صلاحيات لفاطمة(عليها السلام) وموقع إلهي في المسؤولية عن ملوك وحكام الأرض.

كما أنها أفصحت عن دور المؤمنين والمجتمع الإيماني في تغيير الحكومات والأحداث بمقتضي قاعدة «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

وستظل الحقيقة الكاملة فيما يخص معارف الدين وأحداث الصراع الأول ضائعة وخفية ما لم يسترجع الباحثون البحث المركّز في منهاج فاطمة(عليها السلام).

إذ أنه لولا موقفها لما وصلت الحقيقة الكاملة للأجيال، فقد كان دورها نبراساً لأساس الدين ومنهجاً لإصلاح ما فسد من أمور المسلمين.

### المطلب الثالث: إشراف فاطمة(عليها السلام) علي الإمامة الإلهية

#### إشارة

من أعظم ما ورد في مقام بيان الولاية الكبرى لفاطمة(عليها السلام) ما في المأثور: «ما تكاملت النبوة لنبي حتي أقر بفضلها ومحبتها» (1).

ص: 136

---

1- مجمع النورين، أبو الحسن المرندي/40 عن السيد في مدينة المعاجز، ويشهد له ما رواه في بصائر الدرجات بسند عال عن حذيفة بن أسعد قال قال رسول الله: «ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتي عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم» .93 .



ويمكن أن نُعبّر عن مفاد هذه الرواية بإشراف فاطمة(عليها السلام) علي النبوة ومقام الإمامة الإلهية فما من صاحب مقام - عدا سيّد الأنبياء - إلا وهو واقع تحت إشرافها ومباركتها لمقامه.

وما نحن بصدد الحديث عنه وهو مصحف فاطمة(عليها السلام) بيان لما لها من إشراف علي الإمامة الإلهية ومن أكثر من بعد.

### البعد الأول: الوساطة النورية:

من أجلي المعارف التي أفصحت عنها روايات المصحف هي كونه(عليها السلام) من مصادر علوم أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وبذلك يثبت لها(عليها السلام) بالنسبة لأولادها دور المعلّم الإلهي، أي مقام الوسيط بين الغيب والأئمة في تلقي العلوم الخاصة.

أي أنّ علوم المصحف لم تتلقاها فاطمة(عليها السلام) من تعليم النبي(صلي الله عليه وآله) من خلال نطقه وتلفظه، وهذا لا يعني أنّ ثمة علم يتلقي من غير وساطة النبي(صلي الله عليه وآله)، ولو افترض أنّ سنخاً من العلم لم يتوسّط النبي(صلي الله عليه وآله) فيه لنزعت عنه صفة الحجية والوحيانية.

وعلي هذا الأساس تكون وساطة النبي(صلي الله عليه وآله) في وصول علوم المصحف لفاطمة(عليها السلام) وساطة روحية نورية، وهذا معني ما قلناه من

أَنَّهَا لَمْ تَتَلَقَ الْعِلْمَ اللَّدُنِيَّ الْإِلَهِيَّ مِنْ شَفْتِي النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بَيْنَمَا تَلَقْتَهُ مِنْ رُوحِ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مَعْرِفِيَّةٌ عَامَةٌ مَفَادُهَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَإِنْ لَمْ يَلْتَقِ بِجَسَدِ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَيَسْمَعَ مِنْ شَفْتِيهِ الْمُبَارَكَتَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ يَتَلَقِي الْعُلُومَ مِنْ نُورِ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بَلْ هُمْ عَلَيَّ أَتَّصِلُ دَائِمًا بِطَبَقَةِ نُورِهِ.

وَقَدْ مَرَّ بِيَانُ هَذَا السَّنْخِ مِنْ الْإِتِّصَالِ عِنْدَ الْكَلَامِ حَوْلَ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فِي تَبْلِيغِ سُورَةِ الْبِرَاءَةِ.

وَعَلِيٌّ هَذَا الْأَسَاسُ يَثْبِتُ لَهَا وَسَاطَةَ فِيمَا بَيْنَ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَالْأُمَّةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) نَظِيرَ الْوَسَاطَةِ النُّورِيَّةِ لِلنَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بَيْنَ اللَّهِ وَالْأُمَّةِ، فَهِيَ وَسِيطٌ عِلْمِيٌّ لَهُمْ بِمَا تَوَسَّطَتْ فِيهِ مِنْ عُلُومِ الْمَصْحَفِ، بَلْ هِيَ دَائِمَةٌ الْوَسَاطَةَ حَتَّى وَهِيَ فِي عَالَمِ بَرَزَخِهَا.

وَيَتَصَوَّرُ هَذِهِ الْوَسَاطَةَ الْعِلْمِيَّةَ يَتَبَيَّنُ نَحْوَ مَنْ إِشْرَافَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) عَلَيَّ مَقَامَ الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

### **الْبَعْدُ الثَّانِي: الْوَسَاطَةُ النُّورِيَّةُ تَثْبِتُ الْحُجْبَةَ:**

مِنْ الْخَطَأِ أَنْ تَفْهَمَ الْوَسَاطَةَ الْعِلْمِيَّةَ فِي سَنْخِهَا النُّورِيَّ عَلَيَّ أَنَّهَا مَجْرَدٌ نَقْلٌ لِلْعُلُومِ مِنْ الْأَصْلِ إِلَى الْفُرْعِ كَنَقْلِ عُلُومِ الْعَالَمِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ عَبْرَ الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ، بَلْ الصَّحِيحُ أَنَّ الْوَسَاطَةَ الْعِلْمِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ مَقَامًا أَعْلَى

وأشرف من مقام المتلقين عنها، ولأجل ذلك جعلت واسطة، وهذا ما يدل على أن إيمان المؤمن لا يتم بالاعتقاد بإمامة الأئمة الإلهيين مقطوعاً عن الإقرار لفاطمة (عليها السلام) بالحجة.

وبذلك يثبت حجيتها (عليها السلام) بدليل مصحفها وما فيه من علوم، ويثبت أنها صاحبة مقام ملكوتي أعلي، وهو معني إشرافها على الإمامة الإلهية.

فإن قال قائل:

إنها لم تكن إماماً ولا قائداً عسكرياً، فكيف يثبت لها إشراف حقيقي ومقامي على الإمامة الإلهية؟

وجوابه: إن المقامات التنفيذية والعسكرية شيء وأهلية الأمانة على الوحي ومعارفه شيء آخر، فكما أن جبرائيل قد ثبت له مقام الأمين على الوحي ويجب الاعتقاد له بذلك من غير أن يكون قائداً عسكرياً ولا إذا إمامة تنفيذية فكذلك لفاطمة (عليها السلام) إشراف على الإمامة الإلهية لما لها من أهلية الأمانة على الوحي، أي أمانة من سنخ عالم النور.

وقد مر بنا سابقاً أنه ليس من الضروري في الحجج وتمييز مراتبها أن يكون لها تماس مباشر بالبشر، فإن بعض الحجج ممن ثبتت لهم مقامات عظيمة هي ثابتة لهم بما لهم من إدارة وتبدير في دائرة

ص: 139

المصطفين، وبما لهم من إشراف في ضمن حلقة الحجج الإلهية.

ومما يشير ويؤكد عليّ موقع إشراف لفاطمة(عليها السلام) ما ورد في روايات الخمس تحت قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنَّ) (1). (2)

فإنّ بين القريبي وهّم (الحسن والحسين والتسعة المعصومين) وبين رسول الله(صلي الله عليه وآله) همزة وصل ببركتها يرث الحسنان(عليهما السلام) ويرث التسعة المعصومون(عليهم السلام) من رسول الله(صلي الله عليه وآله)، أي أنّ الوراثة تمر بحلقة واصله، فلم يثبت للأئمة(عليهم السلام) ولاية عليّ الخمس ولم تسند لهم ولاية الفيء إلا عبر الوساطة والوراثة من فاطمة(عليها السلام)، فكل واحد من الأئمة المعصومين(عليهم السلام) حتمي آخرهم وهو الحجة المهدي(عليه السلام) إنّما هو الآن في كنف ولاية جدته فاطمة(عليها السلام) وينفذ ما يكون في دائرة أمريتها.

وهذه المضامين بألفاظ متعددة قد قرّرت في الروايات الشريفة.

وإن سألت عن مقام علي(عليها السلام)، فمقامه في التوسط في الوراثة مقام الشراكة مع الزهراء(عليها السلام). 1.

ص: 140

1- الانفال: الآية 41.

2- سوره 8 - آيه 41

إشارة

\*كلام المجلسي في هذا المقام.

\*النقطة الأولى: فاطمة(عليها السلام) ثالثة الحجج....

\*النقطة الثانية: البيت بيت الرُّوح.

\*النقطة الثالثة: الارتباط بين أرواحهم والعرش.

\*النقطة الرابعة: ارتباطهم بالعرش معراج.

\*النقطة الخامسة: امتداد صرح بيوت أرواحهم....

قد ورد في روايات متعددة تصريحاً وتلويحاً أن فاطمة(عليها السلام) هي ليلة القدر، أو أنها روح القدس، وغير ذلك من الأوصاف التي تشير إلى أنها واسطة فيض علمي للائمة من ذريتها(عليها السلام).

ولا يخفي أن تنزل الملائكة وروح القدس لا يقتصر على ليلة في شهر رمضان، بل قد ورد أنه في كل ليلة جمعة، بل في كل ساعة بعد ساعة يتنزل الأمر.

وقد ورد عن الصادق(عليه السلام) في صحيحة أبي بصير:

«أن هذا العلم هو أعظم علومهم وأنه أعظم من علمهم بالجامعة وعلمهم بالجفر ومن علمهم بالالف باب يفتح منه الف باب ومن علمهم بمصحف فاطمة»(1).

فهذا العلم وإن كان أعظم من علمهم بمصحف فاطمة(عليها السلام) إلا أنه في هذه الرواية بيان أن هذا العلم هو الآخر يستفيضه الأئمة من ذريتها بواسطة(عليها السلام)، مع أن علمهم بمصحف فاطمة(عليها السلام) قد جعل في هذه الصحيحة أعظم من العلم الذي علمه رسول الله(صلي الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام) الذي هو ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، وأعظم من علم الجامعة الذي هو املاء رسول الله(صلي الله عليه وآله) وخط علي(عليه السلام)، وأعظم من علم الجفر الذي فيه علم كل النبيين وكل الأوصياء من الأمم السابقة بل كل علم علماء الماضين .

والعمدة أن هذا المقام من كونها ليلة القدر جعل في صحيحة أبي بصير أعظم من مقامها(عليها السلام) في تلقي المصحف ووساطتها لعلم الأئمة(عليهم السلام) بتوسط مصحفها.

ويشير إلي ذلك عدة روايات:

(1) فرات قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبيد معنعنا عن أبي 9.

ص: 142

1- الكافي، الشيخ الكليني 1 / 239.

عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (1) الليلة فاطمة والقدر الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإما سميت فاطمة لان الخلق فطموا عن معرفتها وقوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) (2) يعني خير من ألف مؤمن وهي أم المؤمنين.

(تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) (3) والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد (صلي الله عليه وآله) والروح القدس هي فاطمة (عليها السلام) (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5) (4) يعني حتي يخرج القائم (عج) (5).

(2) وفي تأويل الآيات عن زرارة عن حمران قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عما يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدر الله فيها؟

قال: لا- توصف قدرة الله إلا أنه قال (فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (6) فكيف يكون حكيمًا إلا ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه، لأنه يحدث ما يشاء .

وأما قوله (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) (7) يعني فاطمة (عليها السلام)، وقوله (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) (8) والملائكة في هذا الموضوع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد (صلي الله عليه وآله) والروح القدس وهو في فاطمة (عليها السلام) (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ) (9) يقول: من كل أمر مسلمة) (حَتَّىٰ) (10) 2.

ص: 143

- 1- سورة 97 - آيه 1
- 2- سورة 97 - آيه 2
- 3- سورة 97 - آيه 4
- 4- سورة 97 - آيه 4
- 5- تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي 582.
- 6- سورة 44 - آيه 4
- 7- سورة 97 - آيه 3
- 8- سورة 97 - آيه 4
- 9- سورة 97 - آيه 4
- 10- سورة 97 - آيه 5

مَطَّلَعِ الْفَجْرِ (1) حتي يقوم القائم (عليه السلام) (2).

ومفاد الروايتين علي تأويل الآية الكريمة بنمط من التأويل أخفي مما ورد في بقية الروايات فقولهُ (عليه السلام) في الروايتين: (والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد(عليهم السلام) لعل ظاهره الأئمة من آل محمد(عليهم السلام) إذ أحد العناوين التي أشار بها القرآن لأئمة أهل البيت(عليهم السلام) في القرآن هو عنوان (المؤمنون) كما أشارت إليه جملة من الروايات في عدة مواضع من السور القرآنية.

فعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ( وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ) (3) قال: هم الأئمة (4).

وعن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكينا عند الرضا(عليه السلام) قال: قلت للرضا(عليه السلام): ادع الله لي ولأهل بيتي فقال: أو لست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: ( وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ) (5)

قال: هو والله علي بن أبي طالب(عليه السلام) (6).9.

ص: 144

- 
- 1- سورة 97 - آيه 5
  - 2- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي الغروي 818.
  - 3- سورة 9 - آيه 105
  - 4- الكافي، الشيخ الكليني 1 / 219.
  - 5- سورة 9 - آيه 105
  - 6- الكافي، الشيخ الكليني 1 / 219.



وعلي ضوء ذلك فتكون نسبة مقام فاطمة(عليها السلام) مع الائمة من ولدها نسبة الروح إلي الملائكة، وقد ورد أن الفارق بين الروح والملائكة أي روح القدس وجبرائيل(عليه السلام) وأخوته من الملائكة المقربين هو فارق شاسع جدا في القدرة والعلم والشأن.

فإذا كان تأويل الآية بارادة فاطمة(عليها السلام) من الروح وارادة الائمة(عليهم السلام) من الملائكة فهذا يبين الفارق بين مقامها(عليها السلام) ومقام الائمة من ولدها(عليهم السلام) .

فهي(عليها السلام) تكون بمثابة الأم لهم أي الأصل النوري والمرجع والمآل لهم، وأنهم منها انشعبوا ومنها اشتقوا، وأنها المحكم والأمومة المحكمة لتفصيل أنوارهم وعلومهم وهداياتهم.

وهذا مطابق لما ورد في القرآن وروايات الفريقين من أنها وعلي(عليهما السلام) البحران الذان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان من أئمة أهل البيت(عليهم السلام).

ويعاضد هذا الاحتمال في استظهار الائمة من أهل البيت(عليهم السلام) أن الامامة قد ورد التعبير عنها بالملك في القرآن الكريم في موارد عديدة، كما في قوله تعالى: ( أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَي مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ) (1) (2) و4.

ص: 145

1- سورة 4 - آية 54

2- سورة النساء: الآية 54.

ملك العلم هو ملك القدرة والولاية.

وقوله تعالى: ( وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ) (1). (2)

قال: فالنار هو القائم (عليه السلام) الذي قد أثار ضوؤه وخروجه لأهل الشرق والغرب .

و «الملائكة» هم الذين يملكون علم آل محمد (صلي الله عليه وآله) (3).

وعلي ضوء هذه الاحتمال في الرواية يحتمل كون المراد من المؤمنين هم الشيعة الحواريون لأهل البيت (عليهم السلام) نظير أصحاب القائم .

بل يقوي احتمال كونهم ائمة أهل البيت (عليهم السلام)، وأصحاب القائم (عليه السلام) شركاؤه في امامة أهل البيت (عليهم السلام) من بقية الائمة، كما ورد التعبير في الحديث النبوي عن ائمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد روي في بصائر الدرجات عن جعفر عن أبيه (عليهما السلام) أن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال: ما وجدتم في كتاب الله فالعمل به لازم لا عذر لكم في تركه وما لم يكن في كتاب الله وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فخذوه، فإنما مثل أصحابي فيكم كممثل النجوم فبأيها اخذ اهتدي وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم، د.

ص: 146

1- سورة المدثر: الآية 31.

2- سوره 74 - آيه 31

3- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي الغروي 710، كنز جامع الفوائد.

واختلاف أصحابي لكم رحمة قيل: يا رسول الله (صلي الله عليه وآله) ومن أصحابك قال أهل بيتي»(1).

وعلي كلا التقديرين فيظهر لها(عليها السلام) الشأن والمقام والهيمنة في الولاية علي تدبير الأمور.

### كلام المجلسي(ره) في هذا المقام:

#### إشارة

قال المجلسي(ره) في شرح الرواية الأولى:

وأما تأويله(عليه السلام) ليلة القدر بفاطمة(عليها السلام) فهذا بطن من بطون الآية، وتشبيهاً بالليلة إما لسترها وعفافها، أو لما يغشاها من ظلمات الظلم والجور.

وتأويل الفجر بقيام القائم بالثاني أنسب فإنه عند ذلك يسفر الحق وتنجلي عنهم ظلمات الجور والظلم، وعن أبصار الناس أغشية الشبه فيهم، ويحتمل أن يكون طلوع الفجر إشارة إلي طلوع الفجر من جهة المغرب الذي هو من علامات ظهوره.

والمراد بالمؤمنون الأئمة(عليهم السلام) وبين(عليه السلام) أنهم إنما سموا ملائكة لأنهم يملكون علم آل محمد(عليهم السلام) ويحفظونها ونزولهم فيها كناية عن حصولهم منها موافقا لما ورد في تأويل آية سورة الدخان أن الكتاب

ص: 147

المبين أمير المؤمنين (عليه السلام) والليلة المباركة فاطمة (عليها السلام) وفيها يفرق كل أمر حكيم» أي حكيم بعد حكيم وإمام بعد إمام .

وقوله: (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ) (1) علي هذا التأويل هي مبتدأ، وسلام خبره، أي ذات سلامة، ومن كل أمر متعلق بسلام، أي لا يضرها وأولادها ظلم الظالمين، ولا ينقص من درجاتهم المعنوية شيئاً، أو العصمة محفوظة فيهم فهم معصومون من الذنوب والخطأ والزلل إلي أن تظهر دولتهم ويتبين لجميع الناس فضلهم» (2).

(3) روي الكليني في الكافي بسنده إلي يعقوب بن جعفر بن ابراهيم قال كنت عند ابي الحسن موسى (عليه السلام) إذ اتاه رجل نصراني ... فقال النصراني:

إني أسألك - أصلحك الله - قال: سل، قال: أخبرني عن كتاب الله تعالى الذي انزل علي محمد ونطق به، ثم وصفه بما وصفه به، فقال: (حم (1) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) (3) ما تفسيرها في الباطن؟

فقال: أما حم فهو محمد (صلي الله عليه و آله) وهو في كتاب هود الذي انزل عليه وهو منقوص الحروف وأما «الكتاب المبين» فهو أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأما الليلة ففاطمة وأما قوله: «فيها يفرق كل أمر حكيم» يقول: يخرج 9.

ص: 148

1- سورة 97 - آيه 4

2- بحار الأنوار، المجلسي 25 / 99.

3- سورة 44 - آيه 1

منها خير كثير فرجل حكيم ورجل حكيم»(1).

وهذه الرواية هي الأخرى دالة علي تقدم رتبة الصديقة(عليها السلام) علي الائمة(عليهم السلام) من ذريتها وأن رتبته بعد النبي(صلي الله عليه وآله) وعلي(عليه السلام)، وأن مقامها مقام التدبير والتقدير وأن الائمة(عليهم السلام) من ذريتها أعوان وأعضاء ووزراء لها(عليها السلام)، وأنها واسطة فيض العلم من النبي وأمير المؤمنين(عليهم السلام) إلي الائمة من ذريتها(عليهم السلام) ومثلها دلالة الرواية السابقة.

ومفاد هذه الرواية يطابق ما مرّ من روايات الفريقين من تأويل البحرين ببحر علي وفاطمة(عليهما السلام)، وأن الائمة(عليهم السلام) من ذريتها هم ثمار وجواهر مستخرجة من بحر علي وبحر فاطمة(عليهما السلام).

وكذلك هذه الرواية تبين أن من الخير الكثير الذي يخرج من فاطمة(عليها السلام) الائمة(عليهم السلام) من ذريتها رجل حكيم بعد رجل حكيم وامام بعد امام.

(4) عن عبد الله بن عجلان السكوني قال:

سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول:

«بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله(صلي الله عليه وآله)، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوفة إلي العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحا ومساء، وفي كل ساعة9.

ص: 149

1- الكافي، الشيخ الكليني 1 / 479.

وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد.

وإن الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم (عليه السلام) عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد في قوة ناظره.

وإن الله زاد في قوة ناظر محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وكانوا يبصرون (العرش) ولا يجدون لبيوتهم سقفا غير العرش فيبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن، ومعارض: معراج الملائكة، والروح فوج بعد فوج لا انقطاع لهم.

وما من بيت من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة لقول الله عز وجلَّ «تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكل أمر سلام». قال: قلت: «من كل أمر»؟ قال: بكل أمر، قلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم» (1).

بيان الرواية في نقاط:

### **النقطة الأولى: فاطمة (عليها السلام) ثالثة الحجج:**

مفاد الرواية هو الآخر يبين أن رتبة فاطمة (عليها السلام) هي الثالثة في الاصطفاء بعد الرسول (صلي الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) حيث بدأ بالثلاثة واشترأهم في بيت

ص: 150

---

1- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي 818.

واحد، حيث إن التعبير أن البيت المشترك لعلي وفاطمة(عليهما السلام) هو من حجرة رسول الله(صلي الله عليه وآله)، أي أن البيت المشترك بينهما ناشئ من حجرة رسول الله(صلي الله عليه وآله)، ثم جمع(عليه السلام) الثلاثة في عنوان واحد وهو قوله (وسقف بيتهم).

### **النقطة الثانية: البيت بيت الرُّوح:**

لا يخفي إن المراد بالبيت هنا ليس هو الذي من حجر ومدر وطنين كما بين الباقر(عليه السلام) في رواية أخرى لقتادة(1)، بل المراد طبقات أبدانهم لأن البدن بيت للروح، والروح جسم رقيق، فالروح ذات الجسم الرقيق بيت لروح الروح وهلم ما جري.

ومن ثم نلاحظ أنه(عليه السلام) أفرد عنوان البيت ابتداءً وأسنده إلي علي وفاطمة(عليهما السلام) ثم أفرده وأسنده إلي الثلاثة ثم ذكره بصيغة الجمع وأسنده إلي الثلاثة، وعلي ذلك فكون سقفهم عرش رب العالمين يراد اتصال وارتباط أرواحهم الشريفة بالعرش.

### **النقطة الثالثة: الارتباط بين أرواحهم والعرش:**

قوله(عليه السلام) أن سقف بيتهم عرش رب العالمين، ليس يفيد الارتباط فقط بل يفيد حملهم للعرش.

ص: 151

ولعله أكثر من الحمل أيضا، وأما بيان كيفية نسبة هذا الحقيقة من الارتباط بين أرواحهم والعرش من كونه سقفا لبيوتهم أي بيوت أرواحهم أو أن قعر بيوتهم أي وسط أرواحهم وهو كناية عما بطن وأبطن من طبقات الأرواح التي فيهم، أن فيها فرجة مكشوفة أي باب مفتوح إلي العرش، وهذا غير أبواب السماوات، مع - حملة العرش - في قوله تعالى: ( الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ) (1). (2)

وكذا مع قوله تعالى: ( وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ) (3). (4)

وقوله تعالى: ( وَ الْمَلَكُ عَلِيٌّ أَزْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ) (5) (6) ، لا سيما مع قوله (عليه السلام):

«وإن الله زاد في قوة ناظرة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقا غير العرش فيبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن».

### النقطة الرابعة: ارتباطهم بالعرش معراج:

ثم إنه (عليه السلام) بين الرابطة بينه وبين العرش بأن هذا الارتباط معراج للوحي والملائكة والروح فوج بعد فوج لا ينقطع لا صباحا ولا مساء

ص: 152

1- سورة غافر: الآية 7.

2- سورة 40 - آية 7

3- سورة الحاقة: الآية 16.

4- سورة 69 - آية 16

5- سورة الحاقة: الآية 17.

6- سورة 69 - آية 17



ولا ساعة ولا طرفة عين.

ثم إنه (عليه السلام) شارك بيوت الأئمة (عليهم السلام) بهذا الوصف أيضا وأنه مفاد قوله تعالى:

«تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكل أمر سلام» وأن هذا التنزل وهو مفاد السورة دائم دائم لا ينقطع.

### **النقطة الخامسة: امتداد صرح بيوت أرواحهم:**

أن قوله (عليه السلام):

«لا يجدون لبيوتهم سقفا غير العرش فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن» يدل على امتداد صرح بيوت أرواحهم، والروح جسم رقيق في طبقات أرواحهم، أي طبقات الأجسام الرقيقة المشتدة لطافة بطبقات ممتدة في اللطافة إلى العرش بناء على أن العرش من الروحانيين كما بسطنا بحثه في الجزء الرابع من كتاب الرجعة.

والمحصلة:

قد مرّ وجوه دلالة الرواية في صدرها على كونها (عليها السلام) في الرتبة الثالثة في أهل البيت (عليهم السلام) اصطفاء وأن لها (عليها السلام) نحو مشاركة لأئمة المؤمنين (عليهم السلام) ولرسول الله (صلي الله عليه وآله)، وفي وسط الرواية أيضا قوله (عليه السلام) الذي مر «إن الله زاد في ناظرة محمد وعلي وفاطمة..» جعلت فاطمة (عليها السلام) في الرتبة الثالثة.

ص: 153



إشارة

\*الأمر الأول: تكرر نزول الملائكة العظام عليها...

\*الأمر الثاني: التعبير عما تتلقاه بالنزول...

\*الأمر الثالث: تسالم المسلمين علي الخصائص الاصطفائية لفاطمة(عليها السلام)...

\*الأمر الرابع: التولد من النبي(صلي الله عليه وآله) ممزوج بالجينات النبوية.

\*الأمر الخامس: توصيفها ببنوة أوصاف مقامات النبي(صلي الله عليه وآله)...

\*الأمر السادس: مصحف فاطمة(صلي الله عليه وآله) فيه تنزيل وتأويل القرآن.

\*علم جمع الجمع النبوي لدا فاطمة(عليها السلام)...

\*ارهابات الوحي...

\*ذكر شؤونها وصلاتها من المصحف...

\*مسألة: هل المصحف أكبر من القرآن...

دلت علي وجود إرهابيات للنبوة في فاطمة(عليها السلام) عدة نصوص وروايات، منها:

ما في زيارة عظيمة من زياراتها رواها بن طاووس في الإقبال والتي منها «.. وسللت منها أنوار الأئمة، وأرخيت دونها حجاب النبوة»(1).

وما رواه في الاحتجاج من قول أمير المؤمنين(عليه السلام) لها(عليها السلام): «لا ويل لك بل الويل لشانئك، ثم نهني عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة»(2).

وما رواه في المناقب عن النبي(صلي الله عليه وآله): فأنزل الله: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ)، يقول [الله]: أنا أرسلت البحرين علي بن أبي طالب بحر العلوم، وفاطمة بحر النبوة»(3).

إن الملاحظ فيما يرتبط بشؤون مقام العلم اللدني لفاطمة(عليها السلام) ورود التعبير المتعدد من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) بما يبين أن فاطمة(عليها السلام) وإن لم تكن نبية لكنها وعاء لنبوة أبيها، وأنها اختصت بشؤون نبوة أبيها وورثت تلك الشؤون عنه (صلي الله عليه وآله)، فهي وإن لم تكن نبية إلا أن جملة من شؤون الأنبياء والوحي النبوي النازل عليهم قد تحقق لها(عليها السلام)، فهي 01

ص: 156

1- إقبال الأعمال ، السيد ابن طاووس 3 / 166

2- الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي 1 / 146

3- مناقب آل أبي طالب، بن شهر آشوب 3 / 101

وإن لم تكن نبية إلا أنها واجدة لكمالات النبوة .

وقد أشير إلي هذه الشؤون في الروايات المستفيضة بألفاظ وعناوين عديدة، ونظيره المقام ما حررناه في الجزء الثاني من أن فاطمة(عليها السلام) وإن لم تكن إماما إلا أنها واجدة لكل مقامات الإمامة الإلهية بنص القرآن والسنة النبوية وسنة المعصومين القطعية، فكذلك الحال بالنسبة إلي مقام النبوة والوحي النبوي.

وليبيان ذلك نذكر عدة أمور مرتبطة بشؤونها في هذا المقام توضح معني ارخاء حجاب النبوة عنها ومعني كونها بقية النبوة ومعني كونها بحر النبوة.

### **الأمر الأول: تكرر نزول الملائكة العظام عليها(عليها السلام):**

إن الاستفادة من الروايات المستفيضة في مصحف فاطمة(عليها السلام) تعدد وتكرر نزول جبرئيل عليها بعد موت أبيها كما في قول الصادق(عليه السلام) في شرح مصحف فاطمة(عليها السلام): ( وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها علي أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة) (1).

وهذا الحديث يبين أن مجيء جبرائيل ونزوله عليها كان باستمرار

ص: 157

وأن قسما مهما من مصحفها كان نزوله تدريجيا وبنحو مستمر لا دفعة كما في قسم آخر من المصحف كما بينته رواية الباقر (عليه السلام).

وهذا التعبير بحد نفسه أيضا مما يناسب شؤون الوحي النبوي وإن لم تكن بنبية.

بل في بعض الروايات نزول إسرئيل وميكائيل عليها، بل في بعض الروايات جملة من الملائكة العظام.

وهذا الشأن من تكرر نزول جبرئيل والملائكة العظام لا يتحقق إلا للأنبياء أولي العزم ومن يتلو تلوهم من الأنبياء لا لسائر الأنبياء كما نبّه إلي ذلك المحقق الشاه آبادي (ره) حسب ما نقل عنه.

وقد شدّ المحقق القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) فذهب إلي كون مريم نبية لتحديث الملائكة لها وتمثل جبرائيل وتكلمه لها (1)، مع أنه لم يحصل لمريم ما حصل لفاطمة (عليها السلام) من تكرر نزول جبرائيل فضلا3.

ص: 158

1- (وإذا تقرر هذا فقد قيل: إن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة فيلزم عليه أن تكون مريم (عليها السلام) وأسية نبيتين، وقد قيل بذلك، والصحيح أن مريم نبية، لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلي سائر النبيين حسب ما تقدم ويأتي بيانه أيضا في (مريم)، وأما أسية فلم يرد ما يدل علي نبوتها دلالة واضحة بل علي صديقيتها وفضلها، علي ما يأتي بيانه في التحريم..... فظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلي آخر امرأة تقوم عليها الساعة، فإن الملائكة قد بلغتها الوحي عن الله عز وجل بالتكليف والخبار والبشارة كما بلغت سائر الأنبياء، فهي إذا نبية والنبي أفضل من الولي). (الجامع لأحكام القرآن) تفسير القرطبي (4 / 83).

عن اسرافيل وميكائيل ولا أنزل عليها مصحف ومع ذلك استدعي هذا الشأن في مريم القرطبي إلي القول بأنها نبيه.

وهذا القول وإن كان خاطئاً عن الحقيقة وشاذاً بين علماء الأمة إلا أنه ينبه علي أنه تحقق لمريم بعض شؤون النبوة وإن لم يكن نبوة حقيقية فكيف بما تحقق لفاطمة(عليها السلام) مما هو أعظم.

### الأمر الثاني: التعبير عما تلقاه بالنزول:

إنه ورد في روايات أهل البيت(عليهم السلام) في بيان مصحف فاطمة(عليها السلام) تعبير الباقر(عليه السلام) بقوله: «انزل عليها بعد موت أبيها»<sup>(1)</sup>.

وهذا التعبير نظير ما ينزل علي الأنبياء(عليهم السلام) من كتب وكذلك نظير قوله(عليه السلام): «فلما أراد الله تعالى أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف».

وهذا التعبير إنما يرد في وصف الوحي النبوي علي عظام الأنبياء(عليه السلام)، فهذه الارهاصات ارهاصات شؤون الوحي النبوي وإن لم تكن نبية.

ونظيره قوله(عليه السلام): «فهبطوا به وهي قائمة تصلي، فما زالوا قياماً حتي قعدت، ولما فرغت من صلاتها سلموا عليها وقالوا: السلام

ص: 159

يقرئك السلام، ووضعوا المصحف في حجرها»(1).

فهذا تعبير عن شؤون نزول الوحي النبوي ثم كيفية تعظيمهم لها وتسليمهم لها المصحف نظير نزول الألواح علي النبي موسى (عليه السلام) ثم نقلهم قول الله لها بالسلام ولاسيما أنه (عليه السلام) ذيل هذا الشأن لها بوصفه: «ولقد كانت مفروضة الطاعة علي جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة»(2).

فبيّن (عليه السلام) ولايتها (عليها السلام) علي جميع الأنبياء (عليهم السلام) وعلي جميع الملائكة وهذا إنما هو مقام خليفة الله في الأرض بل أعلي خلفاء الله في الأرض.

### الأمر الثالث: تسالم المسلمين علي الخصائص الاصطفائية لفاطمة (عليها السلام):

الملفت للنظر أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) رغم تسترهم في بيان أسرار الإمامة الإلهية وطريق الارتباط الوحياني بينهم وبين الغيب والسماء وتعبيرهم عن قناة ارتباطهم بألفاظ وعناوين بعيدة عن الايهام بأنها وحي نبوي، بينما نراهم (عليهم السلام) في شأن مصحف فاطمة (عليها السلام) وكيفية نزوله عليها لا يتحاشون هذه التعبيرات التي هي خاصة بشؤون الأنبياء.

وهذا مما ينبّه علي اصرار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) علي بيان عظمة

ص: 160

1- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي 6 / 208.

2- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي 6 / 208.



شؤون مقام العلم الوحياني لفاطمة(عليها السلام) كما أن ذلك يؤشر علي تسالم المسلمين علي خصائص اصطفائية إلهية في فاطمة(عليها السلام) فلا يستطيع المخالفون الانكار علي أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ما يبينونه من عظام شؤون علم فاطمة(عليها السلام) ولا يتخوفون من إيهام ذلك بالقول بنبوتها بعد بداهة أنها ليست بنبية .

### الأمر الرابع: التولد من النبي(صلي الله عليه وآله) ممزوج بالجينات النبوية:

إن خصوصية الوراثة والولادة من النبي(صلي الله عليه وآله) تعطي خصائص متميزة وراثيا، وقد أكد القرآن وأهل البيت(عليهم السلام) علي خصوصية الوراثة وتأثيرها في النسل والسلالة نظير قوله تعالى: ( ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) (1). (2)

ونظير ذكر القرآن آل ابراهيم وآل موسى وآل هارون وآل داود فضلا عن ذكر آل ياسين وهم آل محمد.

وكذلك قوله تعالى: ( وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) (3). (4)

وكذلك قوله تعالى علي لسان زكريا: ( فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا(6) (5). (6)

ص: 161

1- سورة آل عمران: الآية 34.

2- سورة 3 - آيه 34

3- سورة الشعراء: الآية 219.

4- سورة 26 - آيه 219

5- سورة مريم: الآية 5 - 6.

6- سورة 19 - آيه 5

وقوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) (1). (2)

فضلا عما ورد في متواتر الزيارات المروية من نعت أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بكونهم في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة. والحاصل إن تركيز الوحي علي العامل الوراثي الحاضن شيء كبير لسنا في صدد الخوض والبسط فيه.

وقد ورد عن النبي (صلي الله عليه وآله) في توصيف عمه أبي طالب (عليه السلام): «لو أن أبا طالب ولد الناس لكانوا شجعانا» (3).

وفي كشف الغمة «لله در أبي طالب لو ولد الناس كلهم كانوا شجعانا» (4).

وورد عنه قوله (صلي الله عليه وآله) في شأن ابنه إبراهيم: «ولو عاش إبراهيم لكان نبيا» (5).

وهذا يعطي الميزة الوراثية للنبي (صلي الله عليه وآله) في سلالة أنها انبائية. 5.

ص: 162

1- سورة النمل: الآية 16.

2- سوره 27 - آيه 16

3- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، الزمخشري 2 / 204 / شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد 10 / 78.

4- كشف الغمة في معرفة الأئمة، الاربلي 2 / 235.

5- كنز جامع الفوائد / تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي 832 / تفسير فرات

الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي 586 / حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني 2 / 409 فتح الباري، ابن حجر 10 / 477 / كنز العمال،

المتقي الهندي 12 / 455.

وقد ورد في شأن القاسم والظاهر ابنائه من خديجة ما يدل علي اصطفايتهما، فعن حذيفة قال: خرج علينا رسول الله (صلي الله عليه وآله) حاملا للحسن علي عاتقه والحسين علي صدره،... ثم قال: هذا الحسن والحسين خير الناس جدا وجدة، وهذا الحسن والحسين خير الناس أما وأبا، وهذا الحسن والحسين خير الناس عما وعمة، وهذا الحسن والحسين خير الناس خالا وخالة.

أما جدتهما فرسول الله (صلي الله عليه وآله) وجدتهما خديجة وهما في الجنة .

وأما أبوهما فعلي وأمهما فاطمة (عليها السلام) وهما في الجنة .

وأما عمهما فجعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هانئ ابنة أبي طالب وهما في الجنة .

وأما خالهما إبراهيم والقاسم ابنا رسول الله (صلي الله عليه وآله) وخالتهما رقية وزينب وأم كلثوم وهم في الجنة(1).

وروي في كشف الغمة عن يونس بن عبيد قال لما حضرت الحسن بن علي (عليهما السلام) الوفاة كأنه جزع عند الموت! فقال له الحسين (عليه السلام)-2.

ص: 163

---

1- مناقب الإمام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي 2/ 411 شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي 1/ 120 / مناقب علي بن ابي طالب ، بن المغازلي 241 / الروضة في فضائل أمير المؤمنين ، شاذان بن جبرئيل القمي ( بن شاذان) 90 / الطوائف في معرفة مذهب الطوائف ، السيد بن طاووس 92 / حلية الابرار، السيد هاشم البحراني 2/ 145 / مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني 3/ 282.

كأنه يعزّيه -: يا أخي! ما هذا الجزعُ؟ إِنَّكَ تَرُدُّ عَلَي رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله) وَعَلَيَّ (عليه السلام)، وهما أبواك، وَعَلَي خَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ وَهُمَا أُمَّكَ، وَعَلَي الْقَاسِمِ وَالطَّاهِرِ وَهُمَا خَالَكَ، وَعَلَي حَمَزَةَ وَجَعْفَرَ وَهُمَا عَمَّاكَ» (1).

وهذا مما يدل علي أن السلالة الوراثية عن سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) ممزوجة بالجينة النبوية والطينة الإنبائية.

### الأمر الخامس: توصيفها ببنوة أوصاف مقامات النبي (صلي الله عليه وآله):

يلاحظ في زيارة البضعة الصديقة (عليها السلام) - التي من فقراتها:

«السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبي الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفي الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك يا بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا بنت خير البرية» (2) - التركيز علي توصيفها ببنوة أوصاف مقامات النبي (صلي الله عليه وآله).

فكيف يكون شأننا ومقاما لها (عليها السلام)؟

ص: 164

1- كشف الغمة في معرفة الأئمة، الاربلي 175 / 2

2- مصباح المتعجب، الشيخ الطوسي 711 / تهذيب الاحكام، الشيخ الطوسي 6 / 10 / من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق 573 / 2 / المزار، محمد بن جعفر المشهدي 80.

ولبيان ذلك نقول: إن كل مقام من مقامات النبي (عليها السلام) لا محالة ينعكس عليها وراثته، ولا سيما وأنها وريثة له بوراثته اصطفاوية، أي ترث مقاماته الاصطفائية باصطفاء الله لها كوارث، وما اعظمه من مقام وشأن.

ومن ثم قد يعد هذا المقام من أعظم مقاماتها، وهذا ما نراه بوضوح في رواية المفاضلة بينها وبين أمير المؤمنين (عليه السلام).

فهذا المقام يفتح عموم اتصافها بمقامات أبيها تبعا ويا له من مقام.

## الأمر السادس: مصحف فاطمة فيه تنزيل وتأويل القرآن:

### إشارة

روي في الكافي عن أبي بصير قال: بينا رسول الله (صلي الله عليه وآله) ذات يوم جالسا... ثم أتى الوحي إلي النبي (صلي الله عليه وآله) فقال: سألت سائل بعذاب واقع \* للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع \* من الله ذي المعارج» قال: قلت: جعلت فداك إنا لا نقرأها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل علي محمد (صلي الله عليه وآله) وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة «(1).

وروي في شرح الأخبار عن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه، إنه قال في قول الله عز وجل:

«سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج»، قال: نزلت والله

ص: 165

---

1- الكافي، الشيخ الكليني 8 / 58، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي 724 / ما رواه محمد البرقي.

بمكة للكافرين بولاية علي (عليه السلام)، وكذلك هي في مصحف فاطمة»(1).

وفي البحار عن تأويل الآيات عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: والله ما كني الله في كتابه حتي قال: «يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلاً» وإنما هي في مصحف فاطمة (عليها السلام) «يا ويلتي ليتني لم أتخذ - الثاني - خليلاً» وسيظهر يوماً»(2).

وهذا مما يعطي عظمة أخرى لمصحف فاطمة (عليها السلام) أنه يضاهي مصحف علي (عليه السلام) الذي جمعه بخط يده وزياد.

ومن ثمة ورد في روايات أخرى أن في مصحف فاطمة (عليها السلام) علم القرآن كما أنزل وعلم التوراة كما أنزل وعلم الانجيل كما أنزل وعلم الزبور كما أنزل فضلاً عن الأبواب الأخرى في مصحفها (عليها السلام).

وهذا المفاد بنفسه يبين هيمنة فاطمة (عليها السلام) علي الأنبياء من أولي العزم علماً، بل علي الأئمة (عليهم السلام) من ذريتها علماً وقدرة وولاية.

### علم جمع الجمع النبوي لدي فاطمة (عليها السلام):

وإن علمها من جوامع العلوم النبوية وإلي هذا يشير وصفها ببقية النبوة أو بحر النبوة أو أرخت دونها حجاب النبوة وليس المقصود نبوءات الأنبياء بل نبوة سيد الأنبياء.

ص: 166

---

1- شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي 1 / 241.

2- بحار الأنوار، المجلسي 30 / 245 ينقله عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة.

وروي في بصائر الدرجات عن الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (صلي الله عليه وآله) دخل علي فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه الا الله عز وجل فأرسل إليها ملكا يسلي عنها غمها ويحدثنا فشكت ذلك إلي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لها إذا أحسست بذلك فسمعت الصوت فقولي لي فأعلمته فجعل يكتب كلما سمع حتي أثبت من ذلك مصحفا.

قال ثم قال أما أنه ليس فيه من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون»<sup>(1)</sup>.

وروي بصائر الدرجات عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «وإن عندنا لمصحف فاطمة (عليها السلام) وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء املاها الله وأوحى إليها»<sup>(2)</sup>.

وروي في بصائر الدرجات عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: مصحف فاطمة ما فيه شيء ما كتاب الله وإنما هو شيء القى عليها بعد موت أبيها (صلي الله عليه وآله)»<sup>(3)</sup>.

ص: 167

---

1- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن (الصفار) 177 / الكافي، الشيخ الكليني 1 / 240.

2- نفس المصدر / 172.

3- بصائر الدرجات، الصفار / 169.

وروي في دلائل الامامة عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) عن مصحف فاطمة (عليها السلام) فقال: انزل عليها بعد موت أبيها»(1).

وهذه النصوص تبين مدى قابلية الزهراء (عليها السلام) لتنزل الملك عليها واحساسها به، ومن ثم تعلم أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وهذا نظير ما في الخطبة:

«وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحِ النَّبُوءَةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (صلي الله عليه وآله) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍِّّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلِي خَيْرٌ»(2).

وقد يثار تساؤل وهو إن التعبير بنزول أو بإلقاء مصحف لفاطمة (عليها السلام) من الله تعالى هل هو نظير نزول القرآن علي محمد (صلي الله عليه وآله) أو إلقاء التوراة لموسى (عليه السلام) والإنجيل لعيسى (عليه السلام) والزبور علي داود (عليه السلام)؟

وهل فاطمة (عليها السلام) في عداد الأنبياء ينزل عليها كتاب ويلقي عليها مصحف؟

وكيف يتم التعبير من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) إن المصحف «املاها» 1.

ص: 168

1- دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي 105.

2- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (تحقيق صالح) 301.



الله وأوحى إليها، انزل عليها، القي عليها؟

وهذه التعابير نظير نزول الكتب علي الأنبياء لا سيما وأن المصحف كما بيّنت الروايات فيه علم القرآن كله وعلم التوراة كله وعلم الزبور كله، أي علم الكتب السماوية كلها غير ما فيه من أمور عظام كبيرة وكثيرة ومهولة، فأى كتاب هذا؟

وكيف أصبحت فاطمة(عليها السلام) من أصحاب الكتب في عداد وصف الأنبياء وإن لم تكن نبية بالبديهية لكنها وصفت في الروايات في طرق الفريقين أنها بحر النبوة.

والتعبير ب- (بحر النبوة) فيه من الاشارة والتلويح الشيء العظيم حيث إنه يشير إلي أنها معدن النبوة والنبوءات لسائر الأنبياء، وأنها مخزن نبوة أبيها الذي له أعظم النبوءات .

وقد مرّ أن أمير المؤمنين(عليه السلام) وصف أنه (بحر العلم) بينما وصفت هي ب- (بحر النبوة)، وفي ذلك اشارة واضحة إلي أن سنخ مستقي علم أمير المؤمنين(عليه السلام) هو علم الولاية، بينما سنخ مستقي الصديقة(عليها السلام) هو علم النبوة فمن ثم شوهد فيها ارهاصات النبوة ونزول هذا الكتاب العظيم عليها وإن لم تكن نبية.

ومن الملفت للنظر أن هذا المصحف ليس علمه لعموم الناس، بل ولا لعموم العلماء، بل ولا لعموم الأنبياء، بل هو خاص خصيص

ص: 169

بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

فما السرّ السّار في علم هذا الكتاب الذي حجب عن جميع الأنبياء وخص به أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومن ثم ورد في شأنها أن الخلق فطموا عن معرفتها بما فيهم الأنبياء والرسل «وأن علي معرفتها دارت القرون الأولى»<sup>(1)</sup>.

ولعل أحد أهم معاني (دارت) الحيرة والتحير.

### ذكر شؤونها وصلاحتها من المصحف:

ففي مصححة أبي بصير في دلائل الإمامة وقد رواها عن أعلام زعماء الإمامية قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) عن مصحف فاطمة (عليها السلام)، فقال: انزل عليها بعد موت أبيها.

فقلت: ففيه شيء من القرآن؟ قال: ما فيه شيء من القرآن.

قال: قلت: فصفه لي، قال: له دفتان من زبرجتين علي طول الورق وعرضه حمراوين .

قلت له: جعلت فداك صف لي ورقه، قال: ورقه من در أبيض قيل له: (كن) فكان .

قلت: جعلت فداك، فما فيه؟

ص: 170

1- الأمالي ، الشيخ الطوسي 668.

قال: فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلي يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلًا وغير مرسل، وأسماءهم، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب منهم، وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعدددهم، وفيه أسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك واحدا واحدا، وفيه صفة كراتهم، وفيه صفة جميع من تردد في الأدوار من الأولين والآخرين.

قال: قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار، وفيه أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وأجالهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل والزيور، وعدد كل شجرة ومدرسة في جميع البلاد .

قال أبو جعفر (عليه السلام): فلما أراد الله تعالى أن ينزله عليها، أمر جبرئيل وميكائيل وإسرافيل أن يحملوا المصحف فينزلوا به عليها، وذلك في ليلة الجمعة من الثلث الثاني من الليل، هبطوا به عليها وهي قائمة

تصلي، فما زالوا قياما حتي قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا لها: السلام يقرئك السلام، ووضعوا المصحف في حجرها .  
فقلت لهم: الله السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعليكم يا رسل الله السلام، ثم عرجوا إلي السماء، فما زالت من بعد صلاة الفجر إلي  
زوال الشمس تقرأه، حتي أتت علي آخره .

ولقد كانت(عليها السلام) طاعتها مفروضة علي جميع من خلق الله من الجن والإنس، والطير والبهائم، والأنبياء والملائكة.  
فقلت: جعلت فداك فلما مضت إلي من صار ذلك المصحف؟ فقال: دفعته إلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما مضى صار إلي الحسن،  
ثم إلي الحسين، ثم عند أهله حتي يدفعوه إلي صاحب هذا الأمر .

فقلت: إن هذا العلم كثيرا!

فقال: يا أبا محمد، إن هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه (1).  
وفي هذه الرواية بيان لما يتضمنه المصحف وهو في الحقيقة بيان لمواطن ولاية فاطمة(عليها السلام) وهيمنتها في التدبير.6.

ص: 172

وكتابة هذه الحقائق العظيمة المهمولة في مصحفها ليس مجرد إنباء وإخبار، وإنما هو بيان مواطن وموارد مسؤولياتها ومحال رعايتها لتلك الأمور وتديرها لها وصلاتها الموكلة لها من الله تعالى، ولا سيما مع ما تمت الإشارة إليه من أن مصحف فاطمة (عليها السلام) ليس مجرد ورق منقوش بل أصله روح من عالم الأمر وإنما هذا المتنزل تنزيل له وهذا شأن جميع الكتب السماوية النازلة، وبالتالي فإن هذا الروح من عالم الأمر هو مقام وقدرة تكوينية مهيمنة علي أرواح الكتب السماوية.

### مسألة: هل المصحف أكبر من القرآن:

وقد يعترض أن هذا الشأن المهمول العظيم لمصحف فاطمة (عليها السلام) ولا سيما أنه حقيقة ملكوتية تفوق بقية الكتب السماوية، فهل هذا يعني أنه قد أنزل علي فاطمة (عليها السلام) ما لم ينزل علي سيد الرسل (صلي الله عليه وآله)، وهل يعني ذلك أن كتابها يعظم كتاب أيها، وكيف يصار إلي ذلك؟

والجواب:

1) قد بيّن في الروايات أنه إملاء من رسول الله (صلي الله عليه وآله)، أي من مقامه النوري وقلبه الذي هو بيت الله المعمور وخط علي (عليه السلام).

ولا منافاة بين ما ورد من أنه إملاء الله إليها وأوحى إليها وبين ما ورد أنه إملاء من رسول الله (صلي الله عليه وآله) لكنه إملاء منه بعد رحيله إلي الرفيق الأعلى.

ص: 173

والحاصل أن ما نزل علي فاطمة(عليها السلام) إنما هو من فيوضات النبي(صلي الله عليه وآله)، أي أنه فيض الله علي فاطمة(عليها السلام) بتوسط النبي(صلي الله عليه وآله).

وقد قرر أهل البيت(عليهم السلام) قاعدة في معارفهم قد عقد لها الكليني بابا في أصول الكافي وهي أن ما ينزل علي عترة النبي(صلي الله عليه وآله) من علوم وكمالات وفيوضات إنما هي من الله بتوسط وواسطة من النبي(صلي الله عليه وآله)، فهو الشافع التكويني لنزول الفيض لهم من الله تعالى.

(2) إن ما ذكر من شؤون في مصحف فاطمة(عليها السلام) إنما هو باطن حقيقة القرآن وتأويلاته .

وقد ورد نظير هذه المقامات والشؤون لمنازل ومقامات القرآن الغيبية.

وأما ما ورد في عدة روايات أن مصحف فاطمة(عليها السلام) ليس فيه (شيء من قرآنكم) فالمراد به تنزيل القرآن وهو المصحف الشريف، ومن ثم(عليه السلام) أضاف القرآن إلي الناس(قرآنكم).

(3) قد بينا في كتاب (مقامات النبوة) أن ما يشير إليه القرآن من مقامات النبي(صلي الله عليه وآله) هي أعظم من القرآن، وأن القرآن العظيم هو أحد بحور النور النابع من مقامات النبي(صلي الله عليه وآله).

ومن ثم قدمت مقامات النبي(صلي الله عليه وآله) الغيبة المشار إليها بالحروف المقطعة في بدايات السور علي اسم الكتاب نظير قوله تعالى: (يس (1) [\(1\)](#))

ص: 174

1- سورة 36 - آيه 1

وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (1)(2)(3) ، ونحو ذلك .

وقد اشار إلي ذلك زين العابدين (عليه السلام) في الصحيفة السجادية في ذكر الصلوات وهي: (وقلت جل قولك له حين اختصاصته بما سميته من الأسماء: ( طه (1) ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقِيَ (2) (4) وقلت عز قولك: ( يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) (5) وقلت تقدست أسماؤك ( صور القرآن ذي الذكر) وقلت عظمت آلاؤك ( قو القرآن المجيد ) فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته وقرنت القرآن به، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلا وهو اسمه، وذلك شرف شرفته به، وفضل بعثته إليه، تعجز الألسن والأفهام عن وصف مرادك به» (2).

وقد ذكر (عليه السلام) في الرواية السابقة جملة مواطن لولايتها وهيمنتها ومقام تديبرها:

(1) خبر ما سيكون إلي عالم القيامة.

والظاهر أن المراد من ذلك مستقبل العوالم من البرزخ والرجعة والرجعات إلي يوم القيامة.ر.

ص: 175

---

1- الصحيفة السجادية، الامام زين العابدين (الابطحي) 311 دعاؤه\* في يوم الفطر.

2- سورة يس: الآية 1 - 2.

3- سوره 36 - آيه 2

4- سوره 20 - آيه 1

5- سوره 36 - آيه 1

(2) عدد كل سماء سماء.

(3) وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير الملائكة.

(4) وعدد الأنبياء المرسلين وغير المرسلين، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب منهم.

وهذه احاطة عظيمة بمسؤوليات الأنبياء (عليهم السلام).

(5) أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأولين والآخرين.

وهذا ديوان حساب الخلائق يوم القيامة مما يبين أنها (عليها السلام) ولية الحساب.

(6) أسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين.

وهذا مما يدل على ولايتها (عليها السلام) على كل أهل الأرض ورعايتها وتديرها لهم.

(7) صفة القرون الأولى وقصصهم، وصفة أسماء جميع من خلق الله من الأولين والآخرين وآجالهم.

وهذا ما يدل على أن ولايتها (عليها السلام) قبل ولادتها، وأنها شاهدة على كل الخلق، وأنها ولية الحساب على الإنس والجن والملائكة

وغيرهم

ص: 176



من المخلوقات.

(8) ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم.

(9) وفيه أسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك واحد واحد، وفيه صفة كراتهم.

وكون مصحفها(عليها السلام) حاويا لأسماء أئمة أهل البيت(عليهم السلام) نظير ما ورد من نزول اللوح الأخضر المدون فيه أسماء الأئمة(عليهم السلام) واسم النبي(صلي الله عليه وآله) واسم الوصي(عليه السلام) ليس شأن هذا التدوين لأسمائهم يقف عند كونه سجل ملكوتي دون فيه مقامات سادات الأوصياء فحسب، بل إن في ذلك اطلاق وإنباء عن أخطر أسرار المقامات الإلهية، وهو بيان أسماء أئمة العترة(عليهم السلام) .

وهذا مما يبين أنها(عليها السلام) ذات صلة وشأن بتعيين وجعل الله لإمامة أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، فإن لاطلاع الله تعالى لها(عليها السلام) علي هذا الجعل الإلهي العظيم دلالة واضحة أنها معنية بشؤون الإئمة من ذريتها كما أنها معنية بنبوة أبيها(صلي الله عليه وآله) وإمامة بعلمها(عليه السلام) شراكة تبعية لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء.

وكذلك أنها(عليها السلام) مهيمنة علي إمامة ذريتها(عليهم السلام)، ففي صحيحة سليمان بن خالد الواردة حول منازعة بني الحسن وادعائهم الإمامة في زمان الصادق(عليه السلام) قال سمعته يقول: (إن في الجفر الذي يذكرونه لما

ص: 177

يسؤهم لأنهم لا- يقولون الحق والحق فيه فليخرجوا قضايا علي (عليه السلام) وفرايضه إن كانوا صادقين، وسلوهم عن الخالات والعمات وليخرجوا مصحف فاطمة فإن فيه وصية فاطمة ومعه سلاح رسول الله (صلي الله عليه و آله)، إن الله يقول إيتوني بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم أن كنتم صادقين) (1)، وكذا صحيحة هشام بن سالم.

ومفاد هذا الصحيح كما بيناه في الجزء الأول من كتاب المقامات دال بوضوح علي أن مقام الإمامة في ذريتها هو من شؤون وصيتها، ووصية الموصي إنما تتعلق بموارد وشؤون ولايته.

فهذا المفاد دال بوضوح علي أنها (عليها السلام) ذات مقام ولائي مشرف ومهيمن علي إمامة الأئمة (عليهم السلام) من ذريتها.

(10) وفيه صفة جميع من تردد في الأدوار من الأولين والآخرين، وأن كل دور خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار.

وهذا مما يدل علي أن ولاية فاطمة (عليها السلام) محيطة بدورات الخلق السابقة نظير ما ورد أن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) (2) فقال: يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفني هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا7.

ص: 178

---

1- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن (الصفار) 177.

2- سورة 50 - آيه 15

العالم وجدد عالما من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلمهم، لعلك تري أن الله عزوجل إنما خلق هذا العالم الواحد، وتري أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم، بل والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين»(1)، إلي غير ذلك مما يشير في الروايات إلي دورات الخلق السابقة.

11) وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء.

وهذا بيّن ولايتها(عليها السلام) علي الحساب نظير ما ذكر من مقام لأمير المؤمنين(عليه السلام) أنه قسيم الجنة والنار فقد روي في الأمالي عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله): (معاشر الناس، إن عليا قسيم النار، لا يدخل النار ولي له، ولا ينجو منها عدو له، إنه قسيم الجنة، لا يدخلها عدو له، ولا يزحزح عنها ولي له»(2).

وقال(عليه السلام):

«أنا قسيم الجنة والنار ادخل أوليائي الجنة و ادخل أعدائي النار»(3).

وورد في زيارته(عليه السلام):

«السلام عليك يا قسيم الجنة والنار»(4).0.

ص: 179

1- الخصال، الشيخ الصدوق: 652.

2- الأمالي، الشيخ الصدوق: 83.

3- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار 435.

4- الكافي، الشيخ الكليني 4 / 570.

12) وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت وعلم الإنجيل والزبور.

وهذا اشارة إلى هيمنة مصحفها(عليها السلام) علي الكتب السماوية وهي ما تلقته عن نور النبي(صلي الله عليه وآله) وقلبه الذي هو البيت المعمور وليس عن بدنه، إذ قد انزل عليها وأوحى اليها بعد شهادة أبيها.

ومصحفها مهيمن علي تنزيل القرآن، إذ قد مر أن هذا المصحف الشريف متطابق مع باطن القرآن.

13) وتصيصة(عليه السلام) بقوله: (طاعتها(عليها السلام) مفروضة علي جميع من خلق الله من الجن والإنس، والطير والبهائم، والأنبياء والملائكة) لأجل أن يبعد عن ذهن الراوي توهم الاعتراض علي هول ما في مصحف فاطمة(عليها السلام) من عظام الأمور من أسرار أمر الله ووحيه فيجيبه(عليه السلام) بأن مقام ولايتها(عليها السلام) مهيمن علي الخلق كلهم بما فيهم الأنبياء وجميع الملائكة.

فكيف لا يكون ما اوحى إليها من المصحف مشتمل علي هذه المقامات والشؤون العظيمة من الصلاحيات والولايات في العوالم كُلِّها!.

14) ووصف المصحف الشريف في الرواية

«له دفتان من زبرجدتين علي طول الورق وعرضه حمراوين، وورقه من در أبيض»،

ص: 180

وأنه مشتمل علي ورق وأن ما حكاه(عليه السلام) إنما هو ورقتين.

فيه اشارة إلي أن فيه أمور عظام لم يتحملها أبو بصير وهي من الأسرار الخاصة بأئمة أهل البيت(عليهم السلام) والظاهر ارتباطها بشؤون إمامتهم.

ومن ثم ورد في الرواية أن من علامات إمامة الإمام قبضه لمصحف فاطمة(عليها السلام)، فعن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول:

«ما مات أبو جعفر(عليه السلام) حتي قبض مصحف فاطمة(عليها السلام)»(1).

وكل ما ذكره الإمام(عليه السلام) من شؤون وصلاحيات لفاطمة(عليها السلام) في العوالم المذكور في ورقتين من مصحفها، فكم بقي من ورق؟8.

ص: 181

---

1- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن (الصفار) 178.

إشارة

\*منهج الاستدلال علي المقامات...

\*حديثا الثقلين والكفوية قرآنيان...

\*فوائد من حديث الكفوية...

\*الفائدة الأولى: المديح الشخصي في القرآن اصطفاء إلهي...

\*الفائدة الثانية: ضرورة إرجاع معادلات الروايات للقرآن...

\*الفائدة الثالثة: علم فاطمة(عليها السلام) أسماني جامع...

\*الفائدة الرابعة: علو رتبته علي الأنبياء ما عدا الخاتم...

\*لفتة معرفية...

\*اشكالية الكفوية الاجتماعية...

\*تقريب ثالث لحديث الكفاءة...

\*سؤال حول الكفوية...

\*تنافسهما قربي لا قبلي...

\*وصيتها لعلي (عليه السلام) وشراكتها في الأمر...

من عظيم مقاماتها وأعلي شؤونها(عليها السلام) ما ورد في الرواية المستفيضة:

«لولا أن أمير المؤمنين(عليه السلام) تزوجها لما كان لها كفو إلي يوم القيامة علي وجه

الأرض آدم فمن دونه»(1).

### منهج الاستدلال علي المقامات:

ويحسن في البداية أن ننبه علي مطلب مغفول عنه عند الخاصة فضلا عن العامة في منهج الاستدلال علي مقامات أهل البيت(عليهم السلام).

وهو أن أكثر مقاماتهم(عليهم السلام) إذا ما كان كلها ورد دليلها في القرآن فضلا عن السنة المطهرة، وعليه فما جاء في السنة ليس تأسيسا لأمر ليس في القرآن، وإنما هو شرح وبسط بلغة معرفية يفهمها الناس.

فلو وضع الباحث يده علي كل رواية حكمت مقاما لهم(عليهم السلام) وتذرع بالتنقيب العلمي بلا كلل لوجد أن القرآن قد طرح ذلك في معادلة من معادلاته الجزلة.

### حديثا الثقلين والكنفوية قرآنيان:

#### إشارة

خذ مثلاً علي ذلك معادلة ملازمة الثقلين في الحديث المشهور، فقد دار الجدل العلمي كررا بين الشيعة وأهل الخلاف في أن المعادلة الروائية النبوية هل هي ملازمة (الكتاب والسنة) أم هي ملازمة (الكتاب والعترة)؟

ص: 183

---

1- الخصال، الشيخ الصدوق/414.

وبغض النظر عن امكانية الجمع بين المعادلتين وعن كثرة ورود المعادلة في كتب الفريقين بهذا النحو (كتاب الله وعترتي) (1) إنه بغض النظر عن كل ذلك فإن الشيعة فضلا عن السنة لم يتوسلوا لرفع النزاع ببيان أن احدي المعادلتين قرآنية في الأصل.

والحال أن المحققين أخيرا يعبرون عن بعض الآيات بأنها حديث الثقلين القرآني، أي أنه بالتتابع والتعمق تبين أن الملازمة بين الثقلين ( الكتاب والعترة) ملازمة قرآنية قبل أن تكون روائية، والقرآن هو من أسسها وما في الروايات إنما هو صياغة أخرى لما في القرآن، وواحدة من آيات الثقلين في القرآن قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (2).

ونظيره ما نحن فيه فإن مقام الكفوية بين فاطمة وعلي (عليهما السلام) تأسيسه من القرآن في آيات كثيرة وتبيانه روائي، فإن آيات الولاية وآيات القربي أسست لكفوية فاطمة وعلي (عليهما السلام) قبل حديث المفاضلة وحديث 7.

ص: 184

---

1- روي في البصائر عن أبي جعفر\* أنه قال: «دعا رسول الله أصحابه بمني قال يا أيها الناس اني تارك فيكم الثقلين اما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتي يردا علي الحوض...». بصائر الدرجات، الصفار/434. وروي في فضائل الصحابة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله: «إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي واحد منهما أكبر من الآخر كتاب حبل ممدود من السماء إلي الأرض وعترتي أهل بيتي إلا- وأنهما لن يفترقا حتي يردا علي الحوض» فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل 585/2.

2- سورة 3 - آيه 7



الكفوية، وبالتالي فهما صدي وانعكاس عن ما في القرآن الكريم، وسيجيء ذلك تحت قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) (1). (2)

وكم لهذا المنهج في الاستدلال من ثمار جليلة سواء علي مستوى تقوية اليقين بمقاماتهم (عليهم السلام) أو علي مستوى توضيح الحق في الحواريات المذهبية.

إذ أن الاستدلال بالقرآن وحده عادة ما يواجه بالاحتمالات الكثيرة تأويلاً، كما أن الاستدلال بالسنة المطهرة وحدها يواجه إما بأنها روايات خاصة وإما برميها بالضعف السندي رغم رواية رواة الفريقين لها، ولا يمكن التخلص من هذه الاشكالات الا بمنهج معية الثقلين، وبيان المعادلات القرآنية بمحكّمات معادلاته وبولاية أهل البيت (عليهم السلام).9.

ص: 185

---

1- سورة الرحمن: الآية 19.

2- سورة 55 - آيه 19



وفي حديث الكفوئية عدة فوائد:

**الفائدة الأولى: المدح الشخصي في القرآن اصطفاً إلهياً:**

إن المدح في لسان الوحي علي نحوين:

أولهما: أن ينصب المدح في لسان الوحي علي وصف عام وعنوان عام ينطبق علي أفراد كما في قوله تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (1). (2)

وثانيها: أن ينصب المدح الوحياني علي العنوان الشخصي والهوية الشخصية لواحد بعينه، أو علي عنوان مشير لشخصه.

وهذا النمط من المدح في لسان الوحي يعني الاصطفاء ويشير

ص: 187

---

1- سورة الفتح: الآية 18.

2- سورة 48 - آية 18

للمقام والمنصب الالهي والموقعية الدينية، وليس من عادة الوحي أن يمدح بالعنوان الشخصي ويكون المشار إليه في الشخص من قبيل الكمالات المعتادة .

وحديث الكفويّة من قبيل الثاني، أي مدح بلسان وحياني لفاطمة وعلي (عليهم السلام) وسيتبين أنه يحكي عن مقام اصطفاء لهما وعن كمال وسؤدد غير اعتيادي فيهما.

### **الفائدة الثانية: ضرورة إرجاع معادلات الروايات للقرآن:**

إن معادلات الروايات كما هي معادلات القرآن إذا ما أرجعت لمطالب ومعادلات محكمة وواضحة فيهما فإنه يتبين عمق الدلالة المطروحة، فإذا قورن في روايات لسان الوحي بين علي وهارون (عليهما السلام) أو بين فاطمة ومريم (عليهما السلام) فهذا بالتالي إرجاع للقرآن في معادلات شبيهة توخيا للتوضيح والتبيين، أي علي الباحث أن ينقب قرآنيا عن مقامات هارون ليتعرف علي سنخ المقامات التي تثبت لعلي (عليه السلام)، وليفتش عن سؤدد مريم في القرآن ليعرف أي سؤدد وعلو لفاطمة (عليها السلام)، ولهذا الإرجاع غايات مهمة:

منها: بيان أن ما في القرآن من مقامات الأولياء السابقين إنما هي أمثلة ضربت لبيان مقامات الأولياء في أمة الخاتم (صلي الله عليه وآله).

ومنها: إن الإرجاع خير وسيلة لدفع الاستنكار والاستبعاد

الذي يخالغ أذهان الكثيرين عند تعداد مقامات أهل البيت (عليهم السلام)، إذ أن وجود نظائرها في القرآن ينتج أنها ليست بدعا وليست أمرا منكرا.

وفي حديث الكفوية جعلت موقعية آدم صفي الله دون موقع فاطمة (عليها السلام)، فيكون لهذا الحديث لوازم وأبعاد وإشارات مهمة لا تقرأ في سطحه بل تقرأ في اللغة الاشارية له، فكأنه يعزو الباحث للقرآن ليتعرف علي موقعية آدم فيه ليكون دليلا- له في استيعاب مقامات فاطمة (عليها السلام).

1) ومما يشير إليه القرآن أن آدم (عليه السلام) أول نبي من أنبياء الله وفي ذلك يقول تعالى: ( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ) (1). (2)

وفي قراءة عبدالله بن عباس (وآل محمد علي العالمين) فعن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله ( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا ) (3) فقال: هو آل إبراهيم وآل محمد علي العالمين، فوضعوا اسماً مكان اسم (4).

فأول الأصفياء في سلسلة النبوات زمانا وليس رتبة هو آدم، وبحسب رواية البحث يكون اصطفاء فاطمة (عليه السلام) فوق اصطفاء آدم 8.

ص: 189

1- سورة آل عمران: الآية 33.

2- سورة 3 - آيه 33

3- سورة 3 - آيه 33

4- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي 1/ 168.

(2) كما أن أحد مقامات آدم أنه نبي، أي له علم من جهة النبوة، فيكون العلم الذي لفاطمة(عليها السلام) من جهة النبوة فوق ما لآدم.

(3) ومما ثبت لآدم قرآنياً أنه خليفة الله في الأرض كما في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (1). (2)

وإذا ثبتت الخلافة عن الله لآدم في الأرض فكيف بمن كان فوق آدم، فيثبت بدلالة الحديث النبوي والتأمل القرآني أن فاطمة(عليها السلام) خليفة الله في الأرض بل ويثبت أن خلافتها أعظم من خلافة آدم.

ولو سأل سائل: إن ما لآدم من مقامات قد نص عليه القرآن، والقرآن لم ينص علي ما تقولونه في فاطمة(عليها السلام)؟

فجوابه إنه بعد ثبوت حديث الكفؤية وشهرته يكون بنفسه تنصيب علي كون فاطمة(عليها السلام) خليفة الله وولية الأمر.

وأيضاً مما دل عليه القرآن أن ولاية آدم وطاعة أمره افترضت علي جميع الملائكة وطبقاتهم أي علي جبرائيل واسرافيل وميكائيل ورضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران، ومن فوقهم.

حَيْثُ إِنَّ الْآيَاتِ الْمَتَعَدَّةَ تَفِيدُ فَرَضَ طَاعَةِ آدَمَ عَلَي عَمُومًا.

ص: 190

1- سورة البقرة: الآية 30.

2- سورة 2 - آيه 30

الملائكة بلا استثناء ( فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ) (1). (2)

فَقَدْ دَلَّتْ الْآيَةُ عَلَيَّ التَّعْمِيمِ بِدَوَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ، بَلْ طَبِيعَةُ الْأَمْرِ بِالْخُضُوعِ لَوْلَايَةِ آدَمَ أَخَذَتْ بِنَحْوِ صَارِمِ عَلَيَّ الْمَلَائِكَةِ ( فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ) (3). (4)

فليس المطلوب السجود حتي لو كان عن تراخ بل سجود فوري وقهري وصارم فضلا عن أنه منتهي الخضوع والتسليم.

فلآدم ولاية تكوينية وولاية تشريعية لا بمعنى أنه يفعل بهواه وبمشيئته بل ضمن برنامج المشروع الإلهي فهو القائد والملائكة أتباعه وتحت إمرته.

وملف أنشطة الملائكة في القرآن عظيم وميسوط فما من مجال إلا ولهم فيه نشاط وفعل، فما من أمر في الأرض أو في السماء أو في الهواء أو أمر من الموت أو أمر من الحياة إلا- ولهم فيه النشاط الأ-كبر وفيه يقول تعالى: (وَ الذَّارِيَاتِ ذُرْوًا(1). فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا(2). فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا(3). فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا(4). (5). (6)

ولا تقتصر أنشطتهم علي عالم الدنيا بل عظيم نشاطهم سيكون4.

ص: 191

1- سورة الحجر: الآية 30.

2- سورة 15 - آيه 30

3- سورة الحجر: الآية 29.

4- سورة 15 - آيه 29

5- سورة الذاريات: الآية 1 - 4.

6- سورة 51 - آيه 1

في يوم القيامة (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوْهُ (32)(1). (2)

وتعداد أنشطة الملائكة بحسب القرآن خارج عن إحاطتنا، غير أن كل الملائكة بأنشطتهم تحت نظام قيادة خلفاء الله، وخلافة الله طبقات و آدم طبقة من الخلافة وتتلوها سلسلة من طبقات الخلافة.

ويتحصل أن كل ما ثبت لآدم من ولاية تكوينية في الدنيا والآخرة وما ثبت له من حكومة علي الملائكة بنص القرآن تكون بنمط أعلي وأشرف ثابتة لفاطمة(عليها السلام) بنص حديث الكفوية.

ثم إن ولاية آدم لم يشتهها القرآن الكريم لمريم، لكننا استفدنا من خلال الجمع بين السنة والقرآن ثبوت سنخ ولايته لفاطمة(عليها السلام)، إلا أن ما لفاطمة(عليها السلام) من ولاية مشابهة لولاية آدم نحوها أعلي وأشرف لكونه ليس كفؤا لها، فأدم ومن تحت إمرته وفي ولايته تحت طاعة وولاية فاطمة(عليها السلام).

ونفس سورة البقرة تدل علي أن الخلافة طبقات وأنه فوق خلافة آدم طبقات باعتبار أن تشرف آدم بالخلافة كان نتيجة توسل آدم بما هو أكبر منه كما في قوله تعالي: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى (3)32

ص: 192

1- (1) الحاققة 31-32

2- سورة 69 - آيه 31

3- سورة 2 - آيه 31



الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (1). (2)

ولم يقل (عرضها) مما يدل على أنها أسماء حية وغير جامدة وأنها شاعرة وغير ساكنة.

فما هي تلك الأسماء؟؟

لقد أفصح الحديث الشريف بأن تلك الموجودات الحية الشاعرة العاقلة الموجودة قبل آدم بوجود نوري واضح في ملكوت السماء هم أهل البيت (عليهم السلام) وفيهم فاطمة (عليها السلام) (3).

وبالتالي فإن الحديث يدل على أن ولاية آدم وبما يندرج تحتها مندرجة تحت ولاية فاطمة (عليها السلام).

وفي نفس السورة عندما يحاسب الباري ويعاتب إبليس يخاطبه بهذا الخطاب: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) (4). (5)

ولفظة (العالين) في الآية تشير إلى العالين علي آدم عن أن يطيعوه، أي لهم علو حقيقي مقامي علي الملائكة بل علي أمر الملائكة وهو آدم، فهم فوق أن يسجدوا ويخضعوا له، وفاطمة من العالين علي 5.

ص: 193

1- سورة البقرة: الآية 31.

2- سورة 2 - آيه 31

3- تفسير العسكري/217.

4- سورة ص: الآية 75.

5- سورة 38 - آيه 75

آدم الذين اندرج آدم بما تحته تحت ولايتهم(1).

فيدل وينص حديث الكفوية علي أن فاطمة(عليها السلام) من العالين، أي أنها من الأسماء الإلهية النورانية الحية الشاعرة قبل وجودها البدني، فهي وجود ملكوتي مفترض الطاعة ومن ذلك العالم.

### الفائدة الثالثة: علم فاطمة(عليها السلام) أسمائي جامع:

ومن فوائد حديث الكفوية أن لفاطمة(عليها السلام) سنخا خاصا من العلم، إذ إن قوله تعالى: ( وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ) (2) يشير إلي العلم المعبر عنه بالعلم الاسمائي وهو علم جامع وبه استحق آدم الخلافة، فيثبت أن لفاطمة(عليها السلام) علما اسمائيا جامعا وبنحو أعلي مما ثبت لآدم ببركة حديث الكفوية.

ص: 194

1- روي في صفات الشيعة عن أبي سعيد الخدري قال كنا جلوسا مع رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم إذ أقبل إليه رجل فقال يا رسول الله اخبرني عن قوله عز وجل لإبليس ( أَسَّ تَكْبُرَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ) فمن هو يا رسول الله الذي هو أعلي من الملائكة فقال رسول الله انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل ان يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة ان يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود فسجد الملائكة كلهم الا إبليس فإنه أبي (و) لم يسجد فقال الله تبارك وتعالى ( أَسَّ تَكْبُرَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ) عني من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماءهم في سرادق العرش فنحن باب الله الذي يؤتي منه بنا يهتدي المهتدي فمن أحبنا الله وأسكنه جنته ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره ولا يحبنا الا من طاب مولده. صفات الشيعة، الصدوق/8.

2- سورة 2 - آيه 31

## الفائدة الرابعة: علو رتبها علي الأنبياء ما عدا الخاتم:

ومن الفوائد العالية لحديث الكفوية - الذي لا ينتهي رفده ونميره الصافي - علو وتعالى رتبة فاطمة (عليها السلام) علي رتب الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، لأن في الحديث صدرا وذيلا، وصدرة هو قوله تعالى: (لولا أن أمير المؤمنين) وبهذه الفقرة والضابطة يكون الصدر أعظم من الذيل وهو قوله: (آدم فمن دونه) لأن عليا (عليه السلام) ميزان كبير وأكبر من ميزانية آدم ومن دونه في الرتبة إلا أن نرجع قوله (آدم فمن دونه) إلي الحيشية الزمانية لا إلي الحيشية الرتبية أي دونه زمانا فيشمل كل الأنبياء عدا سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) وحينئذ تتطابق الضابطتان.

وعلي كل حال فإن حصر الكفوية في علي (عليه السلام) - بنص القرآن وبيانات أهل البيت (عليهم السلام) وتعليمهم - يدل علي أن عليا (عليه السلام) يفوق مقام بقية الأنبياء من أولي العزم والرسول، لأنه جعل عدلا لمن لا يكافؤها آدم ومن دونه، هذا مضافا إلي أن القرآن وصفه بأوصاف لم يصف بها إبراهيم وموسي وعيسي (عليهم السلام) وغيرهم، منها أنه (عليه السلام) بمنزلة نفس النبي (صلي الله عليه وآله) وهو وصف لم يصف به القرآن أحدا من النبيين.

بل حصر الكفوية في علي (عليه السلام) دون البقية هو دليل أعظمية علي (عليها السلام) علي سائر الأنبياء عدا الخاتم (صلي الله عليه وآله) من جهة، ومن جهة أخرى هو بنفسه دليل أعظمية فاطمة (عليها السلام) علي الحسنين (عليهما السلام) وعلي الحجة

وبقية المعصومين (عليهم السلام) لأن مرتبة ومقام عدلها وهو علي (عليه السلام) فوق رتب المعصومين.

ولأن أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في عالم الأنوار هم أولاد فاطمة (عليها السلام) فلا يمكن أن يكونوا لها كفوا في الزواج، والمسألة قبل ترتيب النسل والترتيب في النسل بيد الله هو المقدم وهو المؤخر.

وقد اعترضت إحدى زوجات النبي (صلي الله عليه وآله) علي وصفه عليا (عليه السلام) بالأخوة، فقد روي في المناقب عن علي (عليه السلام) قال: جاء رسول الله (صلي الله عليه وآله) ذات ليلة يطلبني فقال: يا أم أيمن أين أخي؟

قال: فقالت له: من أخوك؟

قال: علي.

قالت: أخوك وتزوجه ابنتك؟ قال: نعم أما والله لقد زوجتها كفوا شريفا في الدنيا والآخرة ومن المقربين» (1).

ومضمون جوابه (صلي الله عليه وآله) هو أنه أخي في النور وليس أخا في البدن، وأخوة البدن مانعة عن الزواج دون أخوة النور.

### لفتة معرفية:

إن إخبار النبي (صلي الله عليه وآله) عن الأخوة النورية يفتح بابا يفتح منه ألف

ص: 196

باب، منها إن قول النبي (صلي الله عليه و آله): «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»(1) محصله أنه حسب عالم النور يكون سيد الأنبياء(صلي الله عليه و آله) أبا لآدم وأبا لعبدالله والده وأبا لإبراهيم، والأب هنا بمعنى المنشأ.

وقوله(صلي الله عليه و آله): «يا علي، أنا وأنت أبوا هذه الأمة»(2) يشمل الأنبياء لأن كل النبيين من أمة سيد الأنبياء(صلي الله عليه و آله) وتابعون ومنقادون له ورسول عنه، وفي الرجعة تكون الأمم أمة واحدة تحت سلطانه ومنقادين له ومتعبدين بشريعته.

والأبوة هي أبوة نور لكل الأنبياء وأحكام عالم النور مغايرة لأحكام عالم البدن.

ولذا فقولهم(عليهم السلام) «لولا- أمير المؤمنين» لا- يشير إلي خلقه بحسب الولادة والبدن بل بحسب عالم النور، أي لو لم يخلق نور علي(عليه السلام) لم يكن لفاطمة(عليها السلام) كفؤ، ليس بحسب البدن والتزاوج البدني، بل حتي بحسب تزاوج عالم الأنوار لأن آدم ها هنا وبحسب البدن أب .

ص: 197

1- مناقب آل ابي طالب، بن شهر اشوب 1 / 183، عوالي اللئالي، ابن ابي جمهور الاحسائي 4/ 121. ويؤيده قوله «نبئت وآدم بين الروح والجسد» الاحتجاج، الطبرسي 2/ 248، الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي 34، وقوله: (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) المستدرک، النيسابوري 2/ 609، كنز العمال، المتقي الهندي 11/ 409، ويؤيده قول أمير المؤمنين\*: «صدقته وآدم بين الروح والجسد» الأمالي، المفيد 6. الأمالي، الطوسي/ 626.

2- الأمالي، الشيخ الصدوق/ 755، علل الشرائع، الصدوق 1/ 127، روضة الواعظين، النيسابوري/ 322.

لفاطمة(عليها السلام) فلو كان بحسب البدن فكيف يتم الحديث؟

ولذا ورد حتي في علاقتها بعلي(عليه السلام): «يا محمد زوج النور من النور».

وعليه فقوله(عليهم السلام): «لو لا أمير المؤمنين» هذا ليس ملحوظ فيه عالم البدن بل وقبل تقدير وقضاء عالم البدن وهندسة عالم الدنيا وفي عالم الأنوار، فليس لها كفؤ إلا علي(عليه السلام) بعد سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله)، وسيد الأنبياء ليس كفؤا لفاطمة(عليها السلام) بل أعلي منها.

كما أن هذا الحديث الشريف دليل علي أن رتبة فاطمة(عليها السلام) رتبة مشاركة لرتبة علي(عليه السلام) في الولاية، وإن كان لها مرتبة تتلو مرتبته في حيثيات معينة.

وهذا دليل علي أن موقع فاطمة(عليها السلام) في الكائنات وفي الملكوت وفي الأنوار وفي الخلائق وفي الحجية وفي الدين وفي الصلاحية وفي المنصب بعد الله ورسوله(صلي الله عليه وآله) قرن بأمر المؤمنين(عليه السلام).

فلا يتأتى لأحد من المعصومين(عليهم السلام) غير علي(عليه السلام) أن يعدل فاطمة(عليها السلام)، وقد بينا سابقا في آية الفيء أن لها أمرية علي أولادها.

وسيجيء في مقالة مستقلة حول مقامها الأم أن لها ولاية علي الأحد عشر(عليهم السلام).

ونفس هذه المعادلة والرسم المعرفي والتسلسل المقامي مبين في حديث الكفاءة.

قد يقول قائل لقد شرقتهم وغربتهم واطلتم وافضتتم في بسط معارف حديث الكفوية إلا أننا يمكن أن نعالج مفاد الحديث بالالتفات إلي مسألة فقهية واضحة وهي مسألة الكفو في باب الزواج ومرادهم الكفو في باب الحسب والنسب والرتبة الاجتماعية.

وهذا هو المقصود من الكفوية ولا دخل لعالم الأنوار وعالم الحجية وعالم الاصطفاء وغيره ولا موجب لهذا البسط والغور وإنما المسألة وبكل وضوح تختصر في باب الكفوية الاجتماعية.

والجواب:

تقبل من السائل تفسيره الكفو بهذا المعني لكن هذا المعني للكفو منطوف فيه كل شيء، لأن الكفو الاجتماعي بحسب توصيات الدين ليس بحسب المال بالأصل لأن المؤمن كفو المؤمنة، وإنما هو بحسب ديني ولا تنفي الشؤون الاجتماعية التي أدرجها جملة من الفقهاء، لكن الشؤون المادية الدنيوية لا مانع فيه لكن الأصل فيها هو الدين أي الدين ودرجات الدين والإيمان هو الكفوية في الأصل.

وعليه ما هو دين آدم(عليه السلام)؟

إن دينه دين النبوة والاصطفاء ودين عصمة وخلافة الهية، وإذا كان تدين وعصمة وطهارة واصطفاء آدم ليس بدرجة ما لفاطمة(عليها السلام)

من دين وعصمة وطهارة واصطفاء، وإنما بدرجة دينها وطهارتها واصطفائها وعلمها درجة علي (عليه السلام) فقط و فقط فهو رجوع لنفس روح المطلب الذي قرناه.

هذا مضافا إلي أن الحسب والشرف في منطق الدين غير الحسب والشرف لدا البشر، وحسب وشرف الدين أشير إليه في قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (1). (2)

وهذا هو المرعي توصيته في الروايات.

وحسب علي (عليه السلام) ليس في نسبه القبلي وإن كان نسبه اصطفائيا وإنما حسب علي (عليه السلام) في الاصطفاء نفسه.

### تقريب ثالث لحديث الكفاءة:

وهناك تقريب ثالث لأصل مفاد الحديث يعرف بملاحظة مساجلات الصحابة مع بني هاشم، وهي نوع من المنازلة تجري دائما بين قبائل العرب أو بين قريش وبني هاشم، ومنها وهي متواترة عند المسلمين ما رواه علي بن إبراهيم: أن صفية بنت عبد المطلب مات ابن لها فأقبلت، فقال لها الثاني غطي قرطك فإن قرابتك من رسول الله (صلي الله عليه وآله) لا تنفك شيئا، فقالت له هل رأيت لي قرطا يا بن اللخناء، ثم دخلت

ص: 200

---

1- سورة الحجرات: الآية 13.

2- سورة 49 - آيه 13



علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله (صلي الله عليه وآله) فنادي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس.

فقال ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع لو قد قربت المقام المحمود لشفعت في أحوالكم، لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلا أخبرته، فقام إليه رجل فقال من أبي فقال أبوك غير الذي تدعي له أبوك فلان بن فلان، فقام آخر فقال من أبي يا رسول الله؟

فقال أبوك الذي تدعي له، ثم قال رسول الله (صلي الله عليه وآله) ما بال الذي يزعم أن قرابتي لا تنفع لا يسألني عن أبيه، فقام إليه الثاني فقال له أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله اعف عني عفي الله عنك فأنزل الله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن آسَاءِ إِتِّبَادِ لَكُمْ سَأَلْتُمْ (1) الي قوله - ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102) (1) (2) .

ومفادها في نقاط:

(1) كان لصفية شأن ففي حرب الأحزاب قتلت يهوديا وهي بنت عبد المطلب، وبنات عبد المطلب عظام، وقد دفنت في البقيع وبقرها مدفونة أم البنين وعاتكة.

ومن شأنها أن النبي (صلي الله عليه وآله) غطي الحمزة سيد الشهداء لكي لا تراه صفية.8.

ص: 201

1- سورة 5 - آيه 101

2- سورة 5 - آيه 102

(2) أحاديث واقعة استهزاء ذلك الصحابي بصفية متواترة ومرصودة في كتب الفريقين.

(3) إن غضب النبي (صلي الله عليه وآله) لا يكون إلا غضبا وحيانيا ولا يكون إلا غضبا إلهيا، بل لا يكون غضبه عقليا كما في موسى فقد كان غضبه عقليا قال تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) (1) (2) سكت مقابل نطق أي هو عقلي، لكن غضب نبينا (صلي الله عليه وآله) وحياني، وهو منزه حتي عن الغضب العقلي لقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلِي خُلِقَ عَظِيمٍ) (3). (4)

(4) إن الغضب الذي أبداه النبي (صلي الله عليه وآله) كان لأجل الاستهزاء بمقام اصطفتائي لبني هاشم، ومقام الأصطفاء مرة يكون في الدائرة الأولى وتارة يكون للدائرة الثانية، وقد حققناه في بحوث تحت الطبع.

(5) الاصطفاء في دائرة بني هاشم ليس تعصبا وإنما هو عناية من الله أي أن الأصلاب الطاهرة الشامخة والأرحام المطهرة اصطفاء وفعل الله تعالى، وفي ذلك يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (33) (5). (6)

فهو فعل من الله وتقدير واعداد رباني.3.

ص: 202

1- سورة الأعراف: الآية 154.

2- سورة 7 - آيه 154

3- سورة القلم: الآية 4.

4- سورة 68 - آيه 4

5- سورة آل عمران: الآية 33.

6- سورة 3 - آيه 33

وسواء ثبتت قراءة بن عباس (وآل محمد علي العالمين) أم لم تثبت ففي القرآن آية أخرى وهي قوله: (سَلَامٌ عَلَيَّ إِيَّاهُ يَوْمَ أُنزِلُ بِهِ السُّورَاتُ الْكُتُبِ وَالسُّورَةُ الْأُولَىٰ أُنزِلَتْ فِي الْقَدْحِ وَالسُّورَةُ الْآخِرَىٰ أُنزِلَتْ فِي الْوَيْدِ وَالسُّورَةُ الْبُرْجِ أُنزِلَتْ فِي الْبُرْجِ وَالسُّورَةُ الْفَجْرِ أُنزِلَتْ فِي الْفَجْرِ وَالسُّورَةُ الْبَقَرَةِ أُنزِلَتْ فِي الْبَقَرَةِ وَالسُّورَةُ الْيُونُسَ أُنزِلَتْ فِي الْيُونُسَ وَالسُّورَةُ الْكَافِرِينَ أُنزِلَتْ فِي الْكَافِرِينَ) (1) (2) والمقصود آل محمد.

(6) حتي لو بنينا علي الكفوية بمعني البعد الاجتماعي فهذا البعد في بني هاشم نسبا وحسبا وفخارا وهو اصطفائي، وبينت الآيات أن حسب ونسب وفخار بني هاشم اصطفائي وليس بشريا وقبليا في قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (3) (4) وفي قراءة كثير من القراء: (ورهلك المخلصين).

فقد روي في الأمالي عن الريان بن الصلت، قال: حضر الرضا(عليه السلام) مجلس المأمون بمرور، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان،... قالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا(عليه السلام): فسر الاصطفاء في الظاهر سوي الباطن في اثني عشر موضعا وموطنا، فأول ذلك قوله عز وجل: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطَكَ الْمَخْلُصِينَ) هكذا في قراءة أبي بن كعب، وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عني الله عز وجل بذلك الآل، فذكره لرسول4.

ص: 203

1- سورة الصافات: الآية 130.

2- سورة 37 - آيه 130

3- سورة الشعراء: الآية 214.

4- سورة 26 - آيه 214

الله (صلي الله عليه وآله)، فهذه واحدة(1).

وهذه القراءة سواء كانت قرآنية أو تأويلاً نبويًا فهي تدل على أن ربه النبي (صلي الله عليه وآله) مخلصين له وللدِين.

والغريب أنهم لا يثبتونها في القرآن وهي موجودة في أكثر القراءات.

وأحد أعمدة بني هاشم أبو طالب، فلو سألت أين يشهد القرآن لأبي طالب بالاصطفاء؟

جوابه في آية الانذار السابقة، وفي موضع آخر يشهد القرآن لأبي طالب بمقام الاصطفاء في قوله تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) (2). (3)

فإنه يسند فعل أبي طالب لنفسه وهو فعل منه أجراه علي يد أبي طالب، وهذا معناه أنه فعل اصطفائي، فهو نظير قوله تعالى: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (4). (5)

وقوله تعالى: (قُلْ يَتُوبَإَكْمُ مَلِكُ الْمُؤْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلِي رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) (11)(6). (7)

فدوما يسند الله الفعل الاصطفائي إلي جنده ويسنده إلي نفسه 1.

ص: 204

1- الأمالي، الشيخ الصدوق/ 618.

2- سورة الضحى: الآية 6.

3- سورة 93 - آيه 6

4- سورة الأنفال: الآية 17.

5- سورة 8 - آيه 17

6- سورة السجدة: الآية 11.

7- سورة 32 - آيه 11

لأنهم لا يفعلون إلا بأمر منه تعالى.

والمحصلة أن هناك أحاديث متواترة عديدة دلت علي اصطفاء بني هاشم، وبالتالي لو اخذنا كفؤية فاطمة(عليها السلام) في بعدها الاجتماعي والحسب والنسب فإن اصطفاء الله لها في الحسب والنسب والفخار والشرف أعظم من اصطفاء آل ابراهيم وغيرهم وهذا مثبت في الروايات، فقد بين (صلي الله عليه وآله) أن الله لازال يصطفيه من اصفياء، فقد روي في الأمالي عن جابر قال رسول الله(صلي الله عليه وآله): يا جابر

«إن الله تعالى لما أحب أن يخلقني، خلقني نطفة بيضاء طيبة، فأودعها صلب أبي آدم(عليه السلام)، فلم يزل ينقلها من صلب طاهر إلي رحم طاهر إلي نوح وإبراهيم(عليهم السلام)، ثم كذلك إلي عبد المطلب، فلم يصبني من دنس الجاهلية، ثم افترقت تلك النطفة شطرين: إلي عبد الله وأبي طالب، فولدني أبي فختم الله بي النبوة، وولد علي فختمت به الوصية... الحديث»(1).

يعني تطهير بعد تطهير، أي أطهر فاطهر وأصفي فاصفي، فصفاء آل ابراهيم دون بني هاشم فكيف بغير آل ابراهيم؟

والاصطفاء الأعظم لبني هاشم ومن هو أعظم في الاصطفاء لا كفؤ له إلا أن يكون من دائرة اصطفاؤهم أعظم.

فتبين أن الكفؤ حتي بحسب النسب والشرف والفخر الاجتماعي .

ص: 205

1- الامالي، الطوسي / 501 .

يكون في لبة الاصطفاء .

وسيجيء زيادة في بيان الكفوية بين علي وفاطمة(عليهما السلام) في آية (مرج البحرين).

سؤال حول الكفوية:

ما هو المقصود من حجة فاطمة(عليها السلام) وكيف تكون حجة علي(عليه السلام)؟ ألا يتعارض مع ما له من كمال؟

الجواب:

لا- يخفي أن مقام أميرالمؤمنين علي(عليه السلام) مقدم علي مقام فاطمة(عليها السلام) من جهات، وإن كان بينهما اشتراك تكافؤ في الحجية من جهات.

وهكذا حال الولاية بينهما، والتكافؤ مقتضاه المعية في الولاية والحجية كوزيرين لسيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) كما ورد في نصوص الفريقين أنهما البحران في قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وهذه الصورة التي يرسمها القرآن كأصل لهندسة بنيان الولاية والحجية بين علي وفاطمة(عليهما السلام) ومن بعدهما الأئمة(عليهم السلام) من ذريتهما وبينما البرزخ المهيمن عليهما هو النبي(صلي الله عليه وآله).

وغير ذلك من الدلائل القرآنية والسنة القطعية الدالة علي التكافؤ من جهات وأفضلية علي(عليه السلام) من جهات أخرى.

ص: 206

والمعية التكافؤية لا تستلزم نقص في الحجج وإلا استلزم تفضيل الرسل والأنبياء بعضهم علي بعض نقصا فيهم.

كما أن تقدم الخضر(عليه السلام) من جهة علي موسى النبي(عليه السلام) من أولي العزم وتقدم موسى علي الخضر من جهة لا يستلزم نقص فيهما كما لم يستلزم تساويهما في المحصلة النهائية فإن موسى(عليه السلام) في المحصل المجموعي أفضل من الخضر(عليه السلام) كما بعض الروايات.

ولباب المطلوب:

(1) إن نسبة مقامها(عليها السلام) لعلي(عليه السلام) تختلف عن نسبة مقامها لبقية الأئمة(عليهم السلام) فإنها في الثاني مهيمنة ولاية وحجية كما سيأتي.

وأما في الأول فتكافؤ من جهات وأفضلية وتقدم لعلي(عليه السلام) من جهات .

(2) إن ائتلاف جهاز المصطفين كمجموع دولة إلهية كل يقوم بدور وموقع لا يحتاج إلي من هو خارج الجهاز الإلهي من الرعية.

وأما تعاضد الجهاز بعضه ببعض فلا يستلزم نقصا في أي منهم.

أليس جبرئيل(عليه السلام) ينزل بالوحي علي النبي(صلي الله عليه وآله) مع أن النبي(صلي الله عليه وآله) أفضل من جبرئيل في كل الكمالات بلحاظ مرتبة نور النبي(صلي الله عليه وآله) لا بدنه أو نفسه النازلة.

ص: 207

وهذه الشؤون لابد من الالتفات إليها.

قد يقال: الا إن تعبير الحجية علي علي (عليه السلام) معناه ماهو؟ فهل هو بحاجة لمصحفها؟

الجواب:

ليس الحجية علي علي (عليه السلام) بنسق مافي بقية الأئمة (عليهم السلام) كما مر مفصلاً.

أما أخذه (عليه السلام) بما أنزل عليها فهو مفاد روايات مصحفها التي روتها طائفة الإمامية.

وهذا علي نسق أخذ النبي (صلي الله عليه و آله) مايوحيه إليه جبرئيل (عليه السلام) الزاما مع أنه (صلي الله عليه و آله) أفضل من جبرئيل.

فلو قيل: هل المراد والمقصود من الحجية كونها منبع علم وواسطة ليس أكثر؟

الجواب:

العلم اللدني الوحياني ليس وساطة رواية كالرواية بل وساطة فيض كمالات وولاية لكن بالمعني غير المنافي للأفضلية إذا كما إذا قايسنا نور النبي (صلي الله عليه و آله) مع جبرئيل بخلاف جسده ونفسه النازلة .

ص: 208



## تنافسهما قربي لا قبلي:

روي في المناقب عن عائشة أنه قال علي (عليه السلام) للنبي (صلي الله عليه وآله) لما جلس بينه وبين فاطمة (عليها السلام) وهما مضطجعان: أينا أحب إليك أنا أو هي؟

فقال (صلي الله عليه وآله): هي أحب إلي وأنت أعز علي منها(1).

وفي المناقب في خبر عن جابر بن عبد الله: أنه افتخر علي وفاطمة بفضائلهما، فأخبر جبرئيل للنبي (صلي الله عليه وآله) أنهما قد أطلالا الخصومة في محبتك فاحكم بينهما، فدخل وقص عليهما مقالتهما ثم أقبل علي فاطمة (عليها السلام) وقال: لك حلاوة الولد، وله عز الرجال، وهو أحب إلي منك.

فقال فاطمة (عليها السلام): والذي اصطفاك واجتباك وهداك وهدى بك الأمة لا زلت مقرة له ما عشت(2).

والسؤال من سيد الأوصياء (عليه السلام) وسيدة النساء (عليها السلام) ليس تفاخر عصبية قبلية أو عنصرية ولا مجرد تغالب، بل تنافس في القرب من رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وهذا القرب لا محالة اصطفاي ومرتبطة بالمقامات.

كما أن جوابه (صلي الله عليه وآله) ليس عاطفة بشرية طبيعية نازلة كغرائز طبيعية نفسانية بل جوابه بحسب القرب الاصطفائي من مقامه (صلي الله عليه وآله) النوري الاصطفائي، فعندما تخصص فاطمة (عليها السلام) بالأكثر حبا ويتميز أمير المؤمنين (عليه السلام) بالأكثر عزا فهذا يعني تكافئهما (عليهما السلام) من جهات.

ص: 209

1- مناقب آل أبي طالب، بن شهر آشوب 3 / 112.

2- نفس المصدر.

## وصيتها لعلي (عليه السلام) وشراكتها في الأمر:

روي في معاني الأخبار عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: لما حضرت فاطمة (عليها السلام) الوفاة دعيتي فقالت: أمت أنت وصيتي وعهدي؟ قال: قلت: بلي، أنفذها.

فأوصت إلي وقالت: إذا أنا مت فادفني ليلا ولا تؤذن رجلين ذكرتهما (1).

وفي نسخة أخرى في أنوار اليقين أنه لما حضرت فاطمة (عليها السلام) الوفاة، دعت عليا (عليه السلام) فقالت: أمت أنت وصيتي وعهدي، أو والله لأعهدن إلي غيرك، فقال (عليه السلام): بلي أنفذها، فقالت (عليها السلام): إذا أنا مت فادفني ليلا ولا تؤذن بي أبا بكر وعمر (2).

فكانت إرادتها (عليها السلام) أن تنجز وصيتها بنحو الحتم، وهذه الإرادة الحتم منها كمسؤولية تقع علي عاتقها لبناء صرح الدين، ولا تريد أن تفرط في القيام بهذه المسؤولية الملقاة علي عاتقها وإن كان أمير المؤمنين (عليه السلام) معذورا في عدم القيام بها، فكان اللازم عليها (عليها السلام) علي هذا التقدير لو فرض أن توصي وتعهد لغير أمير المؤمنين (عليه السلام) لانجاز ذلك.

وهذا مما يشير إلي أن فاطمة (عليها السلام) كانت تتشاطر مع أمير

ص: 210

1- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق 355، 356.

2- أنوار اليقين (مخطوط) 27 / اللجنة العاصمة 303.

المؤمنين (عليه السلام) في القيام بمسؤوليات حفظ الدين كلا منهما في عرض الآخر وإن كان كل منهما قد أختص بوظائف مسؤول عنها، ولا بد له من القيام بها وإن كان الآخر معذورا أو ممنوعا عن القيام بها.

ثم إن مضمون ومفاد هذا الخطاب من فاطمة (عليها السلام) لأمر المؤمنين (عليه السلام) إنما هو من الكفو للكفو في الولاية ولو في بعض المساحات المشتركة، بخلاف بقية الأئمة الأحد عشر (عليهم السلام) فإنه لم يكن لهم هذا الشأن مع أبيهم أمير المؤمنين (عليه السلام).

فإذا كان هذا شأنها (عليها السلام) مع أمير المؤمنين (عليه السلام) فتبين بوضوح هيمنتها بوضوح علي أولادها (عليهم السلام).



## المقالة الحادية عشر: شراكتها لعللي عليه السلام وتقدم رتبها عليها السلام علي رتبة أولادها

### إشارة

\*التوازن والعدل بين اقتضاء البحرين وآثارهما هو ببرزخ الهيمنة النبوية.

\*رتبة فاطمة (عليها السلام) بعد النبي (صلي الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) ثم الحسنين ثم التسعة (عليهم السلام)....

قال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) (1)).

(2)

هذه الآية الكريمة من الطوائف الدالة علي مرتبتها (عليها السلام) ودرجة مرتبتها، وقد ذكرت هذه الفضيلة لها (عليها السلام) في مصادر عديدة من الفريقين وبأسانيد كثيرة.

فقد روي بن شهر آشوب في مناقبه: (وفي الحديث ان آسية بنت

ص: 213

1- سورة الرحمن: الآية 19 - 22.

2- سورة 55 - آيه 19

مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة يمشين أمام فاطمة (عليها السلام) كالحجاب لها إلي الجنة، وفي الحساب من سيدة الحور من ولد آدم كلهم، وزنه أم الحجج فاطمة البتول»(1).

وروي علي بن إبراهيم في تفسيره موثقة يحيى بن سعيد القطان (العتار خ ل) قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قول الله تبارك وتعالى ( مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) ) (2) قال علي وفاطمة بحران عميقان لا يبغى أحدهما علي صاحبه «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» قال الحسن والحسين (عليهما السلام)، وقال علي بن إبراهيم في قوله: «مرج البحرين يلتقيان» أمير المؤمنين وفاطمة (عليهم السلام) «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسين (عليهما السلام)»(3).

وفي طريق الصدوق في الخصال قال: «علي وفاطمة (عليهما السلام) بحران من العلم عميقان»(4).

وروي قريبا منه بهذا التأويل بطرق أخرى محمد بن العباس بن مهيار عن الصادق (عليه السلام) تارة بطرق مسندة وعن أبي سعيد الخدري وعن بن عباس وعن أبي ذر(5).2.

ص: 214

- 
- 1- مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب / 3 / 105.
  - 2- سورة 55 - آيه 19
  - 3- تفسير القمي ، علي بن إبراهيم القمي / 2 / 34.
  - 4- الخصال، الشيخ الصدوق / 65، وفي روضة الواعظين، الفتال النيسابوري 148.
  - 5- تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الأستر آبادي 2/636.

وفي المناقب ذكر بن شهر آشوب ثمان مصادر من كتب الحديث والتفسير أنهم رووا عن سعيد بن جبير، وسفيان الثوري، وأبو نعيم الأصفهاني مسندا عن أنس وعن بن عباس والقاضي النطنزي عن سفيان بن عيينه بهذا المضمون .

وفي المناقب لابن المغازي(1).

وروي الثعلبي بسنده إلي سفيان الثوري في ذيل الآية(2).

وروي بن شهر آشوب في مناقبه عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس إن فاطمة(عليها السلام) بكت للجوع والعري، فقال النبي(صلي الله عليه وآله): اقنعي يا فاطمة بزوجك فوالله إنه سيد في الدنيا سيد في الآخرة، وأصلح بينهما فأنزل الله: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (3) يقول: أنا الله أرسلت البحرين: علي بن أبي طالب بحر العلوم، وفاطمة بحر النبوة، يلتقيان يتصلان، أنا الله أوقعت الوصلة بينهما.

ثم قال: (بينهما برزخ) مانع رسول الله(صلي الله عليه وآله) يمنع علي بن أبي طالب(عليه السلام) أن يحزن لأجل الدنيا، ويمنع فاطمة(عليها السلام) أن تخاصم بعلها لأجل الدنيا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا) (4) يا معشر الجن والإنس (تكذبان) بولاية أمير المؤمنين وحب فاطمة الزهراء (فاللؤلؤ) الحسن(عليه السلام) (والمرجان)2.

ص: 215

- 
- 1- مناقب علي بن أبي طالب\*، ابن المغازلي 294.
  - 2- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، الثعلبي 182/9.
  - 3- سوره 55 - آيه 19
  - 4- سوره 55 - آيه 13

الحسين (عليه السلام)، لأن اللؤلؤ الكبار، والمرجان الصغار، ولا غرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما، فإن البحر سمي بحرا لسعته، وأجري النبي (صلي الله عليه وآله) فرسا فقال: وجدته بحرا(1).

ولا يخفي سر التعبير عنهما بالبحرين في الآية الكريمة فإنه مطابق لما في بيانات الوحي المستفيضة في الآيات والرويات عن عوالم الملكوت مما دون العرش أو فوقه بالبحر والبحور، فالتقاء البحرين إلتقاء واقتران وتناسب وتوافق وتوازن وترابط شأنين ملكوتين ذوي هول عظيم.

وبعبارة أخرى:

إن تكيف موجودين جوهريين ماديين عن التزاحم والتدافع والتنافر إلي التواؤم والتلاؤم والتأثير المشترك الموحد يتوقف علي إعدادات تكوينية وكونية عديدة، فكيف الحال بموجودين من عالم الملكوت، وكيف الحال بموجودين من أعلي مراتب الملكوت، ألا- تري إلي صعوبة انقياد الملائكة لجعل خليفة لله تعالي إلي أن أطوعهم الله عز وجل إلي ذلك الخليفة والملائكة من عالم الملكوت، وكذلك لاحظ قوله تعالي: (ما كان لي من علمٍ بالمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69) إِنَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (70) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) (2) (3) ، ولعله 1.

ص: 216

1- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب 3 / 101.

2- سورة ص: الآية 69 - 71.

3- سورة 38 - آيه 69



يشير إلى ما ذكرناه من اختصاص الملائكة في شأن استخلاف خليفة الله وجعل آدم خليفة، ونظير اعتراض النبي إبراهيم (عليه السلام) وهو من أولي العزم علي إهلاك قوم لوط فقال تعالي: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) (1) (2) ، ونظير ما جري بين الخضر وموسي إلي غير ذلك من الموارد التي يستعرضها القرآن والروايات لبيان احتياج الملائكة المقربين أو الأنبياء المرسلين إلي هاد موفق بينهم مما يدل علي أن شؤون عوالم الملكوت والموجودات الملكوتية تحتاج توفيق بينها بمهيمن عليهم.

وهذا شأن ملحوظ حتي في الأسماء الإلهية فإن لكل إسم إلهي حكما وآثارا واقتضاء لا بد من التوفيق والتوافق بينه وبين حكم إسم آخر وتأثيره وآثاره واقتضائه .

ومن ثم يلاحظ في الآيات والروايات أن الأسماء الإلهية المركبة الشفع أكبر رتبة من إنفراد تلك الأسماء، وأما الإسم الفرد المهيمن عليها فهو وتر أعلي رتبة من الشفع، فالشفع في الأسماء أعلي من وتر الأسماء المشفوعة، ولكن الوتر المهيمن عليها أعلي من شفعتها، نظير السميع العليم فإن السميع بوتره والعليم بانفراده دون الشفع في السميع العليم، بينما (الله) الإسم الوتر المهيمن علي السميع العليم أعلي6.

ص: 217

1- سورة هود: الآية 75 - 76.

2- سورة 11 - آيه 75

رتبة منهما، وكذلك الحال فيما بين (الله) و (تبارك) و (تعالى) بالمقارنة مع (هو) أى أن الثلاثة منفردة دون الثلاثة الشفع لكنها شفعا دون وتر (هو)، وهذا استفاد من أوائل آيات سورة الحديد وأواخر آيات سورة الحشر كما بينته روايات أهل البيت (عليهم السلام).

فإذا تقرر ذلك فيتبين خطورة وأهمية مفاد قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) (1)، ولا سيما وأن التعبير ورد بلفظة (مرج) والمرج في كل بحر يزيد هول الحقيقة، فالبحر من جهة أنه بحر فيه هول العظمة، وإذا أسند إليه المرج والمرج إزداد هول العظمة أكثر، وإذا التقى هول عظمة كل بحر مع الآخر إزداد الهول هولا والعظمة عظمة، لكن التوازن والعدل بين اقتضاء البحرين وآثارهما هو ببرزخ الهيمنة النبوية، وهذا سر عظمة خطب هذه الآية الكريمة في شأن علي وفاطمة (عليهما السلام)، وهو سر هول خطب تزويج علي من فاطمة (عليهما السلام).

### رتبة فاطمة (عليها السلام) بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) ثم الحسين ثم التسعة (عليهم السلام):

روي في المحتضر عن بن عباس قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: (ليلة عرج بي إلى السماء .. فرأيت سرير علي وعلي واقف يصلي وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين عن شماله يصلون بصلاته والملائكة تنزل عليهم أفواجا أفواجا تقف في نورهم وتسمع

ص: 218

فوقوفها (عليها السلام) عن يمين أمير المؤمنين (عليه السلام) دون خلفه مع أن الحكم في بقية الناس أن تقف في الخلف، كما أن وقوفها عن اليمين والحسنان عن الشمال لا العكس هو مؤشر ومنبه علي تقدم رتبته علي الحسنين (عليهما السلام)، كما أن وقفها علي يمينه دون خلفه دال علي أن مقام علي (عليه السلام) وإن تقدم عليها (عليها السلام) إلا أن بينهما نحو من المشاركة والكفوية كما هو مقتضي الحديث عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) في حديث قال: هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقول: لو لم أخلق عليا، لم يكن لفاطمة بنتك كفو علي وجه الأرض، من آدم ومن دونه (2).

وقد أشرنا فيما تقدم من الأجزاء المطبوعه في مقاماتها أن مستفيض روايات النور الدالة علي صدور نورها ثالثا، ولا ينافي ما في لسان البعض الآخر من صدور نورها بعد الاثني عشر، فإنه لا تعرض فيه لوساطة أنوار الاثني عشر في إيجاد وصدور نورها، بخلاف اللسان الأول الأكثر استفاضة، والأول محمول علي خلقة أنوارهم قبل العرش بينما الثاني يتعرض إلي طبقات أنوارهم الأخرى ما دون العرش.

وفي رواية الروضة والفضائل بالإسناد - يرفعه - إلي عبد الله بن 8.

ص: 219

---

1- المحتضر، الحلي ح 156 / 146.

2- الفصول المهمة في أصول الاثمة، الحر العاملي 1 / 408.

أبي أوفي عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) أنه قال: لما خلق الله إبراهيم الخليل كشف له عن بصره، فنظر إلي جنب العرش نورا، فقال: إلهي من هذا النور؟ فقال: هذا محمد صفوتي.

فقال: إلهي وسيدي إني أري بجانبه نورا آخر؟

فقال: يا إبراهيم هذا علي ناصر ديني.

فقال: إلهي وسيدي ومولاي إني أري بجانبه نورا آخر ثالثا؟

فقال: يا إبراهيم، هذه فاطمة تلي أباهما وبعلمها، فطمت محبيها عن النار.

فقال: إلهي وسيدي إني أري نورين يليان الثلاثة الأنوار؟

قال: يا إبراهيم، هذان الحسن والحسين، نوراهما يليان أباهما وأمهما وجدتهما.

قال: إلهي وسيدي إني أري تسعة أنوار، فقد أهدقوا بالخمسة الأنوار؟

قال: يا إبراهيم، هذه الأئمة من ولدهم... (1).

فإن الرواية صريحة في أن مرتبتها (عليها السلام) الثالثة في مراتب أهل البيت (عليهم السلام). 8.

ص: 220

---

1- الروضة في فضائل أمير المؤمنين بن شاذان/186، الفضائل، بن شاذان / 158.

- \*سر هول وعظمة تزويج علي من فاطمة (عليهما السلام)...
- \*النقطة الأولى: ولاية أمر زواجهما (عليها السلام) بيد الله خاصة...
- \*النقطة الثانية: الحفاوة الملكوتية لزواجهما (عليهم السلام)...
- \*الأمر الأول: ولاية زواج علي (عليه السلام) أيضا بيد الله...
- \*الأمر الثاني: اقترانهما (عليهم السلام) تم في الجنة الابدية قبل الدنيا...
- \*الأمر الثالث: الحفاوة بزواجهما (عليها السلام) ذو صلة بولايتها...
- \*الأمر الرابع: مهرها تولية الهية لها علي شؤون العالم كله...
- \*تبرك الملائكة المباركين ببركات زواجهما (عليها السلام)...
- \*محورية فاطمة (عليها السلام) كفؤ لعلي (عليه السلام) في الرتبة...
- \*انفعال العرش وما دونه بزواجهما (عليها السلام) ارتباط الداني بالعالى...
- \*تولي الله لزواجهما لكونه اقتران نظم وتدبير الهى...
- \*النقطة الثالثة: التزويج و المؤاخاة...

\*التراتبية بين الثلاثة...

\*قران كفوئية في عالم الملكوت...

\*زواجهما نظير القران الاسمائي...

\*المؤاخاة بين النبي (صلي الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام) نورية...

\*النقطة الرابعة: حديث الكساء...

\*التآلف في الولايات الاصطفائية سر عظمة أهل البيت (عليهم السلام)...

\*تفوق علي (عليه السلام) في امتحان الولاية تدبير الملائكة...

\*أهل البيت نبراس في تدبير الولاية لكل طبقات الملكوت وطبقات الملك...

\*اختصاص أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك...

\*النقطة الخامسة: الولادة في الكعبة والتزويج...

**سر هول وعظمة تزويج علي من فاطمة (عليهما السلام):**

## إشارة

الملاحظ في روايات التزويج بين فاطمة وعلي (عليهما السلام) أنه لم يكن كبقية الزيجات بين البشر، بل إنه زواج اصطفائي من الله ويحمل أسراراً في المقامات والمراتب في شؤون الولاية الإلهية.

ولتوضيح نبذة من حقيقته نذكر النقاط التالية:

**النقطة الأولى: ولاية أمر زوجها (عليها السلام) بيد الله خاصة:**

إنه قد ورد عنه (صلي الله عليه وآله) أن ولاية تزويج فاطمة (عليها السلام) ليست بيده مع

أنه (صلي الله عليه وآله) سيد الخلائق وإمام الأئمة وأولي بالناس من أنفسهم وأعظم الخلق ولاية بعد الله، ومع كل ذلك فإن تزويج فاطمة (عليها السلام) خاص بيد الله.

وهذا سر عظيم الشأن في مقامها (عليها السلام) نظير ما مرت الإشارة إليه في بعض الروايات من أنها (عليها السلام) تحفة إلهية لرسوله (صلي الله عليه وآله) لم تدرج في الأصلاب بل في خصوص صلب النبي (صلي الله عليه وآله) نزولا من الجنة وفي رحم المطهرة خديجة (عليها السلام).

فقد روي في المناقب عن أم سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: لما أدركت فاطمة بنت رسول الله مدرك النساء، خطبها أكابر قريش من أهل السابقة والفضل في الإسلام والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله اعرض رسول الله عنه بوجهه حتي كان الرجل منهم يظن في نفسه أن رسول الله ساخط عليه، أو قد نزل علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) فيه وحي من السماء، ولقد خطبها من رسول الله (صلي الله عليه وآله) أبو بكر الصديق فقال له رسول الله: يا أبا بكر أمرها إلي ربها، وخطبها بعد أبي بكر عمر ابن الخطاب فقال له كمثلته لأبي بكر.

وإن أبا بكر وعمر كانا ذات يوم جالسين في مسجد رسول الله (صلي الله عليه وآله) ومعهما سعد بن معاذ الأنصاري، ثم الأوسي فتذاكروا أمر

فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقال أبو بكر: لقد خطبها من رسول الله (صلي الله عليه وآله) الأشراف فردهم رسول الله (صلي الله عليه وآله) وقال: أمرها إلي ربها إن شاء أن يزوجهها زوجها... (1).

### النقطة الثانية: الحفاوة الملكوتية لزوجهما (عليهما السلام)

#### إشارة

إن الباري تعالي قد أعد لهذا الزواج حفلا وحفاوة في الملكوت لم يذكر في الوحي زواجا مثله، وحضار هذا الحفل كما في جملة من الروايات حملة العرش جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (2) واللوح المحفوظ والقلم ونون، وهذا الإعداد الإلهي ليس لهوا ولعبا إذ لا مسرح له في أفعاله تعالي بل الحق هو الحكمة وتمام الجسد.

فقد روي في الهداية الكبرى عن أبي بصير عن الصادق (عليه السلام) قال: (خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فاطمة، فقال رسول الله (صلي الله عليه وآله): يا علي ما خطبتها إلا والله زوجك إياها في السماء لأن الله وعد ذلك فيك وفي ابنتي فاطمة.

فقام إليه أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وقال: يا رسول الله وقد زوج الله عليا في السماء بفاطمة (عليها السلام)؟ فقال له (صلي الله عليه وآله) وآله: نعم يا ابن

ص: 224

1- المناقب، الموفق الخوارزمي 344، كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الأربلي 1/364.

2- الأمالي، الشيخ الصدوق 524، مناقب الامام أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي 2/595. روضة الواعظين، الفتال النيسابوري 122.



أيوب أمر الله الجنة أن تتزخرف وشجرة طوبى أن تنشر أغصانها في السبع سماوات إلي حملة العرش، وأن تحمل بأغصانها درا ويقوتا ولؤلؤا ومرجانا وزبرجدا وزمردا أصسكاكا مخطوطة بالنور، هذا ما كان من الله للملائكة وحملة عرشه وسكان السماوات كرامة لحبيبة وابنته فاطمة ووصيه علي وأمر لجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل واللوح المحفوظ والقلم ونون، وهي مخازن وحي الله وتنزله علي أنبيائه ورسله وان يقفوا في السماء الرابعة، وأن يخطب جبريل بأمر الله، ويزوج ميكائيل عن الله، ويشهد جميع الملائكة وانتشرت طوبى من تحت العرش إلي السماء الدنيا فالتقط الملائكة ذلك النشارة الصكاك فهو عندهم مذخور....(1).

وفي الرواية أمور:

### **الأمر الأول: ولاية زواج علي (عليه السلام) أيضا بيد الله:**

فقوله (صلي الله عليه وآله): (يا علي ما خطبتها إلا والله زوجك إياها في السماء).

فيه دلالة علي أن تزويج علي من فاطمة (عليهما السلام) كان بولاية من الله علي علي (عليه السلام) وعلي فاطمة (عليها السلام)، فكما أن ولاية تزويجها ليس بيد رسول الله (صلي الله عليه وآله) بل بيد الله، فكذلك تزويج علي من فاطمة هو الآخر ليس بيد علي ولا بيد فاطمة، ويدل عليه ما في رواية أخرى: (إن الله يأمرك أن

ص: 225

تزوج النور من النور).

وما سيأتي في الرواية الآتية: (فكان الخاطب جبرائيل (عليه السلام)، والولي الله، والشاهد الملائكة) هي صريحة في أن الولاية عليها (عليها السلام) في أمر تزويجها بيد الله.

### **الأمر الثاني: اقترانهما (عليهما السلام) تم في الجنة الأبدية قبل الدنيا:**

إن قوله (صلي الله عليه وآله): (أمر الله الجنة أن تتزخرف وشجرة طوبي أن تنشر أغصانها في السبع سماوات إلى حملة العرش) دال على أن هذا التزويج جناوي قد تم في الآخرة الأبدية.

وأما أنه كيف يتم أمر في الآخرة الأبدية قبل الدنيا مع أن المعروف فيما هو مقرر في العلوم الرسمية في المعارف أن الآخرة بعد الدنيا لا قبل الدنيا فهذا مبحث قد بسطنا الكلام فيه في الجزء الرابع من كتاب الرجعة، وملخصه أن الآخرة الأبدية كما تقع في قوس الصعود فهي قد وقعت في قوس النزول.

بل في رواية فرات الكوفي قوله (صلي الله عليه وآله): «زوجك الرحمن فوق عرشه»<sup>(1)</sup>.

### **الأمر الثالث: الحفاوة بزواجها (عليها السلام) ذو صلة بولايتها:**

إنه (صلي الله عليه وآله) قد علل هذا الاستنفار في ملكوت السماوات والجنة

ص: 226

---

1- تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي 415 ح 552 في ذيل سورة الاحقاف.

وطبقات الملائكة بأنه كرامة من الله في قوله: «كرامة لحبيبه وابنته فاطمة ووصيه علي»، وهذا التكريم في محفل عظام الملائكة الذين بيدهم إدارة ما دون العرش من الجنة والنار والسموات السبع والأرض ليس مجاملات وحفاوة صورية منه تعالي، بل إشارة إلي مقامات وولايات تكوينية نظير ما في المحفل الإلهي الذي أقامه الله تعالي لأدم .

فإن المدح بالفضائل والتعاطي بالكرامات في لغة العقل العملي بيان لحقائق الكمالات بتلك اللغة في قبال لغة العقل النظري كما مر في الباب الأول في الضوابط، فهذا التكريم يدل علي أن مقام فاطمة(عليها السلام) ذو صلة وولاية علي كل من هم دون العرش من الملائكة العظام.

### **الأمر الرابع: مهرها تولية إلهية لها علي شؤون العالم كله:**

#### **إشارة**

إن جعل مهر فاطمة(عليها السلام) في التوزيع خمس الدنيا وما فيها والنيل والفرات وسيحان وجيحان، وكل باب الخمس وأقسامه نحلة من الله وحباء لا يحل لأحد أن يظلمها فيه بورقة، وهذا المهر ليس نظير مهر النساء، وإنما هو ولاية وتولية إلهية لها علي مقدرات الأرض وعلي شؤون البشر وشؤون الشعوب والدول، لأن الخمس ليس ضريبة فردية فقط بل ضريبة علي ثروات الدول وما تغنمه في الحروب.

كما أن هذه الرواية في هذا المقطع دالة بوضوح علي أن ولاية الخمس والفيء للأئمة(عليهم السلام) من ذريتها وراثية اصطفاوية من ولايتها.

وهذا ما قررناه في الجزئين السابقين من أن مقتضى جعل الخمس والفيء لعنوان ذوي القربى، فإنها أول القربى وولدها إنما يرثون رسول الله (صلي الله عليه وآله) بتوسطها (عليها السلام).

وروي في شرح الأخبار أن النبي (صلي الله عليه وآله) قال لفاطمة (عليها السلام): (يا فاطمة والذي بعث أبك بالحق واصطفاه بالرسالة ما زوجتك عليا حتي زوجك الله إياه من فوق عرشه.

اعلمي يا فاطمة إنه لما أراد الله عز وجل تزويجك عليا أوحى إلي جبرائيل أن ناد في السماوات السبع، فنادي جبرائيل (عليه السلام)، فاجتمع الملائكة إلي السماء الرابعة بإزاء البيت المعمور، ثم أمر جبرائيل فنصب منبرا من نور عرشه وأمره أن يخطب، ويزوجك عليا، فكان الخاطب جبرائيل (عليه السلام)، والولي الله، والشاهد الملائكة .

ثم أوحى جل ثناؤه إلي رضوان -خازن الجنان- أن زخرف الجنان، وزين الحور.

وأمر الله عز وجل شجرة طوبى أن احملني، فحملت، وأمرها أن تنثر علي الحور من عجائب ما انتثر عليهم، فكل حورية خلقت بعد ذلك، فالتى خلقت قبلها تفتخر عليها بما عندها من نثار ملاكك(1).

وهذه الرواية فيها ما تقدم في الرواية السابقة وتمتاز بالآتي:6.

ص: 228

---

1- شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي/2/376.

## تبرك الملائكة المباركين ببركات زواجها (عليها السلام):

أولاً: بما بين (صلي الله عليه وآله) أن من بركات زواجها (عليها السلام) تنزل خيرات وبركات من شجرة طوبي، وهي شجرة الجنة الأبدية، وأنها تنثر علي ما دونها من عالم السماوات.

وقد ذكر (صلي الله عليه وآله) أن الملائكة المباركين تتبرك بذلك النثار، وكذلك الحور العين في الجنة، مع أن الملائكة والحور العين في الأصل هم عين البركة، والبركة إشارة إلي الكمال والتكامل القدسي التكويني.

## محورية فاطمة (عليها السلام) كفؤ لعلي (عليه السلام) في الرتبة:

ثانياً: قوله (صلي الله عليه وآله): «يا فاطمة إن الله نظر إلي الأرض نظرة فاختر منها علياً فجعله لك بعلاً» بيان أن محورية فاطمة (عليها السلام) كفؤ لعلي (عليه السلام) في الرتبة حيث قال (صلي الله عليه وآله): «فجعله لك بعلاً» ولم يقل (صلي الله عليه وآله): «فجعلك له زوجاً» وجعل الأمير لها إشارة إلي الكفوئية.

وفي دلائل الإمامة عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: هممت بتزويج فاطمة حيناً، ولم أجسر علي أن أذكره لرسول الله (صلي الله عليه وآله)، وكان ذلك يختلج في صدري ليلاً ونهاراً، حتي دخلت يوماً علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقال: يا علي، فقلت: لبيك يا رسول الله.

فقال: هل لك في التزويج؟

ص: 229

فقلت: الله ورسوله أعلم، فظننت أنه يريد أن يزوجني ببعض نساء قريش، وقلبي خائف من فوت فاطمة، ففارقته علي هذا، فوالله ما شعرت حتى أتاني رسول رسول الله، فقال: أجب يا علي وأسرع.

قال: فأسرعت المضي إليه، فلما دخلت نظرت إليه، فلما رأيته ما رأيته أشد فرحا من ذلك اليوم، وهو في حجرة أم سلمة فلما أبصرني تهلل وتبسم، حتى نظرت إلي بياض أسنانه لها بريق، قال: يا علي هلم فإن الله قد كفاني ما همني فيك من أمر تزويجك.

فقلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: أتاني جبرئيل، ومعه من قرنفل الجنة وسنبلها قطعتان، فناولنيها، فأخذتهما وشممتهما، فسطع منها رائحة المسك، ثم أخذها مني، فقلت: يا جبرئيل، ما شأنهما؟

فقال: إن الله أمر سكان الجنة أن يزينوا الجنان كلها بمفارشها ونضودها وأنهارها وأشجارها، وأمر ريح الجنة التي يقال لها (المثيرة) فهبت في الجنة بأنواع العطر والطيب، وأمر الحور العين بقراءة سورتي طه ويس، فرفعن أصواتهن بهما.

ثم نادي مناد: ألا إن اليوم يوم وليمة فاطمة بنت محمد، وعلي بن أبي طالب رضي مني بهما.

ثم بعث الله (تعالى) سحابة بيضاء، فمطرت علي أهل الجنة من

لؤلؤها وزبرجدها وياقوتها، وأمر خدام الجنة أن يلقطوها، وأمر ملكا من الملائكة يقال له: (راحيل) فخطب خطبة لم يسمع أهل السماء بمثها .

ثم نادي (تعالى): يا ملائكتي وسكان جنتي باركوا علي نكاح فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب، فإني زوجت أحب النساء إلي من أحب الرجال إلي بعد محمد.

ثم قال (صلى الله عليه وآله): يا علي أبشر أبشر، فإني قد زوجتك بابنتي فاطمة علي ما زوجك الرحمن من فوق عرشه، وقد رضيت لها ولك ما رضي الله لكما، فدونك أهلك» (1).

ولا يخفي أن صورة لفظ الحديث هي بحسب متنها في دلائل الإمامة للطبري، وهو يختلف في الجملة عن صورة المتن في رواية الصدوق في الأمالي وتمتاز هذه الرواية:

### **انفعال العرش وما دونه بزواجها (عليها السلام) ارتباط الداني بالعالى:**

أولاً: ظاهر الرواية والروايات المتقدمة بوضوح أن العرش وما دونه من الجنة الأبدية والسبع سماوات والسبع أرضين وكل من يسكن تلك العوالم قد تأثر وانفعل ابتهاجا بهذا الحدث الذي يقع في

ص: 231

---

1- دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي 87، الأمالي، الشيخ الصدوق 654.

بيت النبوة، مما يدل بوضوح علي الارتباط الروحي لهذه العوالم وأهلها من العرش فما دونه بأهل البيت، وهو من ارتباط الداني بالعالوي، وهذا مؤشر علي مقام الولاية للنبي (صلي الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) تكويننا وديننا.

### تولي الله لزواجهما لكونه اقتران نظم وتدبير إلهي:

ثانيا: قوله (صلي الله عليه وآله) بحسب صورة الحديث في الأمالي:

«ألا إني أشهدكم أني قد زوجت فاطمة بنت محمد من علي بن أبي طالب رضا مني، بعضهما لبعض»<sup>(1)</sup>.

وفي هذا المقطع دلالة بوضوح علي أن ولاية هذا التزويج سواء من طرف فاطمة أو من طرف علي ليس بتولية من النبي (صلي الله عليه وآله) ولا من علي ولا من فاطمة بل منه تعالي، وهذا المفاد مستفيض في روايات تزويجهما.

وقد تقدم أن هذا يفيد عظم شأنهما (عليهما السلام) وعظم حدث الاقتران بينهما، وأنه ليس اقتران أبدان ولا مجرد اقتران أرواح بل هو اقتران نظم وتدبير إلهي في مقام الولاية وشؤونها، وأنه تتشاطر فاطمة وعلي (عليهما السلام) شؤون الولاية الإلهية في العوالم العلوية بعد مرتبة النبي (صلي الله عليه وآله) وأنهما يتشاطران المقامات النبوية اصطفاء وراثيا.

ص: 232

---

1- الأمالي، الشيخ الصدوق 654، تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي 415.



وهذا هو سر لغز هذا الهول والخطب في كل عالم الملكوت حتي ارتج ارتجاجا في هذا الاقتران، وإليه الإشارة في ما مر من قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) يَبِينُهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) (1) فإن بحر العلم وهو بحر علي هو بحر الولاية، وبحر النبوة وهو بحر فاطمة هو بحر الوراثة الاصفائية لها من أبيها، وهما بحران عظيمان من الملكوت من سنخين متعددين وإلتقاؤهما في التأثير والتدبير لما دونهما من شؤون العوالم يتطلب توازنا تكوينيا في غاية اللطافة والدقة، وليس هذا التوازن إلا بهيمنة المقام النوري للنبي (صلي الله عليه وآله)، وإلتقاء البحرين اقتران وتقارن.

وروي في المناقب عن عبد الرزاق باسناده إلي أم أيمن في خير طويل عن النبي (صلي الله عليه وآله):

«وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح علي وفاطمة، فكان جبرئيل المتكلم عن علي وميكائيل الراد عني» (2).

وروي في المناقب أيضا حديث خباب بن الأرت:

«إن الله تعالى أوحى إلي جبرئيل أن زوج النور من النور» (3).

ومفاد هاتين الروايتين بوضوح:

أولا: أن طبقات التزويج بينهما (عليهما السلام) العمدة فيه اقتران نوريهما.ر.

ص: 233

1- سورة 55 - آيه 19

2- مناقب آل ابي طالب، بن شهر آشوب 3 / 124.

3- نفس المصدر.

ثانيا: هذا التزويج جري بتولية من الله علي أمير المؤمنين(عليه السلام) وعلي فاطمة(عليها السلام) سواء، وأن الولي هو الله تعالى.

وكان قوام الزواج وشهوده من الملائكة، كما أن قوام العقد كانوا هم الملائكة المقربين وشهوده ملائكة السموات، مما يبين أن الاقتران بينهما أصل بيته في طبقات الملكوت، فكانت الملائكة ممن لهم ارتباط بهذا القران .

### النقطة الثالثة: التزويج و المؤاخاة:

#### إشارة

قال رسول الله(صلي الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام):

«وقد أمرني الله يخبرني مشافهة - حيث أسري بي إليه - أمرني أن أو أخيك وأزوجك بفاطمة بنتي سيدة نساء العالمين في الأرض بعد أن زوجك الله في السماء»(1).

وبيان الرواية في نقاط:

#### الترابطة بين الثلاثة:

أولاً: ردف المؤاخاة بين علي(عليه السلام) وبين النبي(صلي الله عليه وآله) وفرّج علي ذلك تزويج فاطمة(عليها السلام) به(عليه السلام)، وهذا مما يعطي عظم شان فاطمة(عليها السلام) بعد كون التزويج منطوي في ماهيته الكفويّة والكفاءة والاقتران.

ص: 234

---

1- الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي 64.

مما يدل علي المشاركة والترتب بين الثلاثة حيث بدأ أولاً بالمواخاة وهي دالة علي المشاركة بين أمير المؤمنين (عليه السلام) والنبى (صلي الله عليه وآله) مع كون النبي (صلي الله عليه وآله) هو الأصل ورتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) الثانية، ثم فرّع علي المواخاة بينهما تزويج علي بفاطمة (عليهما السلام)، والتزويج نحو مقارنة واشتراك، وحيث كان فرع المواخاة كان فيه إشارة إلي تأخر رتبة فاطمة (عليها السلام) عنه (عليه السلام) في حين الكفوئية والمشاركة.

### قران كفوئية في عالم الملكوت:

ثانيا: ثم إن هذا الاقتران قد بدأ في السماء قبل كونه في الأرض أي أنه اقتران وكفوئية في عالم الملكوت والنور ومن ثم أردف ذلك في بعض الرويات: ان الله تعالى أوحى إلي جبرئيل: زوج النور من النور، وكان الولي الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والناثر عزرائيل، والشهود ملائكة السماوات والأرضين (1).

وفي الرواية: ( نزل جبرائيل علي النبي (صلي الله عليه وآله) فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي) (2).

وفي شرح الأخبار عن موسى بن جعفر (عليه السلام) انه قال: بينا رسول الله (صلي الله عليه وآله) جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها، فقال له

ص: 235

---

1- مناقب آل ابي طالب، بن شهر آشوب 3 / 124.

2- شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي 3 / 28.

رسول الله: حبيبي جبرئيل لم أرك في مثل هذه الصورة فقال الملك لست بجبرئيل أنا محمود بعثني الله تعالى أن أزوج النور من النور قال من ومن؟ قال: فاطمة من علي(1).

وروي في كشف الغمة قال الخوارزمي وأنبأني أبو العلا الحافظ الهمداني يرفعه إلي الحسين بن علي (عليه السلام) قال: بينا رسول الله (صلي الله عليه وآله) في بيت أم سلمة إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً، في كل رأس ألف لسان يسبح الله ويقدمه بلغة لا تشبه الأخرى، راحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبي (صلي الله عليه وآله) أنه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا جبرئيل لم تأتي في مثل هذه الصورة قط؟ قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائل بعثني الله إليك لتزوج النور من النور، فقال النبي (صلي الله عليه وآله): من من قال؟ ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فزوج النبي (صلي الله عليه وآله) فاطمة من علي بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائل... (2).

### زواجهما (عليهما السلام) نظير القران الأسمائي:

ثالثاً: إن التزويج بين الأبدان وبين النفوس النازلة أمر معهود معروف، وأما التزويج بين الأنوار فهو سنخ ونمط من القران

ص: 236

- 
- 1- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري 146، دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي)، الطبري 93.
  - 2- كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن ابي الفتح الاربلي 1 / 361.

والشفاعة يقترب من بحث الشفاعة الذي هو اقتران في الأسماء الإلهية ويحتاج إلي مزيد بحث وبسط، كما أوضحناه في بحث مرج البحرين.

### **المؤاخاة بين النبي (صلي الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام) نورية:**

رابعاً: وحيث كان التزويج سماويا ونورانيا ومتفرعا علي المؤاخاة كشف ذلك عن كون المؤاخاة نورية برتبة أعلي.

### **النقطة الرابعة: حديث الكساء:**

#### **إشارة**

إن عظمة هذا الحفل والتزويج لم يرد في تزويج سيد الرسل (صلي الله عليه وآله) بخديجة فضلا عن بقية الأنبياء (عليهم السلام)، مع كون النبي (صلي الله عليه وآله) أفضل منهما وسيدهما، بل إن فضل وعظمة تزويجهما منشؤها عظمة النبي (صلي الله عليه وآله).

فما لهذا الاهتمام في الإرادة والمشية الإلهية بهذا التزويج، أي لتكوين هذه النواة من بيت النبوة والأسرة النورية .

وهذا عين المفاد الوارد في حديث الكساء أن نواة أصحاب بيت الكساء وبيت النور الذي هو مفاد سورة النور أنه محور لوشي الاصطفاء.

### **التألف في الولايات الاصطفائية سر عظمة أهل البيت (عليهم السلام):**

فهذا البيت وهذه الأسرة ليست قدويتها في جانب عيشها الاجتماعي الدنيوي فحسب كنباس للأنبياء والمرسلين والأوصياء

من ذريتهما(عليهما السلام) في تكوين الأسرة في المعيشة الاجتماعية الدنيوية، بل الأعظم من ذلك هو التآلف والتوازن والتوافق في الولايات الاصطفائية بعضها مع البعض الآخر مع اختلافها رتبة من جهة وتشاركها من جهة أخرى.

فإن هذا أعظم شأنًا أي أسروية وبيت الولايات الاصطفائية.

فأصحاب الكساء الخمسة(عليهم السلام) قدوة للملائكة المقربين في التنسيق في شؤون الولايات الملكوتية في المقامات الخطيرة من تدبير الأمر الإلهي.

ومن ثم ورد من مباهاة الله عزوجل بأمر المؤمنين علي(عليه السلام) ليلة المبيت علي فراش النبي(صلي الله عليه وآله).

روي في المناقب عن كثيرين من العامة وجماعة من أصحابنا ومن ينتمي إلينا بأسانيدهم عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هالة: أنه قال رسول الله(صلي الله عليه وآله): «أوحى الله عز وجل إلي جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر أيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟»

فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله عز وجل أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب صلوات الله علي نبينا وعليه آخيت بينه وبين محمد فبات علي فراشه ففديه بنفسه وآثره بالحياة اهبطا إلي الأرض فاحفظاه من عدوه،

ص: 238

فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي تعالى بك الملائكة، فأنزل الله عز وجل «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد»(1).

وهذه بالدقة ليست مباحة الله علي صعيد البعد الشخصي بين أحد الأدميين واثنين من الملائكة المقربين، بل هو في الحقيقة تعليم من الله وتربية منه لعظام الملائكة المقربين علي أن مسؤولية التدبير للأمر الإلهي والتنسيق تتطلب درجة من تقاني الذات والتخلص من الذاتية والدوبان في الأمر الإلهي الدرجة الكبيرة كي ينتظم الفعل الإلهي في التنزل من القدس الأعلي إلي العوالم النازلة.

### **تفوق علي(عليه السلام) في امتحان الولاية تدبير الملائكة:**

ومن ثم في هذا الحديث هتأ جبرئيل وميكائيل عليا(عليه السلام) بأنه فاق في امتحان تدبير الولاية كلا من جبرئيل وميكائيل، فكيف لا يكون علي(عليه السلام) معلما وقدوة لجبرئيل وميكائيل في تدبير الولايات الملكوتية وشؤون الأمر الإلهي.

فعظمة بيت أصحاب الكساء في الأساس والأصل هي تعاضم نسق الولاية بين سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) وسيد الأوصياء(عليه السلام) وسيدة النساء(عليها السلام)

ص: 239

وسيدي شباب أهل الجنة(عليهما السلام) حيث إن الله جعلهم سادات الولايات الإلهية في العوالم والأكوان في أعلي علو عوالم الملكوت ونزولا-إلي سبع أرضين، فهي بمثابة الهيئة الحاكمة العليا في دولة الشأن والأمر الإلهي وغرفة التحكم في مقامات الولايات للملائكة المقربين وحملة العرش وللأنبياء والمرسلين والأصفياء والصديقين.

### **أهل البيت(عليهما السلام) نبراس في تدبير الولاية لكل طبقات الملكوت وطبقات الملك:**

فهذه الإلفة بين أركان أصحاب الكساء(عليهم السلام) البالغة غايتها ولاسيما وأن هذه الإلفة لم تقتصر علي الملكوت الأعلي بل هي بالغة غايتها أيضا في عالم الملك الأدنى الذي هو مثار التزاحم والتضاد والتناقض علي أشد ما يمكن، فيكون ذلك البيت وأصحابه نبراسا عظيما وقدوة في الإدارة والتدبير والولاية لكل طبقات الملكوت وطبقات الملك، فضلا عن الحياة الإجتماعية السياسية للبشر في نظام الإدارة وفضلا عن نظام الأسرة المعيشية التي هي لبنة المجتمع.

فالأصل في عظمة الجلوس تحت الكساء من أصحاب الكساء وتكوينهم كينونة البيت النبوي أساسه أن ولايتهم نظام للولايات الإلهية سواء في عالم الأرواح الأمرية أو للملائكة المقربين أو للأنبياء والمرسلين والأوصياء والمصطفين(عليهم السلام)، وأن نظم الولاية في ما بين



أصحاب الكساء(عليهم السلام) أمان من فرقة وتراحم أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك.

### اختصاص أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك:

ألا تري ما جري بين موسي والخضر(عليهما السلام) وكان أحدهما نبي من أولي العزم والآخر من أعظم الأولياء في زمرة العلماء بأمر الله، فلم يصبر أحدهما علي الآخر، فقال الخضر لموسي كراراً: ( قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ) (72) (1) (2) فلم يصبر موسي(عليه السلام) علي الخضر كما أن الخضر لم يصبر علي موسي في قوله تعالي: ( قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ) (3) (4) فلم يرتضي مصاحبة موسي ولم يصابر الخضر علي عدم مصابرة موسي وفوق كل ذي صبر صبور.

وقد بين أن الصبر في الإدارة والولاية منشؤها العلم كما في قول الخضر: ( وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَي مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ) (5). (6)

مما يدلل علي أن صبر الأولياء في الإدارة والتدبير للأمر الإلهي وليد أو متأثر بدرجة العلم لذلك الولي وذلك الصفي، فكلما اتسع علمه وتنوع وتبحر وترامي خبرا كلما ازداد تحمله وكفاءته في الولاية

ص: 241

1- سورة الكهف: الآية 75.

2- سورة 18 - آيه 72

3- سورة الكهف: الآية 78.

4- سورة 18 - آيه 78

5- سورة الكهف: الآية 68.

6- سورة 18 - آيه 68

ومن ثم فإن الإلفة التي بين أصحاب الكساء(عليهم السلام) إلي منتهي الغاية ولا يقول أحدهما للآخر «هذا فراق بيني وبينك» كما لا يقول بعضهم لبعض «إنك لن تستطيع معي صبرا»، كما أنهم لا يختصم بعضهم مع البعض كما هو حال من هم في الملاء الأعلى، كما أنه لا يقول أحدهم للآخر: ( قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَوْا سَبِيلَ اللَّهِ فَسَبِّحْ لَهُم بِحَمْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) (150)(1) ولا: ( قَالَ يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ) (3). (4)

وليس هذا البيت نظير بيت آدم وحواء حيث أخرجهما الشيطان مما كانا فيه (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ) (5) (6) رغم أنها صافية وآدم صفوة الله ( وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ) (35) (7) (8) ( فَازَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ) (9). (10)

ولا نظير الذي جري بين هاجر وساري وإبراهيم الخليل(عليه السلام) حتي اضطر إبراهيم إلي ما قاله تعالى: ( رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي ) (11)6.

ص: 242

1- سورة الأعراف: الآية 150.

2- سورة 7 - آية 150

3- سورة طه: الآية 94.

4- سورة 20 - آية 94

5- سورة الأعراف: الآية 22.

6- سورة 7 - آية 22

7- سورة البقرة: الآية 35.

8- سورة 2 - آية 35

9- سورة البقرة: الآية 36.

10- سورة 2 - آية 36

11- سورة 14 - آية 37

بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ (1) (2) وإن كان ذلك مشتملاً علي حكمة إلهية عظيمة في تدبير الله تعالى.

وليست الإلفة بين أصحاب الكساء (عليهم السلام) تحت وطأت صرامة القانون وتحت مظلة التشارط والتعاقد والتعاوض كالذي بين موسى وشعيب (عليهما السلام) كما في قوله تعالى: ( قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) ) (3) (4) بل إن الإلفة بينهم معرفية ونورية وروحية وخلقية قبل أن تكون قانونية في مادة البدن.

ولا التنسيق فيما بينهم فيه وقفة ترووي وفترة تدبر كالذي جرى بين إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) في قوله تعالى: ( فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) (5) (6) )

والحاصل أنه رغم عظم مقام ولاياتهم لم يوجب ذلك تمحور كل ذات منهم حول نفسه مع أن طبيعة الإنسان بل كل مخلوق أنه يطغي أن رآه استغني، فانظر إلي منشأ الاعتراض لدي الملائكة: ( قالوا (7) 2).

ص: 243

1- سورة إبراهيم: الآية 37.

2- سورة 14 - آيه 37

3- سورة 28 - آيه 27

4- سورة القصص: الآية 27.

5- سورة الصافات: الآية 102.

6- سورة 37 - آيه 102

7- سورة 2 - آيه 30

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ (1). (2)

فوصفوا أنفسهم بالتسييح والتقديس الذي أوجب كونه مدعاة للإعتراض علي جعل الله .

ونظيره ورد في قبض روح إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فقد أخرج في الدر المنثور: أن ملك الموت جاء إلي إبراهيم (عليه السلام) ليقبض روحه فقال إبراهيم يا ملك الموت هل رأيت خليلًا- يقبض روح خليله فعرج ملك الموت إلي ربه فقال قل له هل رأيت خليلًا يكره لقاء خليله(3).

ونظيره ماورد أنه إذا نفخ في الصور يأمر الله بقبض روح ملك الموت، فيقول: (إلهي وسيدي ارحم عبدك ملك الموت فإنه ضعيف، فيقول الله عز وجل له: يا ملك الموت، ضع يمينك تحت خدك الأيمن بين الجنة والنار ومث.. فيضطجع ملك الموت علي يمينه ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، ويده الشمال علي وجهه ويصرخ صرخة فلو أن أهل السماوات والأرض أحياء لماتوا لشدة صرخته(4).

فلاحظ في قبض روح إبراهيم (عليه السلام) وملك الموت وكذا جبرئيل وميكائيل واسرافيل (عليهم السلام) تترائي لهم مكانة أنفسهم في مقامات الولاية8.

ص: 244

1- سورة البقرة: الآية 30.

2- سورة 2 - آيه 30

3- الدر المنثور، السيوطي 117/1.

4- البحار، المجلسي 258/ 57.

فلا ينطلق منهم التسليم الذي لدي أصحاب الكساء(عليهم السلام) عند قبض أرواحهم بينما نرى أن سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) أول ما أخذ الله عليه أن يكابد طول حياته طعم موت والاغتتيال، وكذلك في سيد الأوصياء(عليه السلام) حيث ورد في مصباح الزائر:

«السلام علي من عجب من حملاته في الحروب ملائكة سبع سماوات»(1).

ونظير ما ورد في شأن سيد الشهداء(عليه السلام)

«وقد عجبت من صبرك ملائكة السماء»(2).

ونظير ما في شأن صاحب العصر(عليه السلام)

«عزيز علي أن تحيط بك دوني البلوي، ولا ينالك مني ضجيج ولا شكوي ... عزيز علي أن يجري عليك دونهم ما جري»(3).

وروي الطوسي عن أبي بصير عن أبي عبدالله(عليه السلام):

«ذو الغيبة الشريد الطريد»(4).

وروي النعماني في الغيبة عن الباقر(عليه السلام)وصف صاحب الأمر: الشريد الطريد الفريد الوحيد(5).4.

ص: 245

---

1- البحار، المجلسي 302/97.

2- المزار، المشهدي /504.

3- نفس المصدر 581.

4- الغيبة، الشيخ الطوسي 163.

5- الغيبة، ابن ابي زينب النعماني 184.

فرغم عظمة شؤون مقامات الولاية التي أعطيت لهم بأعلي مما لدي الملائكة والأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) إلا أنهم كما ورد في زيارتهم (عليهم السلام):

«لا- يسبقهم ثناء الملائكة في الإخلاص والخشوع ولا- يضادكم ذو ابتهاج وخضوع أني ولكم القلوب التي تولي الله رياضتها بالخوف والرجاء.. الفترة» (1).

ومن ثم بلغوا في مقامات الولاية درجة كبراء الصديقين وأمرأ الصالحين وقادة المحسنين وأنوار العارفين وشموس الأتقياء وبدور الخلفاء ودعائم الأخيار... ووركن الأولياء.

### **النقطة الخامسة: الولادة في الكعبة والتزويج:**

ورد في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام):

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ وُلِدَ فِي الكَعْبَةِ وَزُوِّجَ فِي السَّمَاءِ بِسَيِّدَةِ النَّسَاءِ وَكَانَ شُهُودَهَا المَلَائِكَةُ الأَصْفِيَاءُ» (2).

ولا يخفي أن أدني ما يفيد الجمع بين الولادة في الكعبة والتزويج في السماء هو كون شؤون علي (عليه السلام) كلها إلهية وتحت ولاية الله، فما هو واقع تحت اختياره أو ليس بواقع تدبيره بولاية الله، مما يشير إلي أنه وجود إلهي محض.

ص: 246

---

1- المزار، محمد بن جعفر المشهدي 293.

2- المزار، محمد بن جعفر المشهدي 207، الاقبال، السيد بن طاووس 3 / 131.

إشارة

\*كفؤيته (عليه السلام) لفاطمة (عليها السلام) وتقدمه علي اولاده (عليهم السلام)...

\*اللون المشترك في دائرة الحجج لا ينافي التفاضل...

\*دائرة التسعة تتلو دائرة الحسين (عليهما السلام)...

\*شواهد تقدم مقام الزهراء (عليها السلام) علي اولادها (عليهم السلام)...

\*أيهما أقرب للنبي (صلي الله عليه وآله) فاطمة أم علي (عليهم السلام)...

نبدأ الشروع في هذه المقالة بذكر قواعد وأصول، ومن ثم نصل إلي المقصود بنحو سلس.

**كفؤيته (عليه السلام) لفاطمة (عليها السلام) وتقدمه علي اولاده (عليهم السلام):**

لعلي وفاطمة (عليهما السلام) خصوصيات مشتركة ودائرة يَحْلَقَانِ فِيهَا لَوْحَدَهُمَا بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ (صلي الله عليه وآله).

وَقَدْ مَرَّ فِي الْمَقَالَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ لَهَا (عَلَيْهَا السَّلَام) عِلْمًا خَاصًّا وَتَكَافَأَ مَعَ عِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام).

وَيَبِينُ بوضوح الدائرة الخاصّة بهما (عليهم السلام) قول رَسُولِ الله (صلي الله عليه و آله) فِي رواية الفريقين، فنص ما فِي الكافي عن أَبِي عبد الله (عليه السلام) قال: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين (عليه السلام) لفاطمة، ما كان لها كفو علي ظهر الأرض من آدم ومن دونه (1).

وفي الفصول المهمة عن رسول الله (صلي الله عليه و آله) فِي حديث قال: (هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقول: لو لم أخلق عليا، لم يكن لفاطمة بنتك كفو علي وجه الأرض، من آدم ومن دونه) (2).

وبتلك الخصوصيات المشتركة يتقدمان فِي الفضل والفضيلة علي سائر الأئمة من أولادهم (عليهم السلام).

ومما يشهد لهذا الأصل ما فِي تفسير العسكري عن الإمام الرضا (عليه السلام): (... إنما شيعته الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان والمقداد وعمار و محمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئا من أوامره، ولم يركبوا شيئا من فنون زواجه) (3).3.

ص: 248

---

1- الكافي، الشيخ الكليني: 1/461/43، الشيخ الطوسي: 43/المحتضر، حسن بن سليمان الحلبي 240.

2- الفصول المهمة فِي أصول الأئمة، الحر العاملي 1/408.

3- تفسير الامام العسكري 313.



فَلَيْسَ هُمَا (عليهما السلام) بكفوين له (عليه السلام).

وَقَدْ وَرَدَ عَلَيَّ لِسَانِ عِدَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ كَالْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ وَالكَاسِمِ (عليهم السلام) نظير ما رواه في الروضة عن الصادق (عليه السلام):

(ولايي لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أحب إلي من ولادتي منه، لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل) (1).

أَيَّ أَنَّ النِّسْبَ المَعْنَوِيَّ وَالتَّبَعِيَّةَ الرُّوحِيَّةَ وَالمَشَاكِلَةَ الدِّيْنِيَّةَ خَيْرٌ مِنَ النِّسْبَةِ البَدْنِيَّةِ التَّوَالِدِيَّةِ.

وَبِالتَّالِي فَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْهُمْ (عليهم السلام) أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِكُفُؤٍ.

وَقَدْ أَصَابَ مِنْ قَالٍ أَنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) قَدْ أَتَعَبَ أَوْلَادَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا بَلُوغَ نَحْوِ عِبَادَتِهِ وَمَقَامِهِ الْخَاصِّ مَعَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةٍ لَا تُوصَفُ وَمَقَامٍ لَا يُدْرِكُ وَجْهَهُ وَجِهَادٍ لَا يُجَارِي.

وَمِنْ ثَمَّ فَلَمْ يُوَصَفْ أَحَدٌ بِأَنَّهُ كَفُوَ لِعَلِي (عليه السلام) إِلَّا فَاطِمَةُ (عليها السلام).

### اللون المشترك في دائرة الحجج لا ينافي التفاضل:

إن الحكم علي مجموعة من الحجج بكونهم في دائرة واحدة يعني أن لهم لونا مشتركا من المقامات، أو أقل إن ثمة حدا أدنى من المقامات قد اشتركوا في بلوغه، لكن هذا لا يعني ولا ينافي أن يحكم عليهم

ص: 249

بالتفاضل والتمايز مع اشتراكهم في اللون الواحد، لأنَّ الاشتراك مصبّه الحدّ الأدنى والتفاضل مصبّه الخصوصيات بلحاظ الحدّ الأعلى. وَعَلَي هَذَا الأساس فَهَذَاكَ دائرة مِنْ الفضل يشترك فيها الحسنان (عليهما السلام) ويتقاربان ويتمايزان فيها عَنْ سائر المعصومين (عليهم السلام) مِنْ بعدهم، وَهُوَ لَا ينافي امتياز الحسن (عليه السلام) عَلَي الحسين (عليه السلام) فِي بَعْض الخصوصيات.

### **دائرة التسعة (عليهم السلام) تتلو دائرة الحسين (عليهما السلام):**

وتتلو دائرة الحسين (عليهما السلام) في الكمال والتكامل دائرة ثالثة جامعة لِكُلِّ الأئمة (عليهم السلام) الثمانية مِنْ علي بن الحسين إلي الإمام العسكري (عليها السلام)، فلهم لون في دائرة واحدة مع عدم منافاة تقدم كُلِّ أب عَلَي ابنه فِي بَعْض الخصوصيات.

وَقَدْ أفرد أهل التحقيق دائرة مِنْ الفضل يسبق بموجبها الإمام الحجة (عج) آباءه الثمانية ويتلو بموجبها دائرة الحسين (عليهما السلام).

### **شواهد تقدم مقام الزهراء (عليها السلام) علي أولادها (عليهم السلام):**

ثمة شواهد توضح سبق الزهراء (عليها السلام) فِي المقام عَلَي مقام أولادها (عليهم السلام) جميعاً.

وَمِنْ هَذِهِ الشواهد ما مرَّ فِي مصحفها، إِذْ تَقَدَّمَ أَنْ لَهَا أَطْلَاعاً عَلَي

ملك الأئمة (عليهم السلام) في أدوار الإمامة الإلهية، إذ لو ترجمنا هذا العلم بلغة عصرية لتبيّن ما لها من خطورة خاصة في المقام بيسر وسهولة، فإنّه لو حبي شخص من رئاسة الدولة باطلاعه على أسماء الوزراء والمدراء وملفاتهم ومدة ملكهم وتراتبيتهم وما يجري عليهم من الشؤون فأيّ شيء يعني ذلك؟

وهلّ يمكن أن تفتح سجلات الخصوصيات الخاصة بالوزراء لمن هو دونهم في المقام والتمثيل في الدولة؟

ألا يؤشر ذلك على أن من يعطي ويحبي ذلك العلم يتمتع بصفة المراقب والمشرف والمهيمن!

وهلّ يصح أن يتصوّر أحد في حق أيّ واحد من الأئمة الأحد عشر (عليهم السلام) أن يفتح باب السؤال والحساب ليُقدم تقريراً أو ما يشابهه فيما يخص أدوار إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ولو على نحو الحساب الصوري؟

لكن هذا بنحو ما صدر من فاطمة (عليها السلام) فيما يخص أمير المؤمنين (عليه السلام) في قولها (عليها السلام):

«يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجل فخانك ريش الأعزل»<sup>(1)</sup>.

وليكن واضحاً أنّ حمل ما وردَ عنها (عليها السلام) على معني الحساب الصوري ومسئولياتها في المراقبة ليس هو بمعنى استنفاص أمير 5.

ص: 251

المؤمنين (عليه السلام)، بل هو رقابة وحساب شكلي لإفهام الآخرين بأنّ علياً (عليه السلام) لم يفرط في شيء من الحرمات والمسؤوليات.

وحاشا للصديقة (عليها السلام) أن تخطو خطوة أو تلفظ قولاً لا مناسبة له بالحوادث ومقام الإمامة الإلهية.

وَمِنْ ثَمَّ وَلَا جَلَّ مَجَارَاةَ عَتَابِهَا وَالْإِفْصَاحَ عَنْ كَوْنِهِ مَنَاسِبًا لِلشَّأْنِ وَخَطُورَةَ الْمَقَامِ أَتَتْ اسْتِجَابَةً أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليها السلام) سَرِيعًا، فَقَدْ رَوَى أَنَّ فَاطِمَةَ (عليها السلام) حَرَضَتْهُ يَوْمًا عَلَيَّ النَّهْوِضِ وَالْوَثُوبِ فَسَمِعَ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ (اشهد أن محمداً رسول الله) فَقَالَ لَهَا أَيْسَرُكَ زَوَالُ هَذَا النَّدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ قَالَتْ لَا قَالَ فَإِنَّهُ مَا أَقُولُ لَكَ (1).

وَمِنْ ثَمَّ تَبَيَّنَ أَنَّ أَطْلَاعَ فَاطِمَةَ (عليها السلام) عَلَيَّ مَلَفَاتِ الْإِمَامَةِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ أَدَلِّ الْإِدْلَةِ عَلَيَّ كَوْنِهَا (عليها السلام) ذَاتَ صِلَةٍ حَيَّةٍ وَمَوْقِعِيَّةٍ تَعْلُو الْأُئِمَّةَ مِنْ أَوْلَادِهَا (عليهم السلام).

ويزيد ذلك وضوحاً ما يسمي بالكتاب الذي يفتحه كليل إمام لنفسه لكنه لا يفتح كتاب إمام آخر في حين أن كتب الأئمة تعطي للزهراء (عليها السلام) بما فيها من أسرار عالم الغيب، وما أعدّه الله للبشر في كل المحطات والملاحم الغيبية.3.

ص: 252

## أَيُّهُمَا أَقْرَبُ لِلنَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَاطِمَةُ أُمِّ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ):

بَعْدَ ذَلِكَ مَا اثْبَتَاهُ مِنْ تَرَبُّعِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عَلَيَّ عَرْشٍ مَشْتَرِكٍ مِنَ الْكَمَالَاتِ وَالْفَضَائِلِ وَتَقَدُّمَهُمَا عَلَيَّ أَوْلَادَهُمَا الْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يَصِلُ الْمَقَامَ لِلسُّؤَالِ عَنْ مِيزَةِ أَحَدِهِمَا عَلَيَّ الْآخِرِ بَرِغْمَ مَا لَهُمَا مِنَ الدَّرَجَاتِ الْمُتَقَارِبَةِ، فَهَلْ مَقَامُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَقْرَبُ لِمَقَامِ أَبِيهَا مِنْ مَقَامِ عَلِيٍّ مِنْهُ؟

وَمَا أَوْضَحَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِشَكْلِ جَلِيِّ أَنْ مِنْ أَقْرَبِ الْمُقْرَبِينَ لِلرَّسُولِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، بَلْ عَبَّرَ عَنْ شِدَّةِ الْقُرْبِ بِأَنْ جَعَلَهُ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِ الرَّسُولِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كَمَا فِي آيَةِ الْمَبَاهِلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) (1). (2)

وَدَلَّ عَلَيَّ الْمَنْزِلَةَ الْقَرِيبَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ بَيْنَهُمَا فِي آيَةِ الْوَلَايَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ) (55). (3). (4)

بَيِّنَمَا فِي آيَاتٍ أُخْرَى كآيَةِ الْمُوَدَّةِ وَآيَةِ الْفِيءِ الَّتِي هِيَ آيَةُ وَلايَةِ بَيْنِ الْقُرْآنِ أَنَّ أَقْرَبَ الْمُقْرَبِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

فَهَلْ هُنَاكَ تَدَافِعٌ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ؟

وَجَوَابُهُ: إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ تِلْكَ الْآيَاتِ يَكُونُ مِنْ خِلَالِ الْقَوْلِ

ص: 253

1- سورة آل عمران: الآية 61.

2- سورة 3 - آية 61

3- سورة المائدة: الآية 55.

4- سورة 5 - آية 55

بكفوية فاطمة لعلي (عليهما السلام) وكفوية علي لفاطمة (عليهما السلام) وكونهما لونا واحدا بلا أي منافاة في تقدم علي (عليه السلام) عليها في بعض الخصوصيات.

وفي القرآن شاهد أن الولاية بعد الله ورسوله (صلي الله عليه وآله) لعلي وفاطمة (عليهما السلام) في الدرجات الأولى قبل الحسن والحسين (عليهما السلام) وقبل التسعة المعصومين (عليهم السلام) فضلاً عن سائر الأنبياء (عليهم السلام)، ففي آية المودة وهي قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (1) (2) بيان ما قلناه، إذ هي دالة على أن أساس الدين مودة القربي، وأقرب القربي هي فاطمة (عليها السلام).

ولابد من التدقيق أن مودة القربي لم تجعل أساساً للشريعة، بل أساس للدين، والدين قد بعث به جميع الأنبياء (عليهم السلام)، فسائر النبيين يدينون إلى الله بولاية الله وبطاعة خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وآله) وبطاعة قربي خاتم الأنبياء.

أي أن قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) (3) فالضمير في كلمة «عليه» لا يرجع إلى الشريعة، بل يرجع إلى الدين أو إلى جهود النبي (صلي الله عليه وآله) في تبليغ الدين، وبالتالي فهو راجع إلى الدين، والدين كما هو معلوم واحد بين الأنبياء في نظامه ومنظومته، وإن كان فيه تفاضل في العمق من شريعة إلى أخرى.

ومن ثم فإن الدين الموحد بين الأنبياء (عليهم السلام) مرتب في القرآن على 3.

ص: 254

1- سورة 42 - آية 23

2- سورة الشوري: الآية 23.

3- سورة 42 - آية 23

درجات والرتبة الأولى مِنْهُ لله بلا أن يكافئه أحد، والرتبة الأولى فيه بحسب دائرة المخلوقين وفي العباد المقربين المكرمين هُوَ سَيِّدُ الأنبياء وبعده قرباه(عليهم السلام).

وخالصة المطلب أَنَّهُ ثبت لفاطمة(عليها السلام) كُلُّ ما للأئمة(عليهم السلام) مِنْ صلاحيات وولايات وحجية واصطفاء ولزوم طاعة، وزادت عَلَيْهِمْ فِي أَنَّ رتبتها تتلو أمير الْمُؤْمِنِينَ(عليه السلام).

وفي بيانات وشواهد كثيرة أَنَّ الأنبياء(عليهم السلام) إِنَّمَا أوتوا النبوة بإقرارهم بالولاية لسيِّد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) والولاية لأهل بيته(عليهم السلام) مِنْ أولهم وَهُوَ أمير الْمُؤْمِنِينَ(عليه السلام) ثُمَّ فاطمة(عليها السلام) ثُمَّ الحسن والحسين والتسعة من ذريته(عليهم السلام)، وقد مرَّ ذلك.

ولا يتوهم أحد أن الإقرار بهم مخصوص ببعثة سيِّد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) لِأَنَّ ذَلِكَ عقيدة، والعقيدة لا نسخ ولا تبدل فيها مِنْ نبي إلهي نبي، والدين منظومته ثابتة بعث بها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء(عليهم السلام).

وما للقرآن مِنْ هيمنة عَلَي علم موسى «التوراة» وَعَلَي علم عيسى «الإنجيل» وَعَلَي علم إبراهيم «الصحف» ثابت للنبي(صلي الله عليه وآله) ولأهل بيته المطهَّرين(عليهم السلام)، وبالتالي لفاطمة(عليها السلام) مهيمنة عَلَي أولادها المعصومين(عليهم السلام) وَهِيَ مُهيمنة عَلَي علوم الأنبياء(عليهم السلام).

إشارة

- \* ثبوت ما وراء الإمامة السياسية لفاطمة (عليها السلام)
- \* ولاية أمر الأئمة (عليهم السلام) وراثية من فاطمة (عليها السلام)
- \* انعكاس ولاية فاطمة (عليها السلام) الملكوتية في الشؤون الخطيرة
- \* الأبعاد الثابتة من ولاية الأمر لفاطمة (عليها السلام)
- \* سؤدد وطهارة وحجية فاطمة مأخوذ في الدين
- \* أدلة ولايتها الأمرية
- \* خلو كتب الكلام عن نسبة عنوان ولاية الأمر لفاطمة
- \* دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي...
- \* الفرق بين الأمرية الدينية والفرعونية الدكتاتورية...
- \* تروِّي النَّبِيِّ (صلي الله عليه و آله) في إسناد ولاية إبي لفاطمة (عليها السلام)...



## ثبوت ما وراء الإمامة السياسية لفاطمة (عليها السلام):

لقد ثبت لفاطمة (عليها السلام) بأدلة قرآنية محكمة وأدلة روائية متينة كُـلُّ ما ثبت للأئمة (عليهم السلام) من مقامات عدا الإمامة السياسية ومباشرة أُمُور الرجال، وما في معنى ذلك من المناصب التنفيذية.

وأما ما وراء الإمامة السياسية من مقامات خطيرة كمقام ولاية الأمر المشار إليه في قوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) (1) (2) فهي ثابتة بحسب كُـلِّ معادلات القرآن ومعادلات السَّنة النبوية والمعادلات العلمية الرصينة للصديقة (عليها السلام)، بل ثبت مقام ولاية الأمر لها بحسب الدليل مقدّم علي ثبوته للحسنين (عليهما السلام) والأئمة التسعة (عليهم السلام).

ومن أوضح الشواهد علي ذلك قوله تعالى: ( مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَي رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ) (3) (4)، إذ أن أول القربي هي فاطمة (عليها السلام).

## ولاية أمر الأئمة (عليهم السلام) وراثية من فاطمة (عليها السلام):

ومما يستفاد هاهنا من قاربته القربية أنّها تورث أولادها المعصومين (عليهم السلام) مقام ولاية الأمر، فضلاً عن كونها ولية أمر بحسب

ص: 257

1- سورة النساء: الآية 59.

2- سورة 4 - آيه 59

3- سورة 59 - آيه 7

4- سورة الحشر: الآية 6.

القاعدة القرآنية المبدّهة فإنّها زيادة على ذلك تتوسّط في توريث ذلك المقام بما له من طبقات ودرجات لبقية المعصومين (عليهم السلام).

وَمِنَ الْوَهْمِ أَنْ يَعْتَقَدَ بَانْحِصَارِ وَايَةِ الْأَمْرِ فِي الْبُعْدِ السِّيَاسِيِّ وَالْقِيَادَةِ السِّيَاسِيَةِ فَيُفَسِّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ) (1) (2) عَلَيَّ أَنَّهَا نَازِلَةٌ فِي بَيَانِ الْحَاكِمِيَةِ السِّيَاسِيَةِ لِلْأُمَّةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، بَلَّ الصَّحِيحُ أَنَّ الْحَاكِمِيَةَ السِّيَاسِيَةَ بَعْدَ نَازِلِ بَمَرَاتِبِ مِنْ وَايَةِ الْأَمْرِ، وَإِلَّا فَإِنَّ لِمَقَامِ وَايَةِ الْأَمْرِ أَصْلًا وَبَعْدَ مُتَجَدِّدٍ وَهُوَ وَايَةُ الْأَمْرِ الْمَلَكُوتِيِّ الْأَعْلَى، وَمَا الْحَاكِمِيَةُ السِّيَاسِيَةُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا ظِلٌّ وَظِلَالٌ مِنْ ذَلِكَ الْأَصْلِ.

وَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ( وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ) (3). (4)

وأفصح في سورة الواقعة أنّ ذلك الرُّوحَ يمسه المطهرون، وبَيَّنَّ مُصَدِّقُ الْمُطَهَّرِينَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ، وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الْخَمْسَةِ وَأَحَدُهُمْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فَيُثَبِّتُ لَهَا مَقَامَ وَايَةِ الْأَمْرِ بِذَلِكَ الْمَعْنَى الْأَصْلِي الَّذِي تُتَفَرَّعُ عَلَيْهِ وَايَةُ الْأَمْرِ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ، إِذْ مِنْ الْخَطَأِ أَنْسَبِقَ الْمَعْنَى الْأَرْضِيَّةُ مِنَ الْأَمْرِ حَيْثُ إِنَّ الْقُرْآنَ قَسَمَ الْعَوَالِمَ إِلَى خَلْقِيَّةٍ وَأَمْرِيَّةٍ، وَعَالَمِ الْأَمْرِ هُوَ عَالَمُ الْإِبْدَاعِ، وَعَالَمُ (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

2(5).

ص: 258

1- سورة النساء: الآية 59.

2- سورة 4 - آية 59

3- سورة الشوري: الآية 52.

4- سورة 42 - آية 52

5- سورة 36 - آية 82

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (1) (2) ، وعالم (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (3) (4) ، فالمعني الأول والأصل لقولنا إنَّ فاطمة(عليها السلام) ولية الأمر أنَّها تلي عالم الأمر.

### انعكاس ولاية فاطمة(عليها السلام) الملكوتية في الشؤون الخطيرة:

ولو سأل سائل عن صدي ومقابل ما لها من ولاية أمرية ملكوتية علي عالم الخلق وعالم الأرض؟

فلو قيل: هل انعكس ما تثبتونه لها من مقام أمري علي دورها في عالم الدنيا، إذ أن الأدوار الأرضية كيفاً ومساحة منعكسة عن سعة المقام الأمري؟

وقبل الإجابة يحسن أن نشير إلي اشتباه البعض في وزن المقامات الأمرية للحجج بما ينعكس عنها لهم في عالم الدنيا بنحو ظاهر وواضح، فلو لم يشهد لهم احتكاك مباشر بعالم الخلق والأرض لكان ذلك ذريعة لإنكار ما لهم من مقام في عالم الأمر!!

أي أنه مع القول بضرورة انعكاس ما هناك علي ما هنا إلا أن الاشتباه هو في وضوح الانعكاس الذي هو المهم لدي المشتبه.

ص: 259

1- سورة يس: الآية 82.

2- سورة 36 - آيه 82

3- سورة الإسراء: الآية 85.

4- سورة 17 - آيه 85

وَمِنْ ثَمَّ فَنَحْنُ نَقُولُ بِضَرُورَةٍ كَوْنِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَلِيَّةٍ لِلْأَمْرِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا انْعِكَاسًا عَمَّا لَهَا مِنْ وِلَايَةٍ لِلْأَمْرِ فِي عَالَمِ الْأَمْرِ لَكِنَّهُ لَيْسَ بِنَحْوِ مَا لِأَوْلَادِهَا (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) حَرْفِيًّا لِخُصُوصِيَّةِ الْأُنْثَى فِيهَا.

ولنضرب مثلاً لإيضاح المطلب وهو أن القرآن يلزمنا بالاعتقاد بجبرائيل (عليه السلام) وبمقام أمين الله عليّ وحيه في قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ) (1) (2)، والمقصود به جبرائيل ويصفه القرآن بذي قوة وأنه مكين لذي العرش.

ويترتب عليّ ذلك ضرورة الإيمان بأمانة جبرائيل (عليه السلام) في نقل الوحي وإلا تتلاشي العقيدة بالقرآن.

ولا شك أن من يسأل عن انعكاس مقامات الزهراء (عليها السلام) الأمرية عليّ وجودها الدنيوي يؤمن بحجّة جبرائيل (عليه السلام) برغم أنه لا يتعاطي مع البشر وليس له تماس مباشر معهم.

فلنا أن نتساءل هنا أيضاً أين هو انعكاس مقام جبرائيل (عليه السلام) الأ-مري وهو الوساطة بين المقام الصاعد والمقام النازل لسيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) في عالم الأرض وفي حركة البشر!!

وبعبارة أخرى:

إنّه لا تستتم لدي أيّ مسلم الشهادة لرسول الله (صلي الله عليه وآله) بالرسالة إلا 9.

ص: 260

1- سورة التكوير: الآية 20 , 19.

2- سورة 81 - آيه 19

بالاعتقاد بأن جبرائيل أمين الله عَلِيّ وحيه، ولا يبرر عدم كونه إماماً ولا قائداً بشرياً وأنه لَيْسَ لَهُ تماس بالبشر رفع أحد اليد عما لَهُ مِنْ مقامات واجبة الاعتقاد.

ونظير ذَلِكَ فِي فاطمة(عليها السلام) فعدم كونها إماماً أو قائداً بشرياً عَلِيّ حَدِّ ما للأئمة(عليهم السلام) من قيادة تنفيذية لا يزعم الاعتقاد بولايتها الأمرية ومقامها الأمري.

وَقَدْ انعكس ما ثبت لها هُنَاكَ عَلِيّ وجودها الأرضي فكانت معلّمة وملهمة لخاصة أولياء الله، وهذا أعظم أثرا من أن يكون لها نشاط في تعليم عموم البشر.

### الأبعاد الثابتة من ولاية الأمر لفاطمة(عليها السلام):

ولنخوض أكثر في أبعاد ولاية الأمر الثابتة للزهراء(عليها السلام)، فَإِنَّهُ مقام لا يضاهيه مقام ولاية الأمر للأنبياء(عليهم السلام) وولاية الأمر لمريم(عليها السلام).

ودليله آيات قرآنية عظيمة لا يخطأ مفادها العقل لو تسلّح بسلاح التدبر مقروناً بإشارات روايات أهل البيت(عليهم السلام).

فَإِنَّ تلك الآيات الناصّة عَلِيّ مقام فاطمة(عليها السلام) سلكت منهاجاً وأسلوباً غَيْرَ ما هُوَ معهود مِنْ أسلوب قرآني في آيات مريم وسائر الأنبياء(عليهم السلام)، فَإِنَّهُ فِي مريم وسائر الأنبياء أثبت لهم المقامات بأسلوب

مباشر وبالتنصيب علي الأسماء، غير أنه أثبت مقام ولاية الأمر وغيرها من المقامات لفاطمة (عليها السلام) في ضمن إثباتها لأهل البيت (عليهم السلام)، فشارك الله في ولاية وطهارة وسؤدد رسول الله (صلي الله عليه وآله) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، ولم يشارك غيرهم من المصطفين لا من الأنبياء والمرسلين ولا من النساء الطاهرات.

ومعلوم سلفاً أن سائر مقامات سيّد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) لا يشاكلها ولا يجانسها ولا يشابهها ما لدي الأنبياء والمرسلين من مقامات.

فإشارك أهل البيت (عليهم السلام) مع سيّد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) في بيان لما له من مقامات كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً...) (1) (2) يوضح أن ما ثبت لهم (عليهم السلام) يكبر ويعظم ما ثبت للنبيين.

### سؤدد وطهارة وحجبة فاطمة (عليها السلام) مأخوذ في الدين:

وإذا كان القرآن لا يفتأ من المناداة بسيادة مريم (عليها السلام) وطهارتها وحجيتها وولايتها فمناداته بسيادة وطهارة وحجبة وولاية فاطمة (عليها السلام) أكبر وأعظم.

وإذا ما فتأ عن الإشادة بخصال ومقام واصطفاء وسؤدد أولي

ص: 262

1- سورة الأحزاب: الآية 33.

2- سورة 33 - آية 33

العزم من الأنبياء بإشادته باصطفاء وسؤدد فاطمة(عليها السلام) أكبر وأعظم.

وَمِنْ ثَمَّ إِذَا كَانَ سُودِدَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءَ مُؤْخِوذاً فِي دِينِ اللَّهِ فَسُودِدَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مُؤْخِوذاً عَلَيَّ مَرِيماً وَحَوَاءَ وَسَارَةَ وَسَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي دِينِ اللَّهِ.

وَلَقَدْ حَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَيَّ بَيَاناً أَنَّ سُودِدَهَا ثَابِتٌ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَوْلُهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ):

«فاطمة سيدة نساء العالمين»<sup>(1)</sup> أفصح عن سُودِدِهَا فِي عَالَمِ الدُّنْيَا، وَقَوْلُهُ: «

فاطمة سيّد نساء أهل الجنة»<sup>(2)</sup> أثبت سُودِدِهَا عَلَيَّ غَيْرِهَا فِي عَالَمِ الْآخِرَةِ.

ولا ينحصر معني السؤدد الأخرى في الفضيلة والتفضيل، وإِنَّمَا هُوَ بِمَا تُعْطَى فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ مِنْ صِلَاحِيَّاتٍ وَحَاكِمِيَّةٍ وَمَقَامٍ تَدْبِيرٍ وَسُلْطَةٍ إِدَارَةٍ بِإِذْنِ مَنْ اللَّهُ تَعَالَى سِوَاهُ قَبْلَ دَارِ الْجَنَّةِ أَوْ فِيهَا، إِذْ فِي الْجَنَّةِ مَرَاتِبٌ مِنْ مَنْظُومَةِ الْإِدَارَةِ وَمَنْظُومَةِ الصِّلَاحِيَّاتِ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

فَكَمَا أَنَّ عَالَمَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِ أَمْرٌ وَمَأْمُورٌ وَسَيِّدٌ وَمَسُودٌ وَنِظَامٌ وَتَرَاتِبِيَّةٌ صِلَاحِيَّاتٍ، فَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي عَالَمِ الْجَنَّةِ، فَمَعَ كَوْنِهَا دَارَ نَعِيمٍ<sup>3</sup>.

ص: 263

---

1- الأُمالي، الشيخ الصدوق 175، كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق 260، المستدرک، النسابوري: 156/3، مسند ابي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي 197.

2- الأُمالي، الشيخ الصدوق 187، كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق 263، مسند احمد، الامام احمد بن حنبل 3 / 80، صحيح البخاري، البخاري 4 / 183.

لا يتخللها أيّ تسيّب أو فوضوية بلّ يحكمها نظام الإمام والمأموم والسّيّد والمسود ونظام الإدارة والحاكمية.

وقد مرّ في ضوابط البحث أنّ الدّين وليّ الشريعة موجود في كلّ العوالم أرضية أو سماوية وديوية أو أخروية وبشرية أو ملائكية وأدمية أو جنّية وظاهرية أو برزخية.

وتقدم أنّ من له موقعية في الدّين له موقعية في كلّ العوالم التي يحكمها الدّين.

ومما يوضح أنّ الولاية من الدّين قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...)(1) (2) حيثُ أسند الولاية الحقيقية لله تعالى وما لله دين عام مستمر وليّ شريعة متبدلة، فكذلك ما أسند لأهل البيت (عليهم السلام) من ولاية ظليّة هي من الدّين الثابت فلهم ولاية في التكوين وولاية في التشريع وولاية في سائر العوالم.

ومن الخطأ القول أنّ مفاد قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...)(3) هو مفاد تشريعي بلّ هو مفاد اعتقادي، أيّ مرتبط بجانب الدّين وليّ بجانب الشريعة.

ومن ثمّ فكون فاطمة (عليها السلام) وليّة الأمر يعني أنّ لها ولاية دينية واسعة بسعة العوالم، وعلي اختلافها وتنوعها.5.

ص: 264

1- سورة المائدة: الآية 55.

2- سورة 5 - آيه 55

3- سورة 5 - آيه 55



روي في الكافي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: «إن الله عز وجل لما عرج بنبيه (صلي الله عليه وآله) إلي سماواته السبع... ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ يا محمد نسبة ربك تبارك وتعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»... (1) ثم أوحى الله عز وجل إليه اقرأ إنا أنزلناه فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلي يوم القيامة (2).

فما هو معني النسب، وما هو معني إضافتهم لسورة القدر؟

وجوابه: إن الحديث القدسي يخط المسار الذي ينبغي أن يتوجه من خلاله للتعرف على هوية أهل البيت (عليهم السلام)، فإذا أراد الباحث أن يتعرف على الهوية الحقيقية لهم (عليهم السلام) فلا سبيل له لذلك في المسار التاريخي العائلي، فليست حقيقة تعريف النبي (صلي الله عليه وآله) أنه مُحَمَّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وليست حقيقة علي (عليه السلام) أنه علي بن أبي طالب، وليست هوية فاطمة (عليها السلام) أنها فاطمة بنت مُحَمَّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، بل التعريف الحقيقي في هويتهم القرآنية الإلهية أعظم بمراتب من انتمائهم العائلي وإن كان نسبهم في الشرف والسؤدد لا يُجاري ولا يضاهي،

ص: 265

1- سورة 112 - آيه 1

2- الكافي، الشيخ الكليني: 486/3، ويدل عليه ما رواه في كمال الدين بسنده عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه عن آبائه<sup>ه</sup> أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: سمعت رسول الله يقول لأصحابه: آمنوا بليلة القدر إنها تكون لعلي بن أبي طالب وولده الأحد عشر من بعده. كمال الدين وتمام النعمة/281.

لكنه لا يجاري نسب هوياتهم القرآني والإلهي.

وبكلمة أدق:

إن نسب الله تعالى في رتبة من رتب آيات القرآن وبالتحديد في سورة التوحيد، أي أنها المنظار المقرب للمعرفة التوحيدية.

ونسب أهل البيت (عليهم السلام) في رتبة من رتب آيات القرآن وبالتحديد في سورة القدر.

فأي باحث أراد أن يسلم الأضواء ليقرب من هوياتهم الحقيقة فلا سبيل له إلا الغوص الفكري والسباحة العقلية بين طيات آيات سورة القدر، فلب هويتهم ولباب حقيقتهم كما في (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (1). (2)

وختام آيات سورة القدر قوله تعالى: (تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ ...) (3). (4)

والسؤال من هم أصحاب الأمر، والذين لا يتنزل الأمر إلا عليهم؟

ذَلِكَ ما توضحه سورة النحل في قوله تعالى: (يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ..) (5). (6) 2.

ص: 266

1- سورة القدر: الآية 1.

2- سورة 97 - آيه 1

3- سورة القدر: الآية 4.

4- سورة 97 - آيه 4

5- سورة النحل: الآية 2.

6- سورة 16 - آيه 2

فَلَمْ يَقُلْ مِنْ أَنْبِيَائِهِ أَوْ رَسَلِهِ إِنَّمَا قَالَ مِنْ عِبَادِهِ، أَيَّ أَنْ أَصْحَابِ الْأَمْرِ لَيْسُوا هُمْ بِالْخُصُوصِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَمِنْ ثَمَّ لَعَنَتْهُ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

ويتجلى نفس هذا المعنى في سورة الدخان في قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ \* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ \* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ) (1). (2)

وفي قوله تَعَالَى: ( يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ) (3). (4)

وقوله تَعَالَى: ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) (5). (6)

فتلاحظ أن الله تَعَالَى قَدْ ذَكَرَ فِي كُلِّ تِلْكَ الْآيَاتِ أَصْحَابَ الْأَمْرِ بِلَفْظِ عِبَادِنَا وَلَمْ يَذْكُرْهُمْ بِلَفْظِ أَنْبِيَاءٍ أَوْ رُسُلٍ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ أَنَّ لِلْقُرْآنِ حَقِيقَةً عَظِيمَةً وَهُوَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الْمَلَكُوتِي وَهُوَ ذَلِكَ الرُّوحُ الْأَمْرِي، وَأَنَّهُ يُلْقِي وَيَسْتَوْدِعُ عِنْدَ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ بَعْدِ رِسْوَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فثمة مَنْ يورثهم الله ذَلِكَ الْأَمْرَ الْمَلَكُوتِي. 2.

ص: 267

1- سورة الدخان: الآية 3 - 5.

2- سورة 44 - آية 3

3- سورة غافر: الآية 15.

4- سورة 40 - آية 15

5- سورة الشورى: الآية 52.

6- سورة 42 - آية 52

وَفِي خُطْوَةٍ مَعْرِفِيَةٍ أُخْرَى أَفْصَحَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَنْ أَصْحَابِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمَقْرُونِينَ بِالْقُرْآنِ وَالْمَسْتُودِعِ عِنْدَهُمُ الرُّوحَ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ( إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) (1) (2) ) وَلَمْ يَقُلِ الْمُتَطَهَّرُونَ الَّذِينَ تَطَهَّرُوا بِالتَّوْبَةِ، وَإِنَّمَا الْمُتَطَهَّرُونَ الَّذِينَ طَهَّرُوا مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى، وَهُمْ الَّذِينَ أَفْصَحَ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ) (3). (4)

وَمَحْصَلُ تِلْكَ الْمَعَادِلَاتِ هُوَ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَمْرِ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى هُمُ الْخَمْسَةُ أَصْحَابُ الْكِسَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وَفِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ هُمُ التَّسْعَةُ الْمَعْصُومُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْحُسَيْنِ، وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) ثَلَاثَ أَفْرَادٍ الدَّرَجَةِ الْأُولَى فَيُثَبَّتُ لَهَا كُلُّ صِلَاحِيَّاتِ وَلِيِّ الْأَمْرِ.

### خُلو كُتُبِ الْكَلَامِ عَنِ نِسْبَةِ عِنْوَانِ وَوَالِيَةِ الْأَمْرِ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ):

وَإِذَا قُلْتِ: إِنَّ مَا وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ نَتِيْجَةِ عَقَائِدِيَّةٍ فِي مَقَامَاتِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) لَمْ يَثْبُتْهَا الْمُتَكَلِّمُونَ فِي كُتُبِهِمُ الْكَلَامِيَّةِ بَرغمَ تَعَدُّدِهَا؟

فَنَقُولُ: إِنَّ النَتِيْجَةَ الَّتِي وَصَلْنَا إِلَيْهَا نَتِيْجَةُ قَطْعِيَّةٍ مِنْ ضَمَنِ مَعَادِلَاتِ قُرْآنِيَّةٍ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ نَحِيدَ عَنِ الدَّلِيلِ وَهُوَ مِثْلُ أَمَامِ

ص: 268

1- سُورَةُ الْوَاقِعَةِ: الْآيَةُ 77 - 79.

2- سُورَةُ 56 - آيَةُ 77

3- سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ 33.

4- سُورَةُ 33 - آيَةُ 33

أعيننا، فيثبت أنها(عليها السلام) ولاية أمر، بل من أعظم مقاماتها أنها ولاية أمر في الدين وبما للدين من رحب وسيع في كلِّ العوالم. هَذَا فَضلاً عَنِ الرِّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَثْبَتَتْ لَهَا أَنَّهَا وَليَّةُ أَمْرٍ، بَلْ أَنَّهَا تَسْبِقُ أَوْلَادَهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَمِنْ ثَمَّ يُدِينُ كُلُّهُمْ بِطَاعَتِهَا وَوَلَايَتِهَا.

### دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي:

وما مرَّ هو دليل ولايتها للأمر بمعناه الملكوتي، وأمَّا دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي فلتوضيحه نمهد بهذه المقدمة:

فإنَّه لا يرتاب عاقل في أنَّ العلم والقوة والثروة من الأركان التي تقوم عَلَيْهَا الحكومات في الأرض.

وهي العوامل الرئيسية للحاكمية في الأرض، وهي الآثار التي يقوم عَلَيْهَا الحكم السياسي.

والثروة باعتبارها أحد الأركان ليست عنواناً للصلاحيات في جانب المال وإنما هي عنوان للحاكمية السياسية.

وَلَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ تَوَافُرِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ لِلْحَاكِمِيَّةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مِمَّنْ جُعِلَ لَهُمُ الْوَلَايَةُ عَلَيَّ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، حَيْثُ عَزِيٌّ وَأَسْنَدٌ وَوَلِيٌّ الْحَاكِمِيَّةِ وَالْإِدَارَةِ وَالتَّدْبِيرِ لَهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) كَمَا فِي سُورَةِ الْحَشْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ( مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولِهِ مِنْ (1)

ص: 269

والفيء في تعريف كافة مذاهب المسلمين علي اختلاف تعابيرهم هو عبارة عن كل ثروات الأرض باستثناء الملكيات الخاصة، أو قل هو خاص بالثروات العامة، وهو نفسه متحد ومنطبق علي الأنفال الوارد في قوله تعالى: ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ) (3). (4)

وفي قراءة قرأ بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وعلي بن الحسين، وأبو جعفر بن محمد بن علي الباقر، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وطلحة بن مصرف: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) (5). (6)

فهي تسند أمر الثروات العامة أو تنقل ما زاد وما خرج عن الملكيات الخاصة من الثروات العامة لله والرسول (صلي الله عليه وآله)، وليس أمرها مسنوداً لسائر المسلمين، هذا بحسب آية الأنفال.

وأما آية الفيء في سورة الحشر فتضيف قوله تعالى: (وَلِذِي الْقُرْبَى) (7) وحيث إن كل لفظ في القرآن بحساب ووزن، فالسؤال هنا عن تكرر اللام ثلاث مرات في نفس السياق، حيث مرة دخلت علي لفظ الجلالة ومرة علي لفظ الرسول (صلي الله عليه وآله) وأخري علي ذي القربى، بينما جرّدت ألفاظ «اليتامي والمساكين وابن السبيل» (8) عن سبقها بالام، مما3.

ص: 270

1- سورة الحشر: الآية 7.

2- سورة 59 - آيه 7

3- سورة الأنفال: الآية 1.

4- سورة 8 - آيه 1

5- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي 4/ 423.

6- سورة 8 - آيه 1

7- سورة 8 - آيه 41

8- سورة 59 - آيه 7

يعطي حقيقة مفادها أن كُلَّ ما وَرَدَ فِي الآية لَهُ صلة وعلاقة بالأنفال لكنَّها تختلف وتتفاوت نوعاً وِسْخاً، فَإِنَّ دُخُولَ اللّامِ عَلَيَّ قَوْلِهِ: (فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى) (1) يُوْحِي بِالْهَيْمَنَةِ مِنَ اللّهِ وَالرَّسُولِ وَذِي الْقُرْبَى عَلَيَّ ثَرَوَاتِ الْأَرْضِ.

وَلَيْسَتْ «اللام» مُجَرَّدَ تَعْبِيرٍ عَن مَلَكيَّةٍ مُتَوَاضِعَةٍ عَلَيَّ حَدِّ ما فِي المَلَكيَّةِ الخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ لامُ الوِلايَةِ، وَفَرَقَ بَيْنَ المَلَكيَّةِ الخَاصَّةِ الَّتِي لا شَأْنَ فِيها وَبَيْنَ مَلَكيَّةِ الوِلايَةِ عَلَيَّ الأُمُوالِ وَالثَرَوَاتِ، فَإِنَّ أَمْرَها أَعْظَمُ وَشَأْنُها أَجَلٌ.

إِذْ مِنَ الفَوَارقِ بَيْنَهُما أَنَّ المَلَكيَّةَ الخَاصَّةَ إِذا ما تَعارَضتْ مَعَ الصالِحِ العامِّ للمُجْتَمَعِ وَلِعِمْرانِ المَدَنِ وَحاجاتِ العِبادِ فَإِنَّها تَسْقُطُ، كَمَا إِذا اسْتَلْزَمَتِ المِصْالِحُ المَدِنيَّةَ العامَّةَ شَقَّ طَرِيقَ يَمُرُّ عَلَيَّ أَرْضِ مَمْلُوكَةٍ بِمَلَكيَّةٍ خَاصَّةٍ فَإِنَّ الصالِحِ العامِّ يَتَغَلَّبُ عَلَيَّ المَلَكيَّةِ الخَاصَّةِ وَتُزَالُ الأَرْضُ عَن صِفَتِها الأُولَى وَيَشُقُّ الطَرِيقَ العامِّ.

بَيْنَما المَلَكيَّةُ بالوِلايَةِ لا يَمْكَنُ أَنْ تُزَالَ أَوْ تُتْرَاقَ، فَالوِلايَةُ مَلَكيَّةٌ أَعْظَمُ لِاشْتِمَالِها عَلَيَّ التَّدبِيرِ وَالتَّصَرُّفِ المُتَّصِلِ بِالانْتِفاعاتِ الخَطِيرةِ.

أَوْ قُلْ إِنَّ مَلَكيَّةَ الوِلايَةِ تَعْنِي مَلَكيَّةَ التَّدبِيرِ وَالإِدارَةِ وَالْحاكِميَّةِ.

وَلنَضْرِبُ مِثْلاً تَوْضِيحِيًّا لِلْفَرَقِ بَيْنَهُما فِي مَلَكيَّةِ الرِّقْبَةِ، فَإِنَّ مَلِكَ المالِكِ لِرِقْبَةِ العِبدِ مَلِكٌ بِحَسَبِ الوَاقِعِ لِمَنافِعِ مَحْدُودَةٍ فِي العِبدِ، فَهِيَ

ص: 271

وإن عُبر عنها بملك الرقبة لكنها بالدقة ملك لمنافع خاصّة.

وَقَدْ يَغْفَل مَنْ يَخَالَفُ الْإِسْلَامَ فِي بَحْثِ الْعَبِيدِ وَالرَّقِيقِ فَيَتَصَوَّرُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يُبِيحُ بِالرَّقِيقِ إِنْسَانًا لآخر بِشكْلٍ مُطْلَقٍ، وَمِنْ هَذَا الْمَنْطَلِقِ يُشكَلُ وَسَيَتَفَهَمُ، بَيْنَمَا مَلِكُ الْعَبِيدِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ شَبِيهٌ بِالذِّقَّةِ بِالْأَجِيرِ وَالْمُسْتَأْجِرِ، فَكَمَا أَنَّ الْمُسْتَأْجِرَ لَهُ دَائِرَةٌ خَاصَّةٌ يَحِقُّ لَهُ فِيهَا أَنْ يَتَحَكَّمَ فِي الْأَجِيرِ لَكِنِهَا لَيْسَتْ مُطْلَقَةً، وَلَا يَتَحَكَّمَ فِيهِ كَيْفَمَا يَشَاءُ، بَلْ لَهُ الْحَاكِمِيَّةُ فِي مَنَافِعِ خَاصَّةٍ فَكَذَلِكَ فِي مَلِكِ الْعَبِيدِ.

وَهَذَا بِخِلَافِ مَنْ مَلَّكَهُ اللَّهُ طَاعَةَ الْبَشَرِ بِدَائِرَةٍ مُطْلَقَةً فَهُوَ يَمْلِكُ مِنَ الْبَشَرِ الْكَثِيرِ وَالكَثِيرِ مِنَ الْمَنَافِعِ.

أَوْ قُلْ مَلِكِيَّةُ الْوَلِيِّ لِلْإِنْسَانِ وَسَيِّعَةٌ بِسَعَةِ الدِّينِ، فَلَيْسَ لَطَاعَةِ الرَّسُولِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَدٌّ مُحَدَّدٌ كَمَا لَيْسَ لَطَاعَةِ الْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) حَدٌّ أَوْ قَيْدٌ.

### الفرق بين الأمرية الدينية والفرعونية الدكتاتورية:

ومما ينبغي الإلفات إليه أن أمرية الرسول (صلي الله عليه وآله) مختلفة سنخاً عن الديكتاتورية والفرعونية التي هي ناتجة عن تضخم الأنا والزهو بفعل إغراء إبليس الرجيم، بل إن ملاك وأساس طاعته وولايته (صلي الله عليه وآله) كونه أعبد الخلق وأطوعهم لله تعالى، وولايته على الناس تعكس تجليات ومشينات الله، فمعني أمريته (صلي الله عليه وآله) هو أنه أجلي من يتجلي فيه أمر الله تعالى لعبوديته كأعظم مخلوق لله.



وَهَذَا بَعِينَهُ يَجْرِي فِي وِلَايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) عَلَيَّ الْخَلْقِ وَوِلَايَةِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَلَا تُنْهَمُ أَعْبُدُ الْخَلْقَ وَأَجْلِي تَجْلِيَاتِ اللَّهِ فِي نَزُولِ أَمْرِيهِ وَمَشِيئَتِهِ وَرَبُوبِيَّتِهِ لَخَلْقِهِ وَجِبْ طَاعَتِهِمْ.

وَبِمَا مَرَّ يَتَبَيَّنُ مَعْنَى مَلَكيَةِ الْوِلَايَةِ الْمُبَيَّنَةِ فِي آيَةِ الْفِيءِ إِذْ مَفَادُهَا إِسْنَادُ الْفِيءِ لِلرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلِذِي الْقُرْبَى (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، أَيَّ أَنْتَهُمْ أَوْلِيَاءُ ثَرَوَاتِ الْأَرْضِ وَأَنْتَهُمُ الْحَاكِمُونَ فِي الْأَرْضِ.

وَقَدْ مَرَّ بِنَا الْقَوْلِ أَنَّ الثَّرْوَةَ هُنَا عُنْوَانٌ لِلْحَاكِمِيَةِ الَّتِي هِيَ حَاكِمِيَةٌ مُتَوَلِّدَةٌ وَمُنْشَعِبَةٌ وَمَمْتَدَةٌ مِنْ حَاكِمِيَةِ اللَّهِ وَحَاكِمِيَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وَلِأَنَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَوَّلُ مَصْدَاقٍ لِقُرْبَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَالنتيجة أَنَّ الْآيَةَ وَبصريحِ الْعِبَارَةِ تَسْنُدُ الْحَاكِمِيَةَ بَعْدَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لِعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عَلَيَّ السَّوَاءِ.

وَهَذَا مَعْنَى مَا مَرَّ بِنَا غَيْرَ مَرَّةٍ مِنْ أَنَّ النُّصُوصَ الْقُرْآنِيَةَ قَدْ فَعَّلَتْ الْحَقِيبَةَ الْوِزَارِيَةَ لِلزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) - إِنَّ صَحَّ التَّعْبِيرَ - فِي حُكُومَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، بَلَّ الْمَعْنَى فِي وِلَايَةِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ شَأْنًا مِمَّا يُسَمَّى بِالْحَقِيبَةِ الْوِزَارِيَةِ.

وَأَعْجَبَ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ تُسْنَدَ لَهَا تِلْكَ الْوِزَارَةَ فِي ضَمَنِ حُكُومَةِ أَبِيهَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَتَحْتَ ظِلِّ حَاكِمِيَّتِهِ هَذَا مَعَ التَّحْفِظِ عَلَيَّ عَدَمِ إِطْلَاقِ عُنْوَانِ الْإِمَامَةِ عَلَيَّ مَوْقِعِيَةَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مَعَ مَا لَهَا مِنْ وِلَايَةِ أَرْضِيَّةٍ وَحَاكِمِيَّةٍ

عَلِيَّ مَا بَيَّنَّاهُ؛ وَذَلِكَ لِعَدَمِ إِسْنَادِ عُنْوَانِ الْإِمَامَةِ لَهَا فِي لِسَانِ الْوَحْيِ؛ وَلَا جُلَّ ذَلِكَ فَإِنَّا نَتَّقِيْدُ بِالْقَوَالِبِ وَالْأَوْسَمَةِ الْوَحْيَانِيَّةِ، إِذْ أُنْ لِكُلِّ وَسَامِ وَحْيَانِي أَسَاسًا تَكْوِينِيَا غَيْبِيَا وَحَقِيْقَةً غَيْبِيَّةً لَا نُدْرِكُ عَمَقَهَا وَلَا نَتَلَمَّسُ شَأْوَهَا.

ولذا لا نُطْلَقُ عَلَيْهَا (عَلَيْهَا السَّلَام) عُنْوَانِ الْإِمَامِ وَلَكِنْ تَسْنَدُ لَهَا وَلايَةُ الْأَمْرِ لَوْرُودِ هَذَا الْعُنْوَانِ فِي الْفَاطِظِ الْوَحْيِيِّ وَإِنْ كَانَتْ الشُّؤْنُ الْمَخْتَصَّةُ بِالرُّجَالِ لَمْ تُسْنَدْ لَهَا.

### تَرْوِي النَّبِيِّ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي إِسْنَادِ وَلايَةِ إِلِي لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام):

مِنْ الْجَدِيدِ بِالذِّكْرِ إِنَّ إِجْمَاعَ الْمُفَسِّرِينَ وَإِجْمَاعَ رَوَايَاتِ الْفَرِيقَيْنِ قَائِمٌ عَلَيَّ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَدْ تَرْوِي فِي تَفْعِيلِ ذَلِكَ الْمَنْصَبِ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام).

وَكَانَ ذَلِكَ التَّرْوِيَّ إِشْفَاقًا مِنْهُ وَدَرَاءً لِفِتْنَةِ أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، وَحَتَّى لَا يُقَالَ أَنَّهُ رَتَّبَ الشُّؤْنَ الدِّيْنِيَّةَ لَذَوِيهِ وَحَسْبَهُ، أَوْ يُثَارَ فِي وَجْهِهِ نَعْرَاتُ الْجَاهِلِيَّةِ فَيُقَالَ كَيْفَ أَسْنَدَ مِثْلَ تِلْكَ الصَّلَاحِيَّاتِ لِأَمْرَأَةٍ، فَلَأَجَلَ تِلْكَ الْأَسْبَابَ وَغَيْرَهَا تَرْوِي النَّبِيَّ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي إِسْنَادِ ذَلِكَ الْمَقَامِ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) كَمَا تَرْوِي فِي إِسْنَادِ الْإِمَامَةِ لِعَلِيِّ (عَلَيْهَا السَّلَام) إِلِي بِيْعَةِ الْغَدِيرِ.

وَكَمَا أَتَتْهُ (صَلِيَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) النَّذَارَةُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللهِ بِضُرُورَةِ التَّفْعِيلِ لِلْإِمَامَةِ وَإِسْنَادِهَا لِعَلِيِّ (عَلَيْهَا السَّلَام) بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا (1))

ص: 274

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (1)، (1) ومعناها العصم من فتنة الناس، فكذا وَرَدَ الإنذار وبتفاسق أكثر المفسرين من الفريقين واتفق روايات الفريقين في تفعيل منصب فاطمة (عليها السلام).

فالمشهد القرآني الذي حث في الرسول (صلي الله عليه وآله) عَلِيَّ سرعة الإفصاح عَنْ إمامة علي (عليه السلام) لَهُ نظير في ما يتصل بمنصب فاطمة (عليها السلام)، حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ (صلي الله عليه وآله) قَدْ تَرَوَّى فِي تفعيل صلاحيات فاطمة (عليها السلام) فِي العَلن فَأَتته نذارة مِنْ الله فِي سورتين قرآنتين فِي الروم قوله تَعَالَى: (فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَسْفِلِ) (2) (3)، وفي الإسراء فِي قوله تَعَالَى: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْأَسْفِلِ وَلَا تُبْذِرْ مَالَكَ تَبْذِيرًا) (4) (5).

فَقَدْ وَرَدَ فِي روايات الفريقين أَنَّ جبرائيل نزل بها عَلِيَّ النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) لِيُعْطَ لفاطمة (عليها السلام) ما أُسند إليها مِنْ قبل الله تَعَالَى.

وَلَيْسَ ما أُسند إليها مِنْ قبل الله تَعَالَى هُوَ ما تبادر مِنْ معني للمفسرين مِنْ الفريقين عَلِيَّ أَنَّهُ إِسناد للملكية الخاصة والذي بَيَّنَّا أَنَّهُ معني هابط وضحل، فليس ما أُسند لفاطمة (عليها السلام) فِي آية سورة الحشر هُوَ الملكية الخاصة وما يترتب عَلَيْهَا مِنْ لذائذ ونزوات نفسانية، وَإِنَّمَا هُوَ ملكية ولاية الأمر وَهُوَ عبارة عَنْ الحاكمية.6.

ص: 275

1- سورة 5 - آية 67

2- سورة الروم: الآية 38.

3- سورة 30 - آية 38

4- سورة الإسراء: الآية 26.

5- سورة 17 - آية 26

فيكون معني قوله تَعَالَى: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (1) هُوَ ضرورة أن يَفْعَلَ النَّبِيُّ (صلي الله عليه وآله) فِي حياته ذَلِكَ المنصب الولائي لفاطمة(عليها السلام)، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ تَرَوَى النَّبِيُّ (صلي الله عليه وآله) رَافَةً بالعباد وبغية ترويضهم عَلَي استيعاب ما لفاطمة(عليها السلام) مِنْ منصب، فنزلت مَرَّةً أُخْرَى آية ثالثة تدفع النَّبِيُّ (صلي الله عليه وآله) للتعجيل والإسراع فِي تفعيل ذَلِكَ المقام لفاطمة(عليها السلام)، فَقَدْ أَجْمَعَ المفسرون واتفقت روايات الفريقين أَنَّ قوله تَعَالَى: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (2) نزلت فِي سورة الروم بحسب التسلسل الزمني للآيات.

ومما يُؤسَفُ لَهُ أَنَّ ما بَيَّنَّاهُ مِنْ مقام لها(عليها السلام) لَمْ يبلور حَتَّى الآن لا فِي بحوث الفقه ولا فِي بحوث الكلام رغم أَنَّهُ مِنْ العقائد الخطيرة والواجبة الاعتقاد.

وَقَدْ قامت عَلَي إثباته موادُ قُرْآنية ومواد الحديث النبوي ومواد حَدِيثُ العترة، وَهُوَ الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي تكامل المعرفة ورصد العقائد وتطوير الجانب العلمي، وَلَيْسَ الْمُعَوَّلُ علي النتاج العلمي البشري.

ص: 276

1- سورة 17 - آيه 26

2- سورة 17 - آيه 26

إشارة

\*تعريف أهل البيت(عليهم السلام) علي وجه الحقيقة...

\*حقيقة الإنسان لا في بدنه ولا في عقله بل في كماله النهائي

\*التعريف الوحياني لفاطمة(عليها السلام)

تعريف أهل البيت(عليهم السلام) علي وجه الحقيقة:

لَعَلَّهُ يَسْتَعْرَبُ الْكَثِيرَ إِذَا مَا قَلْنَا أَنَّ لِفَاطِمَةَ(عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَدْوَارًا وَتَأْثِيرًا فِي عَوَالِمٍ عَدِيدَةٍ، وَهِيَ عَوَالِمُ قَوْسِ الصُّعُودِ وَعَوَالِمُ قَوْسِ النُّزُولِ.

وَنظِيرَ هَذَا الاسْتَعْرَابِ يَبْدِيهِ الْبَعْضُ اتِّجَاهَ الْبَحْثِ عَنْ أَدْوَارِ الْمَعْصُومِينَ(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) قَبْلَ الْأَرْضِ وَفِيهَا وَبَعْدَهَا.

وَسَبَبَ هَذَا الاسْتَعْرَابِ يَكْمُنُ فِي التَّعْرِيفِ النَّاqِصِ بِحَقِيقَةِ الْمَعْصُومِينَ(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، إِذْ أَنَّ الْاِقْتِصَارَ فِي تَعْرِيفِ حَقِيقَتِهِمْ عَلَي الدِّينِ

وشؤونه الدنيوية يُفضي إلي إنكار سعة أدوارهم وتأثيرهم في بقية العوالم.

إلّا أنّ هَذَا الاستغراب لا- محلّ له إذا ما عرفنا واقتربنا مِنْ فَهْم حقيقتهم (عليهم السلام) عَلَي ما هِيَ عَلَيْهِ، وعندها سنؤمن بما لهم مِنْ منظومة أدوار مِنْ البدء إلي الختم، أيّ في الدنيا وما قبلها وفي البرزخ وما بعده وفي القيامة وما يتلوها.

### حقيقة الإنسان لا في بدنه ولا في عقله بل في كماله النهائي:

ولذا فكَمَا أنّ حقيقة الإنسان وحقيقة كلّ شيء بفصله الأخير لا بمادته ولا بصورته، أيّ حقيقته بكماله الأخير، وَلَيْسَ بكمال النازل الذي ابتدأ في أطوار وجوده، فليست حقيقته بالنطفة وإنّ كانت هِيَ مِنْ مبادئه، وليست حقيقته برجله ويده وسائر أعضائه ولا ببدنه كله، كَمَا أنّهُ ليست حقيقته بروحه أيّ بغرائزه النازلة كغريزة الشّهوة، إذ أنّ الشّهوة مرّة تكون مَعَ الإنسان وتارة تكون مجمّدة وَغَيْر مفعلة.

وليست حقيقته بغريزة الغضب إذ هِيَ كَذَلِكَ ربما تفعلت لديه وربما سكنت وجمدت.

فالبحت عَنْ الحقيقة للشيء هُوَ بحث عَنْ الهوية المفعلة فيه دائماً؛

ولذا قالوا في مباحث المعارف: إنَّ حقيقة الإنسان فضلاً عن أنها ليست ببدنه فهِيَ أيضاً ليست بعقله بلْ شيء وراء عقله، وخلصوا إلى أنَّ حقيقته تكمن بكمالها الأخير.

وَيَدُلُّ عَلَيَّ ذَلِكَ الإِشَارَةُ الخَفِيَّةُ فِي قول النبي (صلي الله عليه وآله):

«من عرف نفسه فقد عرف ربه» (1).

إذ معرفة النفس بحقيقتها كما أسلفنا بمعرفة كمالها الأخير وَلَيْسَ هُوَ إِلَّا غَايَتُهَا وَخَالِقُهَا وَمَرْجِعُهَا.

وَعَلَيَّ ضَوْءُ هَذَا التَّقْرِيْبِ يَصِحُّ القَوْلُ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ نَبِيَّهُ (صلي الله عليه وآله) وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ إِمَامَهُ (عليهم السلام)، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ الصَّدِيقَةَ (عليها السلام)، فَهُمْ أَبْوَابُ الكَمَالِ الأَخِيرِ وَهُمْ تَجْلِيهِ وَأَيَاتِهِ.

وَمِنْهُ تَعْرِفُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ( نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ) (2). (3) أَيَّ نَسُوا الهُوِيَةَ وَالكَنْهَ وَالغَايَةَ، فَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ تَضْيِيعَ النَفْسِ وَالغَفْلَةَ عَنْهَا.

وَفِي آيَاتِ التَّوْرَانِ إِشَارَاتٌ مَعْرِفِيَّةٌ تَوْضِحُ كَيْفِيَّةَ تَعْرِيفِ الأَشْيَاءِ بِحَقِيقَتِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ ) (4) (5) إِنْصَاحٌ.

ص: 279

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسي 32/ 2.

2- سورة الحشر: الآية 19.

3- سورة 59 - آية 19

4- سورة الكهف: الآية 110.

5- سورة 18 - آية 110

عَنْ حَقِيقَةِ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لَا يَأْتِيهِ نَاطِقٌ عَاقِلٌ بَلْ بِمَا هُوَ فَوْقَ الْعَقْلِ وَهُوَ أَنَّهُ الْمَدَدُ الدَائِمُ لَوْحِي اللَّهِ، فَفِي الْآيَةِ اغْتِضَاضٌ عَنِ الْجَنَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَشُرُوقِهَا وَتَعْرِيفُ لَهَا (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِالْجَنَّةِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهِيَ أَنَّهُ «وَحْيِي يَوْحِي».

### التعريف الوحياني لفاطمة (عليها السلام):

وَعَلَى هَذَا جَرَتْ الرِّوَايَاتُ فِي تَعْرِيفِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَعَرَّفَتْهَا بِالنُّورِ وَالْحَوْرِيَّةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ مِمَّا لَا يَتَّصِلُ بِشُؤْنِ الْبَدَنِ فِي شَيْءٍ.

فَلَيْسَ تَعْرِيفُهَا كَامِنٌ فِي بَدَنِهَا وَفِي سَنَةِ وِلَادَتِهَا وَإِنْ كَانَ لِبَدَنِهَا شِرَافَةٌ، لَكِنَّ حَقِيقَتَهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِطَبَقَاتٍ مِنْ ذَاتِهَا مَخْلُوقَةٌ قَبْلَ بَدَنِهَا.

وَلَا يَضَاحُ الْمَطْلَبُ بِنَحْوِ أَجْلِي نَطْرَحُ هَذَا الْمَثَالَ:

وَهُوَ أَنَّ الْقَصْدَ لَزِيَارَةِ شَخْصٍ عَزِيزٍ يَتَطَلَّبُ التَّوَسُّلَ بِمَعْرِفَةِ عُنْوَانِهِ وَمَحَلِّ سَكْنِهِ وَالطَّرِيقَ الْمَوْدِيَّ إِلَى بَيْتِهِ، فَإِذَا مَا وَصَلَ الْقَاصِدُ إِلَى بَابِ بَيْتٍ مَقْصُودِهِ فَإِنَّهُ يَعْضُضُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَيَقْبَلُ عَلَى الشَّخْصِ السَّاكِنِ وَلَا يُعِيرُ أَهْمِيَّةً لِلْبَيْتِ الْمَسْكُونِ.

وَهَذَا نَظِيرُ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ تَعْرِيفِ الْأَشْيَاءِ، فَإِنَّ الْوُقُوفَ عِنْدَ أَبْدَانِ وَغُلَافِ الْأَشْيَاءِ هُوَ اعْتِنَاءٌ بِالْبَيْتِ الْمَسْكُونِ وَتَمَسُّكٌ بِهِ، بَيْنَمَا فِي دَاخِلِهِ تَكْمُنُ الْهَوِيَّةُ وَالرُّوحُ، وَفِي دَاخِلِ بَيْتِ الرُّوحِ يَسْكُنُ النُّورُ، وَفِي



بيت النور يسكن نور النور.

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَإِنَّ تَعْرِيفَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) أَوْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) إِذَا لَمْ يَلْحَظْ فِيهِ تِلْكَ الطَّبَقَةَ النُّورِيَّةَ وَذَلِكَ الْكِنَّةَ الرُّوحَانِيَّةَ فَهُوَ شَطٌّ وَابْتِعَادٌ عَنِ الْحَقِيقَةِ وَلَيْسَ قَرَبًا مِنْهَا.

وَلِذَا وَرَدَتْ التَّوَصِيَةُ الْوَحْيَانِيَّةُ بِالتَّعْرِيفِ عَلَيْهِمُ بِالنُّورَانِيَّةِ، بَلَّ أَشَارَتْ كَثِيرٌ مِنَ الرُّوَايَاتِ بِمَعْرِفَتِهِمُ بِالنُّورَانِيَّةِ، أَيَّ تَعْرِيفِهِمْ بِأَوَّلِ طَبَقَةِ فِي خَلْقِ ذَوَاتِهِمْ، فَهِيَ كُنْهِمُ وَغَايَتِهِمْ.

فَفِي الْبَحَارِ عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ؟

فَقَالَ: نُورٌ نَبِيكَ يَا جَابِرُ، خَلَقَهُ اللَّهُ ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ كُلَّ خَيْرٍ) (1).

وَوَرَدَ عَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ):

«كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ» (2).

وَلَمْ يَقُلْ كُنْتُ بَدَنًا لِأَنَّ نَبُوَّةَ النَّبِيِّ لَيْسَتْ بِبَدَنِهِ أَوْ رُوحِهِ أَوْ قَلْبِهِ وَإِنَّمَا بِنُورِهِ.

وَنَظِيرُهُ سَارٍ فِي تَعْرِيفِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) فَإِنَّ تَعْرِيفَهَا بِالنُّورِ هُوَ التَّعْرِيفُ الْمَظْهَرُ لِحَقِيقَتِهَا. 1.

ص: 281

1- بحر الانوار، المجلسي 24/15 عن رياض الجنان.

2- عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الاحساني 4 / 121.

وبما ذكرناه يتقرَّب للأذهان ما في بيانات الآيات والروايات مِنْ أَنَّ لفاطمة(عليها السلام) منظومة أدوار في مبدأ الخلقَة ووسطها ومنتهاها،  
كَمَا أَنَّ لها أدواراً في البرزخ والرجعة وفي القيامة بمواطنها المختلفة مِنْ موطن الشفاعة وَحتي دخول الجنَّة.

وبذلك يثبت لها شأنٌ في الحجية لا يقتصر على عالم الدُّنيا، بل يدوم لها ما دامت الخلقَة، وبذلك تشترك مَعَ النبوة والإمامة في تأييد  
الحجية وما يترتب عَلَيْهَا.

اشارة

\*النقطة الأولى: الدليل علي ظلامتها...3

\*تحليل السياقات الطبيعية للحدث وسيلة لفهمه

\*اهمال القصصات المحتملة تغريد خارج سرب فطرة البشر

\*الحجج المجموعية دون الحجج المستقلة نبع الحقيقة

\*بعض أنماط تنقية التراث تعمية علي الحقائق

\*تراكم وتوزع قصصات ظلامتهم في كتب المسلمين...

\*التسرع في نفي الأحداث مناقض للمنهج العلمي

\*النقطة الثانية: فلسفات إثبات ظلامتها(عليها السلام)

\*الفلسفة الأولى: إحياء المظلومية إحياء للمنهج القويم

\*الفلسفة الثانية: التعرف علي الظلامات تمييز للقذوات

\*علل تصفية الزهراء(عليها السلام)

\*علة الأولى: حيلولة وجود الزهراء(عليها السلام) عن البيعة

\*علة الثانية: تصفيتها لمصادرة حقها

\*علة الثالثة: شرعيتها المحكمة(عليها السلام) اسقاط لشرعيتهم

\*الشاهد الأول

\*الشاهد الثاني

\*الفرية علي الزهراء(عليها السلام) فرية علي الدين

\*اشترك النَّبِيُّ (صلي الله عليه وآله) وبضعته(عليها السلام) في شدة الظلّامة

وها هُنَا نستعرض نقطتين:

**النقطة الأولى: ما هُوَ الدليل عَلي وقوع ظلاماتها:**

**إشارة**

إنَّ المصادر النَّبِيَّة تثبت وقوع الظلامات عَلي فاطمة(عليها السلام) مصادر مستفيضة وكثيرة، فوقعها لَمْ يخرجها مصدر واحد أو اثنين أو ثلاثة.

كَمَا أَنَّ مصادر ظلامتها غَيْر مختصة بكتب الشيعة الإمامية أو كتب فرق الشيعة الأخرى، وإنما هِيَ مثبتة فِي بطون كتب المسلمين جميعاً.

فلو تحلي الباحث بالتتبع والاستقصاء لظفر بمصادر إثبات غَيْر

ص: 284

ولربما تتلبد الرؤية وتضم القناعة بذلك عند بعض الخاصة ومنشؤها السبات والغفلة والقصور المنهجي في التبع للقصاصات المباشرة وغير المباشرة، وإلا فما من صحيح من كتب الحديث لدى الجمهور وأهل سنة السلطان إلا وفيها بصمات عديدة وزوايا كثيرة وشواهد غير خفية من ظلامتها (عليها السلام).

ويتساوي في ذلك صحيح البخاري وصحيح مسلم ومسند الترمذي وغيرها.

والعجب ممن يقرأ عبارات مفعمة بالإشارة إلى ظلاماتها ولكن من غير تنبه والتفات إلى دلالتها كعبارة «ماتت وهي واجدة»<sup>(1)</sup> أو عبارة «وددت أنني لم اكشف بيت فاطمة»<sup>(2)</sup> فليس المقصود من العبارة الأولى التأثير النفساني لخلاف دنيوي، كما أنه ليس المقصود من عبارة «كشف عن بيتها» مجرد إزاحة الستار.

فإن أمثال تلك القراءات هي وليدة الفهم البارد والذهن الفاتر فإنه لا يتوقع أن ينقل تفاصيل التفاصيل في شق ظلامتها، ولكن كما قيل «الحر تكفيه الإشارة»<sup>8</sup>.

ص: 285

1- شرح نهج البلاغة، بن أبي الحديد 6/ 50.

2- الايضاح، الفضل بن شاذان 518.

فالذهن المنفتح والمقتنص لِكُلِّ شوارد ما جري مَعَ وضع أسس الخلاف القائم آنذاك نصب العين يكفي لفهم ما جري عَلَيَّهَا مِنْ ظلامه بعمق وحرارة.

فماهو المتوقع مِنْ الأحداث والتجاوزات والتعديات إِذَا كَانَ أَصْلُ الحَدَثِ هُوَ الصدام حول الرئاسة بحيث تداخلت فيه جملة مِنْ القوي والتوازنات، فَهَلْ يُظَنُّ أَنَّ أجواء مِنْ الرفق واللين والأسلوب الديمقراطي لها أَيُّ فرصة أو مجال؟

ويمكن أن نعطيها هُنَا إشارات تُبَيِّنُ نمط الأسلوب الذي واجهوا به الزهراء(عليها السلام) لفهم شدة ما وقع عَلَيَّهَا مِنْ ظلامه.

أَوَّلًا: افتراض أَنَّهُمْ قَدَّ واجهوا تخلف علي والزهراء(عليها السلام) عَنْ تَأْيِيدِ الخِلافةِ القائمة بحضارية ونمط مِنْ الديمقراطية يكذبه الهجوم عَلَيَّ بيتها رغم أَنَّ معارضة علي وفاطمة(عليهما السلام) لَمْ تسلك أسلوب الخروج للشارع وتحشيد الجموع وتأليب الجماهير، وَمَعَ ذَلِكَ هجموا بأعداد غَيْرَ قليلة عَلَيَّ بيت علي وفاطمة(عليهما السلام).

ولو أردنا أن نحلل بَعْضَ دلالات هَذَا الأسلوب فَإِنَّ أَوْضَحَ دلالة هِيَ أَنَّهُمْ يرون فِي ذَلِكَ البيت أَنَّهُ يمثل عنوان المعارضة ومركز القيادة فإذا لَمْ يُقْتَحَمْ لا تستتب عملية التغيير ولا تضمن السيطرة الكاملة.

ومن الواضح أنّ نفس الهجوم على بيتها (عليها السلام) يُبين أنّ الأحداث كانت ذات طابع إرهاب وعنف ولم تكن محتملة أو ناعمة.

### تحليل السياقات الطبيعية للحدث وسيلة لفهمه:

وينحو القاعدة لأبداً أنّ تقرأ النصوص التاريخية بنحو مستوعب بحيث يقتنص تفاصيلها الطبيعية والمنطقية.

ومما يستدعي الاستغراب أنّ غير المنصفين علمياً سواء من الوسط الداخلي أو الخارجي يقفون على اللقطات التاريخية بما هي، أي كما وردت في التاريخ مبتورة ومقطوعة عما قبلها وعما بعدها، ويرون لأنفسهم عذراً وتبريراً بحجة خلو مصادر التاريخ عن التفاصيل، إلا أنّ من حق الباحث المنقّب أنّ يسلم منظر القوة التحليلية على نفس تلك اللقطة التي يثبتها التاريخ ليفهم السياقات الطبيعية التي لأبداً أنّ ترافق الحدث التأخي بحسب نوعه وطبيعته.

ومن باب المثال إنّ التاريخ قد أثبت وقائع عديدة حدثت في كربلاء، وجاء الكثير منها مبتوراً عما قبله وعما بعده، فهل يمنع ذلك من التحليل لنفي لمستلزمات الحدث.

فإذا نصّ في المصادر أنّ الخيام في كربلاء حُرقت ولنفترض أنّ التفاصيل السابقة واللاحقة لم تذكر لكنّ السؤال يظل قائماً عما يمكن أنّ يستتبع ذلك الحدث.

فإذا كانت الخيام قد حُرقت فما هو حال ومصير من يبقي فيها من النساء والأطفال، وما هو حال ومصير من يفرّ منها علي وجهه إذ أن جيشاً دموياً فتاكاً يدور حول الخيام.

أفهل يمكن القول أن تلك الدلالات مُجرّد اختلاقات، ومصادر التاريخ عارية عنها، أو أن الاختلاق والتزوير هو نكران تلك الدلالات بأن يفهم أن متن ما جري هو حرق الخيام وأما ما قبل الحدث وما بعده فهي أمور هادئة ليّنة؟

أيكون من الاختلاق القول أن بعض الأطفال قد سَحَقوا تحت سنابك الخيول وهو أمر سياقي منطقي لأصل الحدث، أو أن الاختلاق هو إصاق صفة البرود والهدوء لما قبل ولما بعدَ الحدث الوحشي الدامي؟

وبعبارة أُخري:

لو اعترف الجاني بلقطة من لقطات الجريمة المنسوبة إليه فهل يكتفي المحقق الجنائي بالمقطع الذي اعترف به الجاني أم أنه يتوسّل بالثابت من اللقطات لفهم مقاطع أُخري من الجناية والحدث؟

إن الاستقصاء الجنائي قائم الآن عند كلّ البشر علي التحفّظ علي كلّ قصاصة وخيط من خيوط الحدث والتوسّل بها لفهم كلّما جري.



## اهمال القصصات المحتملة تغريد خارج سرب فطرة البشر:

وهذا منهج فطري لا يمكن أن يُفترط فيه بأي حال من الأحوال فإن تراكم الاحتمالات يوصل إلى الصورة الواضحة الكاملة.

بل يُعدُّ الإهمال لأي معلومة وإن كانت ضئيلة تفريطاً وتضييعاً للحدث، بل يُعدُّ من ضرور الجنون أن تترك رؤوس خيوط الحدث ولو كانت ضئيلة.

فإنَّ الحدث ما هو إلا صورة كبيرة تبعثت في قصصات، ووظيفة الباحث بحسب علمه - الباحث في الآثار أو الباحث الجنائي أو الباحث عن الحقيقة- أن يستثمر كل قصاصة ليحبر من خلالها غيرها، وحتي لو فرض عدم مقدرة الجيل الأول من الباحثين على استثمار ما وقع بأيديهم من خيوط فهو لا يبرر إهمال وتضييع تلك القصصات، إذ أن الاحتمال قائم باقتدار الجيل الثاني أو الثالث من الباحثين على الربط والتحليل والاستنتاج.

ومما يُؤكِّد ذلك أن الكثير من تقارير المستندات العلمية حول الجنايات لا سيما في الأحداث الكبيرة كالأحداث التي تخص علاقات الشعوب وعلاقات الدول بعضها ببعض وبالأخص التي ترتبط بالديانات والدين لم تكتشف حقائقها إلا بعد قرون.

ومما يدعم ما نحن فيه أنّ طبيعة النتائج الموضوعية لا سيما في الأمور المعقدة تتطلب تظافر جهود أجيال، فيكون دور الباحث الجنائي في الجيل الأوّل مقتصرًا على جمع القصاصات والقرائن غير أنّه لا يقتدر على ترتيبها وتأليفها بما يطابق واقع الحقيقة.

فتكون تلك المهمة موكولة إلى الجيل الثاني ليستنتج صورة أولية وربما تكون باهة عن واقع الحقيقة.

بيّنما قد يقتدر الجيل الثالث وببركة البناء على جهود الجيلين السابقين من أن يظهر واقع الحقيقة الكاملة بتمام أبعادها.

وكم لذلك من نظير وخصوصاً على صعيد عالم الآثار إذ دأب البشرية على تحصيل العلم بحقائقه على تراكم الجهود والنتائج.

ولذا يكون حال من يطالب بعدم الاكتراث بالقصاصات المتناثرة بحجة أنّها ضئيلة في الاحتمال حال من يغرد خارج سرب البشر.

### **الحجج المجموعية دون الحجج المستقلة نبغ الحقيقة:**

ولذا يعتمد المشهور الأعظم من الفقهاء على صعيد الفقه على الحجج المجموعية وليس على الحجج المستقلة، أي أنّ مجموع الحجج هي الحجة ومجموع الأدلة هي منبع الاستنتاج، فدأبهم على حشد عدّة

روايات كُلِّ منها مُعْتَبَرٌ ولا يكتفون برواية واحدة رغم اعتبارها، إذ أنَّ الالتفات إلى مجموع ما هُوَ حجة ومُعْتَبَرٌ فيه زيادة في الحجية وزيادة وثوق وَهُوَ المسلك الذي يُعْبَرُ عنه الشَّيْخُ الأنصاري والوحيد البهبهاني بمسلك تجميع القرائن.

وتكمن ثمرة هَذَا المسلك في الحجج الكثيرة المبتلي كُلِّ واحد منها بزاوية مِنْ الضعف في إراءة الحقيقة بحيث أَنَّهُ لو اعتمد عَلَيَّ كُلِّ واحد بالاستقلال لكان أَقْصَى ما يَدُلُّ عَلَيْهِ هُوَ احتمال مطابقتها للواقع إِلَّا أَنَّهُ لو صُمِّمَ بعضها للبعث لأوجب ترميم زاوية الضعف في الأَوَّل بجانب القوة فِي الثَّانِي وهكذا، فتننتج بمجموعها النتيجة الواضحة بضم القرائن وترميم بعضها للبعث.

وفي الحقيقة أَنَّ مسلك تجميع القرائن هُوَ مسلك بشري متبع فِي كُلِّ العلوم والتخصصات لا سيما العلوم الإنسانية والنقلية والتأريخية والأثرية.

بَيْنَمَا مسلك إهمال القرائن وعدم الاكتراث بها وشطبها تأسيس للجهل والجهالة فِي الوسط العلمي.

ومن هنا يتأكد ضرورة الحفاظ والاحتفاظ بالأدلة والقرائن مهما تضاعف احتمالها فِي الأحداث والفجائع الكبرى أو ذات التأثير العقيدي والديني، فحتي لو كَانَ احتمالها مِنْ الضآلة إِلَى الواحد بالمائة فَإِنَّهَا تمثل نافذة للانفتاح عَلَيَّ كبد الحقيقة.

## بعض أنماط تنقية التراث نعيمية علي الحقائق:

وَمِنْهُ تَعْرِفُ سَخْفَ دَعْوِي مَنْ يَنَادِي بِحَذْفِ قِصَاصَاتٍ كَثِيرَةٍ سِوَاءَ فِي مَسِيرَةِ الرَّسُولِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَوْ مَسِيرَةِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَوْ مَسِيرَةِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَوْ فِي مَقْتَلِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

فَأَيُّ عَقْلٍ يُجِيزُ هَكَذَا مَسْلُكُ بَأَن تَتَقَصَّدُ الْقِرَائِنَ فِي الْمَجَامِيعِ الْحَدِيثِيَّةِ كَمَوْسُوعَةِ الْبَحَارِ لِتُهْدَمَ وَتُخْفَى بِحِجَّةِ تَنْقِيَةِ التَّرَاثِ!؟

وَالْمَحْصَلَةُ أَنَّ لَا نَتَخَدَعُ وَلَا نَخَادَعُ بِجَهَالَاتٍ تَرْفَعُ بِاسْمِ الْعِلْمِ وَتَضَيِّعُ عَلَيْنَا الْخِيُوطَ الْمَوْصَلَةَ لِلْحَقَائِقِ وَلَوْ بَعْدَ أَجْيَالٍ.

وَنَحْنُ هَذَا لَا نَحَاكِمُ النِّيَّاتِ وَلَا شَأْنَ لَنَا بِالشَّخْصِ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا يُعْنِينَا هُوَ تَسْلِيْطُ الْأَضْوَاءِ عَلَيَّ زَوَايَا الْخَطَأِ فِي بَعْضِ الْمَنَاهِجِ، وَهُوَ مِنْ الدَّابِّ الْعِلْمِيِّ الَّذِي دَرَجَ عَلَيْهِ مَشْهُورٌ عُلَمَاءُ الْإِمَامِيَّةِ وَمَشْهُورٌ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ.

بَلْ نَتَرَقَّى فِي الْقَوْلِ بِضُرُورَةٍ حَفِظَ الْقِصَاصَاتِ وَالْقِرَائِنَ حَتَّى فِي كِتَابِ الْمَخَالَفِينَ فَضْلاً عَنْ كِتَابِنَا فِيهَا جَمِيعاً تَتَرَابَطُ الْأَحْدَاثُ وَتَتَكَامَلُ الصُّورَةُ.

## تراكم وتوزع قصاصات ظلامتهم في كتب المسلمين

وَحَدَّثَ مِثَالاً عَلَيَّ ذَلِكَ الذَّهَبِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ إِذْ بَغِضَ النَّظَرَ عَمَّا يُقَالُ مِنْ أَنَّهُ نَاصِبِي إِلَّا أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ أَثْبَتَ

وسجّل كُـلَّ الأحداث الأليمة التي وقعت عَلَي النَّبِيِّ (صلي الله عليه وآله) بسوء مواقف الصحابة، وجرت عَلَي علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، لكنّه أثبتّها بنحو موثّق ومشتت ومنتشر؛ ولذا فحفظ القصاصات الواردة في كتابه وأمثاله بمكان من الأهمية لكون كلّ قصاصة مبعثرة تلقي بضوئها عَلَي فَهْم الحقيقة الكاملة.

ومن الجدير ذكره أنّ الذهبي في سير أعلام النبلاء قد ذكر ما جرى عَلَي الزهراء (عليها السلام) من إسقاط الجنين وضرب البطن وكسر الضلع والهجوم عَلَي الدار وتلويعها يوم أنّ خرجت حتّى عدّ بعض المتبعين عشرة مواطن تمّ فيها الهجوم عَلَي الزهراء (عليها السلام)، فلو جمعت كلّ تلك القصاصات لوصلت إلي اليقين بحقيقة أنّهم أفرغوا كلّ الأحقاد النفسية اتّجاه سيّد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) عَلَي ابنته سيّدة النساء (عليها السلام).

وبالغور في التحليل بيان أنّ تشفيهم من سيّدة النساء (عليها السلام) ليس قصة أحقاد، وإنّما هو اختلاف منهجية وديانة عن ديانة سيّد الأنبياء (صلي الله عليه وآله).

ونكرر القول أنّ ما نقله الذهبي في شأن ما جرى عَلَي الزهراء (عليها السلام) لا يعثر عليه الباحث في موضع ترجمته للزهراء (عليها السلام) فقطّ أو في ترجمته لسيرة الصحابة فحسب، كما أنّه ليس الاقتصار في البحث عَلَي موضوع واحد يعدّ من المراجعة العلمية بل هي شبيهة بعمل

المحقق الجنائي الذي لا يكلّ من مراجعة كلّ زوايا الحادثة ولا يفرّط في أيّ معلومة مهما تضاءلت نسبتها للحدث.

وقد أدرك الوهابية والسلفية ما يحتويه كتاب سير أعلام النبلاء بين طياته من معلومات وقضايا تاريخية غاية في الأهمية والتي فيها ذكره لكلّ الاغتيالات التي دبرها الصحابة للنبي (صلي الله عليه وآله)، فلمّا أرادوا أن يجددوا طبع الكتاب تحسّسوا الخطر وضرورة حذف كثير مما فيه من شواهد تدين مهندسي تلك الاغتيالات، لكنهم وجدوا أنّ حذف تلك المواضيع كاملة لا يُبقي من الكتاب شيئاً.

وكذلك فعل الذهبي في كتابه الرجالي ميزان الاعتدال فضمّنه ملفات خطيرة فيما يخصّ ظلامه الزهراء (عليها السلام) وما يخصّ سم النبي (صلي الله عليه وآله) ومثله فعل البخاري في بعض أبواب صحيحه، كما في كتاب الطب (1).

والمحصل من كلّ ذلك أنّ بصمات الأحداث الخطيرة وقصاصات المسائل موضع النزاع بين المذاهب الإسلامية مبثوثة وموزعة في مصادر المسلمين ولو جمعت لتبيّن بها حقائق ما جري في التاريخ؛ ولذا وجب أن يتحفّظ كلّ جيل علّي ما يصل من معلومات ليستثمرها الجيل الآتي مع ما يجده ويظفر به من معلومات لتطلع شمس الحقيقة في يوم من الأيام. 17

ص: 294

وتقدم ها هنا ثمة شاهد يشهد علي ما قلناه من كون بصمات الحقيقة التاريخية ماثورة في الكتب، فقد كنت اتصفح يوماً كتاباً من الكتب المطبوعة بملايين النسخ في مكة والمدينة والرياض وهو كتاب (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي)، وكان الغرض من مطالعته البحث في مطلب إلا أنني عثرت مصادفة علي عدة مصادر روائية لدي العامة يذكرها في ذلك الكتاب مضمونها أن النبي (صلي الله عليه وآله) كان يدخل علي أصحاب الكساء فيسر بهم فما يلبث أن ينزل علي جبرائيل فيخبره بما يلقونه من بعده، فيخاطبهم (صلي الله عليه وآله) بقوله وهذه عبارة مستفيضة في طرقهم ومستفيضة في طرقنا - وهي: (أنكم قتلي ومصارعكم شتي) (1).

وفي البحار روي الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده قال: زارنا رسول الله (صلي الله عليه وآله) فعملنا له خزيرة وأهدت إليه أم أيمن قعبا من زبد وصحفة من تمر، فأكل رسول الله (صلي الله عليه وآله) وأكلنا معه ثم وضأت رسول الله (صلي الله عليه وآله) فمسح رأسه ووجهه بيده، واستقبل القبلة فدعا الله ما شاء، ثم أكب إلي الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، فهبنا رسول الله (صلي الله عليه وآله) أن نسأله، فوثب الحسين (عليه السلام) فأكب علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) فقال: يا أبا ربيك تصنع ما لم تصنع مثله قط، قال: يا بني سررت بكم اليوم سرورا لم أسر بكم مثله، وإني.

ص: 295

---

1- وفاء الوفاء وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، السمهودي.

حبيبي جبرئيل أتاني وأخبرني أنكم قتلي ومصارعكم شتي(1).

ولندقق في العبارة كالمدقق الجنائي ونسأل: هل معنى العبارة الإخبار عن قتلهم أو عن القتل بخصوصيات معينة؟!

إن معنى المصراع هو الطريقة الشرسة في القتل، مما يعني أن لكل واحد من الأربعة مصراعاً وقتلاً بشراسة ورعونة، وهو ما يثبت صحة الخصوصيات التي ذكرت في كل مصراع من مصارع الأربعة، فلو استبعد أحد بعض الخصوصيات لعدم ظفره بمستند واضح عليه فإن ما ورد مستفيضاً عن النبي (صلي الله عليه وآله) يلقي الضوء ويرفع الاستبعاد.

ومن الجدير ذكره أيضاً أن السعي العلمي للظفر بالشواهد على الأحداث المؤلمة لا ينحصر في البحث والتفتيش في كتب التراجم وإن كانت هي المعين الأول لذلك، بل حس التحقيق يتطلب التتبع في قصاصات الأحداث المطوية في جميع كتب المسلمين بما فيها الكتب التفسيرية والرجالية والحديثية، بل أن بعض الإشارات البديعة واللفتات السريعة التي تشهد على الظلمات قد يظفر بها في كتب اللغة القديمة والتي قد ترسل بعض العبارات إرسال المسلمات في الاستشهادات اللغوية لكتها من زاوية التحقيق ذات فائدة في الإثبات أو التأييد أو التوضيح لعبائر ذكرت في كتب التراجم أو غيرها.5.

ص: 296



## التسرّع في نفي الأحداث مناقض للمنهج العلمي:

وَمِنْ المنطقي أَنَّ هَذَا النمطَ مِنَ الاستقصاءِ يتوقف على اجتماع سواعد علمية وتضافر جهود تحقيقية، وإذا لَمْ يتوفّر ذلكَ في زمان فلا يحق لعلماء ذلكَ الزمان أن ينفوا بَعْضَ ما وَرَدَ في التاريخ لعدم الشواهدِ عَلَيْهِ، لِأَنَّه في الحقيقة لا يمكن لأحد أن يجزم بعدم وجود الشواهد ما دام البحث يتطلّب توسع الاستقصاء بالنمط الذي ذكرناه.

ويتحصل بما مرَّ أيضاً أَنَّ المنهج المُتسرّع في شطب الأحداث أو إنكارها لعدم وضوح الدليل لا يمت للمنهج العلمي بصلة بل موجب لعرقلة المسير العلمي والتحقيقي لدى الأجيال المستقبلية.

إذ ثمة فرق بين أن يقول الباحث في الجيل الأوّل لَمْ أظفر بدليل وشواهد كافية على الظلامة الكذائية وبين أن يقول أجزم بكذبها، فإنّ العبارة الأولى مُضافاً لكونها عبارة علمية منهجية هي تفتح الطريق للباحثين في الجيل الثاني والثالث، بينما العبارة الثانية مضافاً لكونها غير علمية وغير منهجية هي تصفية وعرقلة لمسير البحث العلمي لدى الأجيال المستقبلية.

## النقطة الثانية: فلسفات إثبات ظلامتها (عليها السلام):

### إشارة

قد يظن البعض أنّ فلسفة التأكيد على ظلامات فاطمة (عليها السلام) تنحصر في أمرين:

ص: 297

(1) هدفها شحن الصدور بالكراهية وإشعال فتيل الخلاف والنزاع بين المسلمين.

(2) إثارتها لأجل التأثر والحزن والتألم والمواساة.

وهاتان الفلسفتان وإن كانتا مطلوبتين بمعنى من المعاني إذ أن شحن الصدور بالكراهية جرّاء رواية ظلامتها مطلوب اتجاه المباشرين للحدث باعتبار أن الإنكار القلبي من مراتب الأ-مر بالمعروف، ولا-شأن له بإثارة الخلاف والنزاع بين المسلمين، بل التأثر النفسي من مقدمات التبري كما أن الحزن والمواساة أمران عظيمان.

إلا أنه مع كل ذلك فثمة فلسفات وأبعاد عظيمة منها:

### **الفلسفة الأولى: إحياء المظلومية إحياء للمنهج القويم:**

إنّه لا فرق بين استعراض مظلومية الزهراء (عليها السلام) ومظلومية أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) وبين إحياء المنهج والصراط القويم ووقاية المسلمين عن السير في صراط الجحيم وعن الاستمساك بالمنهج الزيغ والتزييف.

وهذا ما يغفل عنه الكثير من المسلمين، فيظن أن التاريخ صفحة زائلة وأنه واقع منصرم وأنه حلقة مقطوعة لا أثر لها في الأجيال الآتية، ولا تداعيات له على العصر الراهن، فضلاً عن المستقبل الواعد.

ص: 298

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ثَمَّة دَعْوَى لِتَجْدِيدِ تَقْوِيمِ تَارِيخِي يَبْتَدَأُ مِنْ عَصْرِنَا أَوْ يَبْتَدَأُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ بِالنَّسْبَةِ لِلْأَجْيَالِ الْوَالِحَةِ، أَيْ كُلِّ جَيْلٍ وَطَبَقَةٍ تَارِيخِيَّةٍ تَدشَّنُ لَهَا تَقْوِيمًا تَارِيخِيًّا مَقْطُوعَ الصَّلَةِ عَنِ الطَّبَقَةِ السَّابِقَةِ.

إِنَّ رَفْعَ مِثْلِ هَذَا الشُّعَارِ فِيهِ اسْتِثْصَالٌ لِلْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ وَانْقِلَابٌ عَلَيَّ الْمَسِيرِ الْبَشَرِيِّ وَدَفْنٌ لِمَقْتَضِيَّاتِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لِأَنَّ الْعَصْرَ الرَّاهِنَ وَالْمُسْتَقْبَلَ الْوَاعِدَ مَا هُوَ إِلَّا تَدَاعِيَّاتٌ لِمَا حَدَثَ فِي السَّابِقِ، بَلْ هُمَا أَمْوَاجٌ طُوفَانِ الْمَاضِي، وَلَا يُمْكِنُ لِلنَّسِيحِ الْحَضْرِيِّ أَنْ يُبْنِيَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِلِحَازٍ كُلِّ زَوَايَا الْحَيَاةِ إِذَا مَا انْقَطَعَ الْحَاضِرُ وَالْمُسْتَقْبَلُ عَنِ الْمَاضِي.

وَهُنَاكَ شَاهِدَانِ عَلَيَّ سُخِفَ مِنْ يَنَادِي بِشُّعَارِ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ:

أُولَهُمَا: مَا يُعْرَفُ بِتَدَاخُلِ الطَّبَقَاتِ، إِذْ أَنَّ التَّارِيخَ الْبَشَرِيَّ قَائِمٌ عَلَيَّ أَجْيَالٍ وَطَبَقَاتٍ إِلَّا أَنَّ التَّدَاخُلَ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ أَمْرٌ لَازِمٌ أَيْ اجْتِمَاعٌ بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي طَبَقَةٍ سَابِقَةٍ وَبَعْضُ مَنْ سَيَكُونُ مِنْ طَبَقَةٍ وَوَالِحَةٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ تَلْقَائِيًّا يُوَصِّلُ الطَّبَقَاتَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ مِمَّا يُوَجِبُ تَأْثِيرًا وَتَأَثَّرًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

وَتَانِيَهُمَا: نَسْأَلُ مَنْ يَرْفَعُ شُّعَارَ الْفَصْلِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ الْوَاعِدَ هَلْ تَرِيدُ بِهِ الْفَصْلَ الْكُلِّيَّ؟ وَهُوَ كَذَلِكَ فَهُوَ بِالتَّالِي

مناداة بدفن الإنتاج العلمي والحضاري الماضي وقطعه عن التأثير في النتاج العلمي الحاضر.

وهذا يعني الانقطاع عن تاريخ العلم وعلم التاريخ وهما شيء واحد، والمناداة بذلك هو شبيه بالقول أن علي البشرية أن تصفر العلم وهو شبيه كذلك بالقول أن علي البشرية أن تلغي الهوية العقلية وهو ما يسمى بالمصطلح الحديث في علم الحاسوب (الفورمات).

وعليه نسال علي وفق أي برنامج ونظام علمي تسيير البشرية لو ألغت تاريخها العلمي، وأي إنتاج لها سيتطور إذا ابتدأت من الصفر، وكيف ستتلور لها حضارة إذا هدّت دعامات الماضي.

إن التاريخ عبارة عن مخزن علمي عظيم ومنظار للبصيرة والرؤية العلمية وما بُنيت الحضارة في كلّ جيل إلا علي ثروات الماضي، فكيف يمكن للبشرية أن تبدأ بتقويم جديد!!

ولذا وعلي ضوء ما تقدّم من الإشكاليات لم يكن أمام المنادين بالانقطاع عن الماضي إلا رفع مقولتهم كشعار عام لكنهم يمارسون عملاً الانتقائية التاريخية المزاجية، أي في الوقت الذي فيه يقطعون أنفسهم عن صفحات من التاريخ ينسبوننها إلي صفحات أخرى إمّا بميزان المزاجية أو بميزان العصبية أو بميزان السياسة أو غيرها إلا ميزان العلم وميزان البرهان.

ص: 300

إشارة

مما لهُ دخاله في تمييز المنهج القويم عن المنهج الغوي هو أن نعرف من كان علي المنهج القويم ومن كان علي المنهج الغوي في تاريخ الإسلام، إذ أن الأشخاص في التاريخ لهم دور الإيصال للمنهج، فلو لم يُمحصوا ويُميزوا لكانت تبعيتهم بعمياوية موجبة للضلال والانحراف، وقد يظن متبعهم أنه يحسن صنعا.

وعليه لا تظن أن ما تقوم به التيارات والمنظمات المنحرفة كالقاعدة ومسمياتها الأخرى وليد تاريخها الحاضر، وإنما وليد تبعية وأتمام لرجال تاريخيين قاموا بنفس أنماط الأعمال البشعة التي يقومون بها الآن.

فأصحاب الفتنة في حرب الجمل قاموا بسفك دماء المسلمين وهتك حرمااتهم، وبكل رعونة وعنجهية وتحت لافتة شعار من الشعارات الأصيلة في الدين، وكل ذلك انعكس في التاريخ الراهن علي الاتباع والمشايخين.

فما يجري اليوم من إشعال النيران التي تكاد أن تحرق بلاد الإسلام والشعوب المسلمة، وكذا قتل الأبرياء والتعدي علي حرمت النساء والتمثيل والتنكيل بالأطفال وأكل لحوم البشر ليس كل ذلك من باب الصدفة وإنما هي وليد ثقافة أخذوها من التاريخ وانعكاس

لمنهج من ظلموا الزهراء (عليها السلام) وأهل البيت (عليهم السلام).

ولا مبالغة إذا ما قلنا أن الكثير من المسلمين في الوقت الراهن يقتات علي أفكار ومناهج تاريخية سرطانية وهي بطبيعتها لا تفرز إلا غدداً خطيرة تفت في جسم الأمة وبنية المسلمين وعقيدة التوحيد.

ومما ذكر في التاريخ ابتلاء المسلمين بالمغول وفي مصادر أهل السنة ذكر أن الذي جاء بالمغول ودعاهم للهجوم علي بلاد المسلمين في إيران وأتوا بما أتوا به من سفك الدماء إنما هو الخليفة العباسي وهو نفس الخليفة الذي يتباكي عليه ويتباكي علي خلافته التي تنعت بالخلافة الإسلامية برغم أن صاحبها هو الذي حرش المغول علي بلاد الإسلام الشيعية.

ذلك ما كتبه اثنان من علماء السنة أحدهما يدعي بالهمداني والآخر يدعي بالطباطبائي، ومما أثبتاه في كتابيهما أن الذي أغري المغول بالهجوم علي بغداد قاضي القضاة الشافعي، وهو الذي دخل بغداد سراً مع المغول متأخراً ومتواطئاً.

ولا يظن أحد أن التركيز علي هذه الأمثلة هدفه خلق التشنج وإثارة القلاقل بين المسلمين، بل المقصود هو الدعوة إلي سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن نبد الفتنة بين المسلمين وضرورة المداراة بينهم لا يعني أن نتعامي عن الحقيقة بل ينسجم ذلك مع

الإفصاح عن الحقيقة بأسلوب لئِن وطريقة هادئة وحوار برهاني.

وإلا لو أغضضنا عن الحقيقة لبقت المواد التاريخية المسرطنة تبث غددها في الأمة لتهدد وجودها بين آونة وأخرى.

كما أنه لا بد أن يُتنبه إلي أن إثارة ما في التاريخ من ظلمات لا لتعميمها إلي جماعات بريئة وإنما المراد خلق الوعي بأن المفردات التاريخية هي ظاهرة منهج، وأن ما يقع في الراهن الحاضر هو بسبب الامتداد الفكري لتاريخ معين.

وعلي هذا الأساس إذا ما رفعت ظلامه الزهراء (عليها السلام) جلية واضحة كانت عبارة عن صرخة في ضمير الأمة بضرورة الرجوع إلي منهج المظلومين من أهل البيت (عليهم السلام) وإلا يترتب ما أخبرت عنه بقولها (عليه السلام):

«ثم احتلبوا ملاء القعب دماً عيطاً»<sup>(1)</sup>.

وقد وقعت الأمة في المحذور الذي أنبأت به الزهراء (عليها السلام) ولا زالت ملحماتها قائمة فاعلة، فإما أن ترجع الأمة عن أصحاب المنهج الغوي إلي أصحاب الصراط المستقيم أو يكون مصيرها تعاقب المشاريع الدموية، فمرة واقعة الحرة وهدم الكعبة، وإلي الوصول لفتنة المغول والاستعمار والآن فتنة القاعدة وداعش، ولن تتوقف الفتنة الدموية إلا بالرجوع إلي دواء الخلاص ومرهم الشفاء وهم آل 8.

ص: 303

مُحَمَّد (عليهم السلام)، وبالخصوص إلى ظلمات الزهراء (عليه السلام) تحليلاً واستيعاباً وعبرة، وكُلِّمنا ابتعدنا عَنْ توصيات الزهراء (عليها السلام) ازداد السرطان تفشياً فِي الأُمَّة ويتحقق ما أُنذرت به (عليها السلام).

فَقَدْ رسمت (عليها السلام) فِي خطبتها الشريفة الخريطة الحضارية وبيّنت عوامل وأسباب النهوض الحضاري وعوامل وأسباب السقوط الحضاري، فَعَدَّ أجداد فِي قراءة تاريخ الأجيال مِنْ منظور إلهي محكم.

وما لَمْ ترعو الأُمَّة إلى وصيتها ووصاياها فَإِنَّهَا تقترب مِنْ زمن يأجوج ومأجوج كَمَا فِي تسمية الوحي، أَيَّ أَنْ الابتعاد عَنْ صراطها وصراط أهل البيت (عليهم السلام) لا يؤثر فحسب فِي حظوظ الإنسان مِنْ الإسلام وَإِنَّمَا يصيرهُ إلى واقع يأجوج ومأجوج، أَيَّ يتأجج بالفتنة ويؤجج الفتنة والدمار والفساد فِي الأرض تحت شعار مِنْ شعارات الإسلام.

وَمِنْ ثَمَّ يمكننا أَنْ نعنون ذكرى الزهراء (عليها السلام) بذكرى الخلاص وصرط النجاة ودواء الشفاء لِكُلِّ ما تعانیه وتَأَنَّ مِنْهُ الأُمَّة.

وَقَدْ عقلت البشرية غرباً وشرقاً أَنْ منشأ مصائبها إِنَّمَا هُوَ مِنْ الحكم والقيادة وَمِنْ فكر يأجوج ومأجوج الذي يستبيح الحرمات ويقوّض كُلَّ ثوابت الإسلام تحت شعار مِنْ شعارات الإسلام.



**إشارة**

وفي ذيل هذه المقالة نتساءل حول الأسباب والعلل التي دفعت خصوم أهل البيت لتصفية الزهراء (عليها السلام)؟

ونكتفي هنا هنا بتسجيل أهم تلك العلل وهي ثلاث:

**العلة الأولى: حيلولة وجود الزهراء (عليها السلام) عن البيعة:**

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَمِّهِمُ الْخَطَوَاتِ لِأَحْكَامِ سُلْطَةِ الْمَسْتَوْلِيِّ عَلَيَّ الْخِلَافَةَ أَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْ الْمُمَثِّلِ الشَّرْعِيِّ لِلْخِلَافَةِ، إِذْ لَوْ تَمَّتِ الْبَيْعَةُ وَسُوِّقَتْ عَلَيَّ أَتَتْهَا بَيْعَةٌ عَنْ رِضَا وَقَبُولٍ وَانْسِجَامٍ مَعَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِأَنْسَاقَتِ مَجَامِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلا أَدْنِي تَرَدُّدٍ لِلْمُبَايَعَةِ وَالرِّضْوَخِ.

وَلَقَدْ كَانَ لَوْجُودِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَكْبَرَ الْأَثْرِ فِي الْحَيْلُولَةِ دُونَ حَصُولِ الْبَيْعَةِ وَلَوْ صَوْرَةً، إِذْ أَتَتْهَا دَافِعَةٌ عَنْ مَقَامِ عَلِيٍّ وَمَانَعْتِهِمْ مِنْ إِرْغَامِهِ عَلَيَّ الْبَيْعَةَ.

وَمِنْهُ يُفْهَمُ أَنَّ أَوَّلَ عِلَّةٍ لِتَصْفِيَّتِهَا هُوَ إِخْفَاءُ دَوْرِهَا وَالتَّفَرُّدُ بِعَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

**العلة الثانية: تصفيتها لمصادرة حقها:**

إِنَّهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِنَفْسِهَا بُنِيَانٌ لِلْوِلَايَةِ لِأَنَّهَا مُتَشَاطِرَةٌ مَعَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِيهَا، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ مَطَالِبَتُهَا بِفَدْكَ بِاعْتِبَارِ حَقِّ وَلايَتِهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَحَقِّ وَلايَةِ

علي (عليه السلام)، ولأنّهم أرادوا غصب ذلك الحقّ، فكان لأبَدٍ مِنْ تصفية صاحبه وهي فاطمة (عليها السلام).

### العلة الثالثة: شرعيّتها المحكمة (عليها السلام) إسقاط لشرعيّتهم:

#### إشارة

لقد كان وجودها (عليها السلام) إسقاطاً لشرعيّتهم، فإنّ قرابتها مع ما لها من مقامات وسؤدد يكشف أُنْعَمَ الشرعية التي تلبّسوا بها ولما لها من مخزون مقام شرعية محكم لا تشابه فيه ولا ضبايية عليه.

وعليّ هذا الأمر شواهد:

#### الشاهد الأول:

استنهاضها (عليها السلام) للمسلمين عسكرياً مرتين جهاراً نهاراً أمام المستولي الأول عليّ الخلافة ومن دون أن يُنكر عليها هذا الاستنهاض والإعلان للحرب، إذ أنّ إعلانها للحرب إسقاط لكلّ حرّات مجموعة السقيفة دماً ومالاً.

ومن مقاطع خطبتها الدالّة عليّ استنهاضها قولها (عليها السلام): «أيها بني قيلة أأهضم تراث أبي؟ وأنتم بمرأي مني ومسمع، ومنتدي ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنة توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير

ص: 306

والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون...)(1).

كَمَا أَنَّ خُرُوجَهَا لِمُدَّةِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً تَدُورُ عَلَيَّ بِيُوتِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ تَدْعُوهُمْ لِلرُّجُوعِ إِلَى الْبَيْعَةِ الشَّرْعِيَّةِ اسْتِنْهَاضَ لِهَمْمِهِمْ وَدَفْعَهُمْ لِلتَّمْرُدِ وَالْإِسْتِعْصَاءِ عَلَيَّ الْحُكْمِ الْقَائِمِ .

ففي الاختصاص: (حملها علي علي أتان عليه كساء له حمل، فدار بها أربعين صباحا في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين(عليهما السلام) معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار انصروا الله فإني ابنة نبيكم وقد بايعتم رسول الله(صلي الله عليه و آله) يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذرائكم ففوا لرسول الله(صلي الله عليه و آله) ببيعتكم، قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها)(2).

### الشاهد الثاني:

وهو ما ذكره ابن أبي الحديد مِنْ أَنَّهَا لَمَّا خَطَبَتْ أَشْعَلَتْ ضَمَائِرَهُمْ وَأَذَكَّتْ فِيهِمْ حَسَّ الْمَسْئُولِيَّةِ فَهَتَفَ الْأَنْصَارُ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَاسْمِهِ.

ص: 307

1- الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي 1 / 140 ، 141.

2- الاختصاص ، الشيخ المفيد 184 ، وروي ابن قتيبة الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة.

وَكَانَ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ الْمُسْتَوَلِيِّ الْأَوَّلِ عَلِيِّ الْخَلِيفَةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْبَسِ بِبَيْتِ شَفَةِ يَدَيْنِ بَهَا الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مِمَّا يَدُلُّ عَلَيَّ رَصِيدِ ضَخْمٍ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ لَدَيْهَا بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَاخِجَهُ بِهِ، فَضَالاً عَنْ أَنْ يَقْلِبَ الْأُمُورَ لِصَالِحِهِ وَيَدَايِنَ الزَّهْرَاءَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وَعَكْسَ هَذَا الْأَمْرِ حَصَلَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَعَائِشَةَ فِي الْمُوَاخِجَةِ إِذْ لَمَّا خَرَجَتْ وَأَلَّبَتْ الْبَعْضَ كَذِباً وَزُوراً ضِدَّ إِمَامِ زَمَانِهَا وَاجْهَهَا الْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِكُلِّ ثَبَاتٍ فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْلِبَ وَجْهَ الشَّرْعِيَّةِ؛

وَلِذَا قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«(فَأَنَا فُقَاتُ عَيْنِ الْفِتْنَةِ) (1).

إِذْ لَمَّا وَاجَّهَهُ بِشَّرْعِيَّةٍ مَقْتَعَةٍ مَدْلُوسَةٍ غَيْرِ مَرَّةٍ وَاجَّهَهُمْ بِرَصِيدِ أَكْبَرَ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ، فَأَقْسَطَ كُلَّ الْعَنَاوِينِ مِنْ سَابِقَةِ لِلْإِسْلَامِ لِلْبَعْضِ أَوْ هَجْرَةِ وَجْهٍ أَوْ زَوْجِيَّةٍ لِلنَّبِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

فَلَمَّا تَذَرَعَتْ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ بِمَا لَهْمَا مِنْ عَنَاوِينِ كَالْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ وَأَشْعَلَا فِتْنَةَ ضِدِّ حُكْمِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَكَذَا لَمَّا اسْتَغْلَتْ عَائِشَةُ عَنَاوِينَ زَوْجِيَّتِهَا لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَعَنَاوِينَ أُمُومَتِهَا لِلْمُسْلِمِينَ فَحَرَّضَتْ عَلَيَّ حَرْبِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَا كَانَ لِذَلِكَ أَنْ يَصْمَدَ أَمَامَ شَرْعِيَّتِهِ الْإِلَهِيَّةِ.

فَثَبِتَ مِنَ الصَّرَاعِ الْأَوَّلِ وَالصَّرَاعِ الثَّانِي مَا لَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) مِنْ مَقَامِ وَرَصِيدِ فِي الشَّرْعِيَّةِ. 2.

ص: 308

1- نهج البلاغة، خطب الامام علي 1/ 182.

وَنُؤَكِّدُهَا هُنَا عَلَيَّ عَلُوَ مَقَامِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَام) فِي الْمُسْلِمِينَ خِلَافًا لِمَا يَصَوِّرُهُ بَعْضُ الْمَذَاهِبِ مِنْ أَنَّ مَقَامَهَا فِي الْأُمَّةِ مَقَامٌ عَادِيٌّ مَتَعَارِفٌ، إِذْ أَنَّ وُجُودَهَا بِنَفْسِهِ هُوَ مَدَارُ الشَّرْعِيَّةِ فَلَا تَسْتَقِيمُ لِأَحَدٍ خِلَافَةً مِنْ رَجَالَاتِ السَّقِيفَةِ فَضْلًا عَنْ بَنِي أُمِيَّةٍ مَعَ وُجُودِهَا وَعَدَمِ تَصْفِيَّتِهَا وَاغْتِيَالِهَا وَتَرْحِيلِهَا عَنْ دَارِ الدُّنْيَا.

فَلَوْ طَالَ بَقَاؤُهَا لَمَا اسْتَقَامَتْ أَيُّ شَرْعِيَّةٍ مَغْلُفَةٌ وَلَكَانَتْ مَحَطَّ اسْتِقَاءِ الشَّرْعِيَّةِ فِي نَظَرِ كُلِّ مَنْ يَدْخُلُ الْإِسْلَامَ مِنْ أَقْصَايِ الدِّيَارِ، حَيْثُ يُشَاهَدُ وَيُلَاحَظُ مَا عَلَيَّهِ رِيحَانَةُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ اعْتِقَادٍ دِينِيٍّ أَوْ سِيَاسِيٍّ فَيَنْتَزِعُ بِذَلِكَ أَيَّ ادْعَاءٍ شَرْعِيَّةٍ فِي مَسَارِ السَّقِيفَةِ.

فَرَحِيلُهَا (عَلَيْهَا السَّلَام) السَّرِيعُ فِي غَضُونِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ سَبْعِينَ يَوْمًا أَوْ تَسْعِينَ يَوْمًا عَلَيَّ اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ تَصْفِيَّةً مَتَعَمَّدَةً وَاخْفَاءً قَسْرِيٍّ لَوْجُودِهَا لِمَا تَمَثَّلَهُ فِي نَفْسِهَا مِنْ مَقَامِ شَامِخٍ وَحَضُورِ رَائِدٍ قَادِرٍ عَلَيَّ تَقْوِيضِ كُلِّ جُهِودِهِمْ وَإِفْشَالِ كُلِّ تَخْطِيطَاتِهِمْ، إِذْ لَمْ يَنْفَعِهِمْ مَقَارَعَتُهَا بِالْإِرْهَابِ السَّقِيفِيِّ أَوْ اسْتِدْعَاءِ الْمَرْتَزِقَةِ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ أَتَوْا بِقَبِيلَةِ بَنِي أَسْلَمَ كَمَرْتَزِقَةٍ لِتَقْوِيَةِ الْحُكْمِ كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ لِأُئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَام):

فَحَشْرُ سَفَلَةِ الْأَعْرَابِ، وَبَقَايَا الْأَحْزَابِ، إِلَى دَارِ النَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ..(1).7.

ص: 309

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ كُلُّ الْأُمَّةِ فِي جَانِبِ وَلَبُوءِ النَّبِوةِ فِي جَانِبِ لَا تَحِيدُ وَلَا تَحَادُ عَنْ حُطِّ أَبِيهَا تَحْتَ أَيِّ ظَرْفٍ وَتَحْتَ أَيِّ تَرْهِيْبٍ .

ومما يشد لمقامها في الأمة وصية النبي (صلي الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (صلي الله عليه وآله):

(يا علي انفذ لما أمرتك به فاطمة) (1) وهي وصية عظيمة إذ مفادها أمر أمام الأمة والوصي المنصوب من قبل الله بالإلتزام بأمر فاطمة (عليها السلام).

وبالتحليل للمواد التاريخية مضمومة لمواد روائية وحيانية مع المبالغة في المقابلة والمقارنة والتحليل بنظام الشبكية تتجلى لنا المسألة بنحو واضح، ويظهر معني أن الزهراء (عليها السلام) قد صفت و اغتيلت واختلست إذ أن بقاءها يلغي أي فرصة لاستتباب حكم الجور والغي.

فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَيَّ كَوْنِهَا فِي الْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ كَالْجِبَالِ مِنْ الْعِظْمَةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.

### الفرية علي الزهراء (عليها السلام) فرية علي الدين:

وثمة مثل قرآني يوضح ما نحن فيه، فلو لاحظنا سورة النساء في المقاطع القرآنية التي يشرح فيها القرآن سبب كفر اليهود، فيقول تعالي في تعداد الملفات التي يؤخذ عليها اليهود: (فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ (2))

ص: 310

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسي 22 / 485.

2- سورة 4 - آيه 155

وَ كُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا(1). (2)

فذكرت الآيات عدّة أسباب:

أولها: كفرهم بنقض ميثاقهم مع الله.

ثانيها: قتلهم الأنبياء بغير حق.

ثالثها: الإضلال الإلهي لهم جزاءً ونتيجة.

رابعها: فريتهم على مريم (عليها السلام).

وها هنا يساوي القرآن الكريم فريتهم على مريم (عليها السلام) بكفرهم بالله، ويساوي قتلهم للأنبياء بفريتهم على مريم.

وهذا يستثير السؤال عن حجم التمثيل الذي تمثله مريم (عليها السلام) بحيث تكون الفرية على كافر بالله وقتل للأنبياء (عليهم السلام)؟

وما هو وجه الربط بين الفرية على مريم وبين الدين؟

إن في الآيات تصريحاً بأن فرية اليهود على مريم من جهة طهارتها مربوطة بالنبوة، وإن لها موقعاً ببركته تكون الفرية على افتراء على 6.

ص: 311

1- سورة النساء: الآية 155 - 156.

2- سورة 4 - آية 155

وإذا كَانَ هَذَا الشَّأْنُ فِي مَرْيَمَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَكَيْفَ بِمَنْ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ مَرْيَمَ، أَلَيْسَتْ الْأَوْلَى الْقَطْعِيَّةُ حَاكِمَةٌ بَانَ فَرِيْتَهُمْ عَلَيَّ مَرْيَمَ الْكَبِيرِي فَرِيَّةَ عَلَيَّ مَوْقِعَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَفَرِيَّةَ عَلَيَّ الدِّينِ وَأَصُولَهُ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَقْرَنُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ شَيْءٍ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَآخِرَ لَيْسَ مِنْ أَصُولِهِ، بَلَّ السِّيَاقُ كُلَّهُ مَنَعَدَ عَلَيَّ أَصُولَ دِينِيَّةٍ وَأُمُورَ اعْتِقَادِيَّةٍ.

وَلِذَا فَالْفَرِيَّةَ عَلَيَّ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) لَيْسَ طَابِعُهَا فَرْدِيًّا، وَلَيْسَ وَزَانُهَا أُسْرِيًّا، وَلَيْسَ شَأْنُهَا شَأْنُ الْفَرِيَّةَ عَلَيَّ عَمُومِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا الْفَرِيَّةَ عَلَيَّهَا سِوَا فِي فَدِكَ أَوْ فِي غَيْرِ فَدِكَ فَرِيَّةَ عَلَيَّ وَلَا يَتِيهَا وَعَلَيَّ مَوْقِعِيَّتُهَا، إِذْ أَنْ فَدِكَ هِيَ رَمَزٌ لَوْلَا يَتِيهَا وَمَوْقِعِيَّتُهَا بِنَصِّ سُورَةِ الْحَشْرِ وَسُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِيهِمَا، فَالْفَرِيَّةَ عَلَيَّهَا فِي فَدِكَ إِنْكَارٌ لَوْلَا يَتِيهَا عَلَيَّ الْفِيءِ وَبِالتَّالِي فَهُوَ إِنْكَارٌ لَوْلَا يَتِيهَا فِي الدِّينِ وَأُمُورِهِ.

### اشْتِرَاكُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَبِضْعَتِهِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي شِدَّةِ الظَّلَامَةِ:

لَا يَخْفِي عَلَيَّ مَنْ لَهُ أَدْنِي تَتَبَعُ شِدَّةَ مَا وَقَعَ مِنْ التَّفَاصِيلِ الْمُؤَلِّمَةِ وَالشَّدَائِدِ الْأَمْنِيَّةِ وَالظَّلَامَاتِ الْمَقْرُوحَةِ عَلَيَّ أَهْلَ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ). وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ تَفَاصِيلَ مَا جَرَى عَلَيَّ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مَوْزَعَةٌ فِي كُتُبِ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ تَتَبَأُ عَنْ فَوَادِحِ كَبِيرَةٍ لَاقَتْهَا بَعْدَ رِحْلَةِ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ خَفِيَ عَلَيَّ كَثِيرِينَ مَا لَاقَى النَّبِيَّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نَفْسَهُ مِنْ الشَّدَائِدِ الْأَمْنِيَّةِ



وَمِنْ حَرْبِ شَرْسَةِ مَزَلْزَلَةٍ بِحَيْثُ لَوْ وَزَنَ مَا جَرِيَ عَلَيْهِ بِمَا جَرِيَ عَلَيَّ آلَهُ لَكَانَ مَا جَرِيَ عَلَيَّ آلَ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي كَفَّةٍ وَمَا جَرِيَ عَلَيَّ الرَّسُولِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ مَوَازِمَاتِ اغْتِيَالٍ فِي كَفَّةٍ أُخْرَى.

وَلِذَا مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي أَخَذَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولَهُ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِيثَاقَهَا فِي أَوَائِلِ بَعْثَتِهِ وَفِي الْمَعْرَاجِ تَحْمَلُ شِدَّةَ الْخَوْفِ أَيُّ أَنَّهُ سَيَلَاقِي مِنْ الظُّرُوفِ مَا فِيهَا إِرْهَابٌ وَشِدَّةٌ عَلَيَّ أَصْلَ حَيَاتِهِ.

بَلْ بِحَسَبِ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فَإِنَّمَا لَاقَاهُ الرَّسُولُ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) طِيلَةَ حَيَاتِهِ بَلْ حَتَّى فِي أَصْلَابِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْاِغْتِيَالِ لَمْ يَلَاقِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَدْ اشْتَدَّتْ وَكَثُرَتْ سَلْسَلَةُ الْاِغْتِيَالَاتِ وَالْمَوَازِمَاتِ عَلَيَّ حَيَاتِهِ بَعْدَ بَعْثَتِهِ خِلَالَ الثَّلَاثَةِ وَالْعِشْرِينَ سَنَةً.

وَمِنْ الشُّوَاهِدِ الَّتِي لَا زَالَتِ مَائِلَةٌ وَشَاهِدَةٌ عَلَيَّ شِدَّةِ الْاِحْتِيَاطَاتِ الْأَمْنِيَّةِ لَدَى النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَجُودِ اسْطِوَانَةِ مِنْ الْاِسْطِوَانَاتِ الْقَرِيبَةِ مِنْ قَبْرِهِ تَسْمَى بِاسْطِوَانَةِ الْحَرْسِ، وَكَانَ الْحَارِسُ لَهُ طِيلَةَ حَيَاتِهِ فِي الْمَدِينَةِ فِي الْغَالِبِ هُوَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

وَهُوَ أَمْرٌ يَثِيرُ التَّسَاؤُلَ وَالِاسْتِفْهَامَ، فَلِمَ لَمْ يَكُنْ حَارِسَهُ سَلْمَانُ أَوْ أَبُو ذَرٍّ أَوْ الْمَقْدَادُ أَوْ الْحَمْزَةُ، وَلِمَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؟

إِنَّ أَوْضَحَ دَلَالَاتِ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ الْحَالَةَ الْأَمْنِيَّةَ صَاعِدَةٌ بِشَكْلِ اسْتِثْنَائِيٍّ بِحَيْثُ يَتَطَلَّبُ أَنْ يَكُونَ أَشْجَعٌ وَأَمْنٌ وَأَثْبَتٌ مِنْ حَوْلِ

النبي (صلي الله عليه وآله) هو المتكفل بحراسته بشكل مباشر.

والغريب أن ما لاقاه وعاناه النبي (صلي الله عليه وآله) من شدايد أمنية ظلّ مغموراً في التاريخ ومكتماً عليه.

وقد انبry أخيراً بعض الباحثين من تلامذة العلامة الطباطبائي فألف كتاباً تحت عنوان (المواجهة بين النبي وبين المنافقين رصد قرآني) وهو العلامة الشيخ عبدالكريم النبري، وقد طبع أخيراً في ثلاثة أجزاء.

وقد رصد فيه شيئاً من سلسلة الاغتيالات التي تعرّض لها النبي (صلي الله عليه وآله) وبنص القرآن.

وثمة تشابه بين ما لقيه النبي (صلي الله عليه وآله) وما عانته البضعة الطاهرة (عليها السلام)، فقَط جري عليها من العدوان الشرس ما يدلّ علي منتهي الشقاق والعناد لدي من هجم علي بيتها وأذاها بعد رحلة أبيها (صلي الله عليه وآله).

وليس ما جري عليه (صلي الله عليه وآله) وعليها (عليها السلام) من قبيل الصدفة، وإنما كان لما يمثله وتمثله من شرعية ومشروع إلهي علي الأرض، إذا ما قاما به يهدد عروش طواغيت وفراعنة البشر كما أنه يهدد كل حضاراتهم البالية.

ولذا تواطأت وتحالفت قريش مع الأكاسرة وملوك الأقاصرة ومع اليهود والنصارى في تألبهم علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) فكانت مؤامرة

عالمية وحلفاً إبليسياً وتنظيماً شيطانياً عفريتياً وَهِيَ أعظم مِنْ شيطنة وشرر البشر.

وكذا لَمْ يكن تصفية واغتيال الزهراء (عليها السلام) صدفةً وَإِنَّمَا هو اغتيال صريح هدفه اسكاتها وجودياً حَتَّى لا يستمد المسلمون مِنْ شرعيتها، فَلَمْ يكن هجومهم لمجرد المجابهة كَمَا لَمْ يكن عدوانهم لمجرد الانتقام، وَإِنَّمَا كَانَ عدواناً للتصفية.

وَقَدْ رصد بَعْضُ المحققين عشرة مواطن واجهوا فيها الزهراء (عليها السلام) فَكَانَ نمط تكالبيهم نمط مِنْ يريد القتل والتصفية.

بَلْ أَنَّهُ لخطورة دورها (عليها السلام) أرادوا تصفيتها عَلَيَّ مراحل، أي تصفية وجودها فِي حياتها، وتصفية ذكرها بَعْدَ مماتها، وإخفاء ما لها مِنْ شأن وموقعية حَتَّى لا يفضحهم إشعاع نورها ونفحات شرعيتها بأيِّ مستوي مِنْ المستويات.

ص: 315



إشارة

\*معني زيارته(عليه السلام) النبي(صلي الله عليه وآله) نيابة عن النازلة بيقعته...

\*أسرار سرعة لحوق الزهراء(عليها السلام) بأبيها(صلي الله عليه وآله)...3

\*فقد النبي(صلي الله عليه وآله) خسارة لا تعوض

\*رجوع النبي وفاطمة(عليهما السلام) مرهون باستحقاق البشرية.

\*صرعت الزهراء(عليها السلام) عن عمد ومكابرة ومباغته....

سجّل لنا التاريخ رثاء حارا ذا أبعاد وأسرار متعددة قاله أمير المؤمنين(عليه السلام) بعد دفنه الصديقة الطاهرة(عليها السلام).

فلما نفص يده من تراب القبر هاج به الحزن وأدار طرفه إلي قبر رسول الله(صلي الله عليه وآله) وتلي رثاءه، وروي ذلك الرثاء الكليني في أصول الكافي واخرجته مصادر أخرى.

(السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والباثثة في الثري ببقعتك والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري وعفا عن سيده نساء العالمين تجلدي، إلا أن لي في التأسى بسنتك في فرقتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت نفسك بين نحري وصدري، بلي وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة وأخلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله.

أما حزني فسرمد و أما ليلي فمسهد وهم لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج سرعان ما فرق بيننا وإلي الله أشكو وستنبك ابنتك بتظافر أمتك علي هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلي بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام مودع لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، واه واهما والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاما معكوفاً ولا عولت إعوالم الثكلي علي جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلي الله يا رسول الله المشتكي وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلي الله

عليك وعليها السلام والرضوان(1).

وكان رثاؤه(عليه السلام) مشتتلا علي مقاطع:

أولاً: قوله(عليه السلام) (السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والباينة في الثري بيقعتك).

### معني زيارته(عليه السلام) النبي(صلي الله عليه و آله) نيابة عن النازلة بيقعته:

وبهذا المقطع يفتح الإمام(عليه السلام) بابا معنويا عظيما حيث يزور النبي(صلي الله عليه و آله) نيابة عن ابنته فاطمة(عليها السلام) وهي توا قد انتقلت إلي البرزخ وإلي عالم أبيها، وهذا فتح لباب من الأدب الإلهي بين المعصومين، وإذا كان المعصوم يزور عن المعصوم والحال أن المزور عنه منتقل إلي عالم البرزخ فمطلوبية هذا الأدب في الزيارة أوضح وأولي في غير المعصومين.

وبعبارة أخرى:

إن عليا(عليه السلام) قد وقف زائرا للنبي(صلي الله عليه و آله) أصالة عن نفسه ونيابة عن زائرتة(صلي الله عليه و آله) إذ هو القائل: (والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك) وفي هذا بيان لخصائص عالم الأرواح وكيف يمكن النيابة فيها من الحي عن الميت، فإنه يمكن للحي أن ينوب عن طبقة من طبقات الميت رغم

ص: 319

---

1- الكافي، الشيخ الكليني 459/1، نهج البلاغة، خطب الامام علي 319، روضة الواعظين، النيسابوري/152، دلائل الامامة، الطبري الشيعي/138.

أنه بطبقة أخرى راحل إلي ذلك العالم.

وها هنا وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) فاطمة (عليها السلام) بالزائرة لرسول الله (صلي الله عليه وآله) ومع ذلك ينوب عنها في الزيارة له، فلعل المعني هو أنها زائرة وحالّة ومنتقلة لعالم رسول الله (صلي الله عليه وآله) بطبقة من طبقات وجودها وهو ينوب عنها في الزيارة بلحاظ طبقة أخرى من طبقات وجودها.

إذ أن بدنّها الساكن في التراب والبائت في الثري عاجز عن تأدية مراسيم الزيارة في حين أن بدنّها البرزخي وطبقات وجودها الأخرى زائرة لرسول الله (صلي الله عليه وآله) ومنتقلة إليه.

وهذا نظير نيابة الحي القريب من قبر المعصوم عن الحي البعيد عن قبره، فرغم قدرة الحي البعيد علي الزيارة بروحه وإن كان نائياً إلا أن الحي الحاضر ينوب عنه في الزيارة البدنية الروحية عن قرب لعجزه عن بعض مراتب الزيارة بسبب البعد.

وبلحاظ مقام أهل البيت (عليهم السلام) وبرغم حضورهم جميعاً عند رسول الله (صلي الله عليه وآله) بالأبدان البرزخية والطبقات الأخرى فثمة داع آخر غير ما قلنا يفسر زيارة علي (عليه السلام) للرسول (صلي الله عليه وآله) نيابة عن الزهراء (عليها السلام) وهو النيابة في الخطاب عنها وبلسانه الشريف، فهي نيابة في الوفود علي الرسول مع كونهما وافدين عليه (صلي الله عليه وآله) في كل حين كتقدم الإمام في الصلاة علي المأموم في الوفود علي الله رغم كونهما وافدين.



ثانيا: قوله(عليه السلام) (والمختار الله لها سرعة اللحاق بك) ومفاد هذا المقطع أن الله اختار بلطفه سرعة لحاق والتحاق الزهراء(عليها السلام) بأبيها.

والسؤال: ماهي الأسرار المرتبطة بسرعة لحاقها بأبيها؟ إذ أن مثل هذه المطالب لا تكون بلا سر وأسرار.

### **أسرار سرعة لحوق الزهراء (عليها السلام) بأبيها (صلي الله عليه و آله):**

وهذه الأسرار لا تخلو منها اشارات الروايات، بل بعض الصوفية في مكة يشيرون إليها في أشعارهم التي يتلوننها في ميلاد الزهراء(عليها السلام) وتلك الأسرار ترتبط بعلوها وعلو مقامها وشدة قربها.

ولا يقال ها هنا أن شدة القرب القريب من رسول الله(صلي الله عليه و آله) يتصف به كل واحد من الأربعة أصحاب الكساء ولا تختص به فاطمة(عليها السلام)، لأن الأمر وإن كان كذلك لكن الجانب الأكثر خصوصية في فاطمة(عليها السلام) هو شدة تعاضم الجانب العاطفي المادي والنوري بينها وبين أبيها.

ولعل ذلك هو أحد اشارات ما ورد في المقايسة بينها وبين علي(عليه السلام) بالنسبة للرسول(صلي الله عليه و آله) من أن عليا أعز وفاطمة أحب، فإنه فرق بينهما في الهالة العاطفية فإن ما بينها وبين رسول الله(صلي الله عليه و آله) من رحم عاطفي مادي ومعنوي لا يدركه إلا الله، ومثل هذا الإتصال والقرب يحتم رحيلها السريع فلا يتصور لها البقاء بدونه(صلي الله عليه و آله)، ولو عاشت عمرا

مديدا لقضته غارقة في أحزانها وندبته.

وعلي هذا الأساس فإن من الخطأ بمكان قياس حزن وألم أي بنت فقدت أباهما بحزن وألم فقد فاطمة(عليها السلام) لأبيها، فمن له معرفة بأبيه كما لفاطمة(عليها السلام) من معرفة بأبيها، لذا فالله وحده يعلم أي مرارة ومكابدة عاشتها فاطمة(عليها السلام) في أيامها القليلة قبل رحيلها إلي عالم أبيها.

فهي لم تكن تتحمل فراقه علي مستوي نظر العين واتصال البدن والإحساس بالأنفاس المادية برغم اتصالها البرزخي والنوري به في كل آن. وإن قلت: إن فاطمة(عليها السلام) كانت زوجة وزوجها علي قيد الحياة، ومن طبع الرجل والمرأة أن يهون عليهما فقد أحد أفراد الأسرة الأولي بعد تكون أسرة الزوجية ولا سيما وأن للزوج ولاية علي زوجته، فلم لم تقدر فاطمة(عليها السلام) علي مفارقة أبيها، ولم لا يفترض أنها لو عاشت بعد أبيها مدة لأوجب طول العهد تخفيف المصاب وهون المصيبة.

جوابه:

إن القياس بين شؤون أهل البيت(عليهم السلام) وشؤون غيرهم بما فيها الشؤون العادية المستمرة بين البشر قياس لا يصح.

وهاهنا نمثل بمثال واضح ليتقرب لنا ما نحن فيه، فقد ورد في روايات الفريقين أن البضعة الزهراء(عليها السلام) قد خطبت من أبيها عدة

ص: 322

مرات وكان رسول الله يعتذر في كل مرة بنفس العذر وقبل الرجوع لمشاورة ابنته، وعذره هو أن أمرها ليس بيدي وإنما هو بيد الله تعالى .

وهذا الجواب منه يستدعي السؤال وهو أن سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) أولي بالمؤمنين من أنفسهم مضافا إلي أنه والد للزهراء(عليها السلام) بالولادة البدنية والولادة الروحية فكيف يعتذر بأن ولاية أمر نكاح فاطمة(عليها السلام) ليس بيده؟

وبعبارة أخرى:

للنبي(صلي الله عليه وآله) ولايتان علي الزهراء(عليها السلام) ولاية كونه أولي بالمؤمنين من أنفسهم وهي ولاية خاصة له بجعل الله، وولاية الأبوة وهي ولاية عامة فقهية لموقع الأبوة.

ومع هذا التنوع في ولايته كيف يخرج شيء من أمور فاطمة(عليها السلام) عن حيطته(صلي الله عليه وآله)؟

وبهذا يتبين أن لا- منافاة بين عموم ولايته بلحاظ موقع النبوة وولايته بلحاظ موقع الأبوة وبين خروج شيء من أمور ابنته عن تصرفه ليكون المتصرف مباشرة هو الله تعالى.

وهذا يفيد أن فاطمة(عليها السلام) خلقة إلهية ذات مقام وشأن خاص بحيث إن تدبير بعض شؤونها من الله مباشرة.

ولا نشط بعيدا إذا قلنا بأن وجودها لما كان وجودا الهييا محضاً

ص: 323

مضافا إلي أنه لما كان زوجها بيئة لدفع عجلة الدين وترعرع أصوله ومقوماته كان تدبير ذلك بجعل وتدبير الله مباشرة.

ونلاحظ هذا الاستثناء في شؤونهم حتي علي مستوي جعل الأسماء فلما يولد مولود لهم ذو شأن خاص كانوا ينتظرون تسمية الله له ولا يتقدمون علي الله تعالي، حتي في مثل زينب(عليها السلام)، فقد ورد أن فاطمة(عليها السلام) قالت لا أتقدم في تسميتها علي أبيها أمير المؤمنين(عليه السلام) وأن عليا(عليه السلام) قال لا أتقدم في تسميتها علي رسول الله(صلي الله عليه وآله)، ورسول الله(صلي الله عليه وآله) قال ما كنت أسبق ربي بتسميتها.

فإن هذه الشؤون ليست من الجراف والاعتباط في شيء وإنما لها دلالات، منها أن لهذه المولودة درجة اصطفاء خاص وإن لم يصل إلي شأو درجة اصطفاء المعصومين في الدائرة الأولي.

وعلي هذا الأساس فلا منافاة بين أن تكون فاطمة(عليها السلام) أمًا في أسرة وزوجة تحت ولاية زوجها وبين عدم تحملها فراق النبي(صلي الله عليه وآله) وسرعة التحاقها به فكما خرج بعض شؤونها عن هيمنة النبي(صلي الله عليه وآله) إلي هيمنة الله كذلك خرجت حالات وشؤون منها من هيمنة الأسرة الخاصة إلي

هيمنة رسول الله (صلي الله عليه وآله).

وليس بالأمر الهين أن تكون بعد أبيها تحت إمامة وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بحسب أمر الولاية العامة الا أنها مع ذلك تكون تحت هيمنة الله وهيمنة رسول الله (صلي الله عليه وآله) .

وقد ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يؤنبها سرعة لحاقها للإشادة بمقامها وعلو مقاماتها ومدى ما لها من عظمة.

ولولا الخوف من أن تتلبد المعاني لدقة السر وخفاء الأمر لأفضنا في البيان والتحليل.

والخلاصة:

إن سرعة اللحاق بأبيها ذو سر بديع في شخصية فاطمة (عليها السلام)، فمع ما لبعلمها (عليه السلام) من مقام وخصوصيات يتميز بها عنها ومع كونها كفؤين، ومع كونهما يعيشان في سعادة زوجية تامة وهناء زوجي متكامل لكنه يجب أن تبقى هيمنة سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) وهيمنة الله عليها حتي بعد الرحلة النبوية.

**فقد النبي (صلي الله عليه وآله) خسارة لا تعوض:**

وها هنا لفتة بديعة تنمة لمحل بحثنا، فقد ورد أن النبي (صلي الله عليه وآله) في موطن من المواطن قال لأصحابه سيأتيكم من يعلمكم كيف تدعون فقالوا يا رسول الله، من يأتي ويعلمنا قال هو اويس القرني.

فلما سئل ماذا كنت ستدعو: قالت كنت ادعو أن يبقى الله رسول الله (صلي الله عليه وآله) حيا إلي يوم القيامة.

ص: 325

وفي روايات مستفيضة كما في الوسائل في أبواب الميت تبيان أنه لم تصب البشرية ولم يصب كل آحاد البشرية بمصاب وخسارة أعظم فداحة من فقد رسول الله(صلي الله عليه وآله) .

وهذا أمر عظيم وإشارة بديعة فبرغم وجود الأربعة أصحاب الكساء بعد رحلة رسول الله(صلي الله عليه وآله) وبرغم استمداد الأمة منه بعد رحيله عبرهم إلا أن فقدان الشخص الشخيص لرسول الله(صلي الله عليه وآله) خسارة عظيمة وفادح أليم.

وإذا كان أهل البيت(عليهم السلام) ومع بقاء اتصالهم ووصالهم بطبقات رسول الله(صلي الله عليه وآله) يقولون ما أصابنا مصاب كمصابنا برسول الله(صلي الله عليه وآله) فكيف بالأمة!!

ومن ثم أشارت الروايات إلي أن كل واحد من الأمة بل من البشر مصاب بمصيبة فقد النبي(صلي الله عليه وآله) وإلي هذه اللحظة.

وستبقي البشرية تعاني من ألم هذا فقدان وألم تلك الخسارة العظيمة وغياب الرحمة المتفجرة والكمال الحضاري العالي برحيل رسول الله(صلي الله عليه وآله) حتي يجيء زمان آخر دولة في عالم الرجعة وهي دولة الدول بحاكمية رسول الله(صلي الله عليه وآله) وبحضور مبارك عظيم لفاطمة البتول(عليها السلام).

ومن العجيب أن يسخر بعض أهل الحداثة من خلود نبوة

النبي (صلي الله عليه وآله) المعنوية والدينية وبقاء وصايتها مع أنهم في ذاتهم يعانون من خسارة رحيله وفقدان شخصه من غير أن يعلموا بذلك.

ثالثاً: قوله (عليه السلام) (قل يا رسول الله عن صفتك صبري وعفا عن سيئة نساء العالمين تجلدي).

وهذه لفظة لطيفة أخرى في بيان مقامها وعظمتها فإن رحيلها خسارة فادحة أخرى تتلو الخسارة برحيل الشخص الشخيص لرسول الله (صلي الله عليه وآله) ومعروف أنه في اليوم الذي استشهدت فيه الزهراء (عليها السلام) ضجت المدينة كيوم مات فيه رسول الله (صلي الله عليه وآله).

وسره أنها اللون المركز العظيم من النبي (صلي الله عليه وآله) ونخبة وجوده، وخفوتها يزلزل العالم والموجودات علي حد سواء فكيف بأمر المؤمنين (عليه السلام) وهو العارف بها وبمقاماتها وبظلامتها .

### **رجوع النبي (صلي الله عليه وآله) وفاطمة (عليها السلام) مرهون باستحقاق البشرية:**

ومما يفيد رحيلها السريع أن البشرية كما أنها لم تستحق البقاء الطويل لرسول الله (صلي الله عليه وآله) لا تستحق ولا تستأهل البقاء الطويل لفاطمة (عليها السلام).

وستبقي البشرية عاجزة عن احتضان الرسول (صلي الله عليه وآله) من جديد وغير مستحقة لوجوده حتي في عصر الظهور ومع وجود حكومة

الامام الحجة(عليه السلام)، ولذا لا بد من تكامل التمهيد ليكون الاستحقاق فعليا، ومن الممهدات دولة الحجة(عليه السلام) ثم تتلوها دولة الحسين(عليه السلام) في الرجعة فتكون رجعة الحسين(عليه السلام) الخطورة الممهدة الثانية.

وهذا التمهيد هو جار كذلك حتي ظهور دولة أمير المؤمنين(عليه السلام).

وإذا استحققت البشرية ظهور دولة أمير المؤمنين(عليه السلام) يكون لدولته كرات ومرات وجولات كي تستأهل وتستحق البشرية أعظم دولة وآخر دولة وهي دولة رسول الله(صلي الله عليه وآله).

وسيكون عمر مكوث الدولة النبوية أربعة وأربعون ألف سنة مع العلم أن البشرية منذ دولة آدم وإلى الآن حسب دراسات بشرية غربية وشرقية وأديانية لم يمضي عليها أكثر من سبعة آلاف سنة إلى عشرة آلاف سنة.

بل تشير الروايات إلى أن المعصومين كالحجة والحسين(عليهم السلام) لهم رجعات كرات ومرات، وأمير المؤمنين(عليه السلام) أكثرهم كرورا ورجوعا وكلها تمهيدات وتقديمات وتوطئة لأعظم دولة وأعظم مرحلة وهي رجوع النبي(صلي الله عليه وآله)، وعندها تستأهل البشرية رجعته(صلي الله عليه وآله) ورجعة ابنته الزهراء(عليها السلام).

وهذا مطلب نفيس عظيم، فالبشرية إما أن تفقد استحقاقها من حضور الاثنين الرسول وفاطمة(عليهما السلام) أو تستحق فيرجع الاثنان، فهذا



القرب بينهما رحيلًا ورجوعًا فيه من الدلالات العظيمة علي مقامها وسؤدها وعظم ولاية أمرها.

ومن هنا يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

(قل يا رسول الله عن صفتك صبري) وهذه العبارة منه مقرونة بسرها، فلو سئل لم هذا التلاشي للصبر، فجوابه أنه (عليه السلام) فقد المصطفاة التي صفاها أبوها، فلا صبر ولا تجلد عن رحيل الجوهرة العرشية والدرة الإلهية.

رابعًا: قوله (عليه السلام)

(وستبتك ابنتك بتظافر أمتك علي هضمها).

وهنا لم يتظلم أمير المؤمنين (عليه السلام) بظلامه نفسه برغم أن الظلم والحيث قد وقع عليه وعلي فاطمة (عليهما السلام) فقد تمردت الأمة عليهما ولم تنصاع لإرادتهما.

ويري الإمام (عليه السلام) كل ظلماته هي ظلمات بضعة الرسالة ويشكو لرسول الله (صلي الله عليه وآله) ما فعلته الأمة بها، فإنها ما تحملت تربية الزهراء (عليه السلام) ولم تنصاع لإرادتها بل صبت عليها أنحاء من الظلم عن عمد وتخطيط وتدبير.

خامسًا: قوله (عليه السلام)

«فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلي بثه سبيلًا».

فيخبر (عليه السلام) أن هذه الدنيا لم تبقي لفاطمة (عليها السلام) كهفا تودع عنده سرها وتشكو إليه اهتضامها، وحتى زوجها غرق في أحزانه وآلامه،

وليس من شأن الزهراء(عليها السلام) أن تبتث شكواها إليه لتزيده هما ونكدا، فما بقي لها من كهف ولا سند إلا أنت يا رسول الله، ولذا أسرع في اللحوق بك.

سادسا: قوله(عليه السلام)

«فبعين الله تدفن ابنتك سرا».

ويبين(عليه السلام) في هذا المقطع كيف أن الفاصلة بين الزهراء(عليها السلام) والأمة فاصلة كبيرة جدا حيث إن الاقتراب من جثمانها لموارته بعد الموت حرام عليها، لأنها أمة غير مؤهلة ولا مستحقة لهذا الشرف العظيم.

وقد تتبعنا روايات الرجعة فوجدنا أن الأمة غير مؤهلة لأن تربي علي يد الزهراء(عليها السلام) إلا بمعية رسول(صلي الله عليه وآله)، وهذا سر عظيم ينبأ عن مقام كبير للصديقة(عليها السلام).

سابعا: قوله(عليه السلام)

«قد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة».

وهذا يؤكد ما مر سابقا من أن الزهراء(عليها السلام) جوهرة ثمينة لم تودع عند الأمة ولم تودع حتي عند الحسنين(عليهما السلام)، وانما بالكاد اودعت أياما عند أمير المؤمنين(عليه السلام) والافمحل هذا الطائر القدسي يكون دوما تحت جناح رسول الله(صلي الله عليه وآله) ومقرونا بعالمه وولاية أمره مباشرة تحت هيمنة الله ورسوله.

ثامنا: قوله(عليه السلام)

«وأخلصت الزهراء».

وعبارة (اخلست) موجودة في الكافي فما معني اخلاس الشيء؟

في كتاب العين للخليل يقول الاخلاص هو الأخذ بمباغة ومكابرة نظير الاختلاس اي الاغتيال(1).

والمرحوم الطريحي لم يقف علي ظرافة المعني ففسرها بالأخذ مفاجئة(2)، لكنه وفاقا لكلام الخليل فإن الخلس يأتي بمعني القتل والمصارعة، وهذا يعني أنها(عليها السلام) صرعت في القتل بالاغتيال أي أن رحيلها كان عن صرع وقتل ومباغنة ومفاجئة وفيه طغيان ومكابرة.

وقد مرّ ما يشهد علي هذا المعني فيما يرويه الفريقان ورواه السمهودي في وفاء الوفاء من أن النبي(صلي الله عليه وآله) قال لأصحاب الكساء

(أنكم قتلي ومصارعكم شتي) فليس قتلا فحسب وإنما نوع عنف في القتل وشدة فيه.

والخطاب كان للجميع وهذا معناه أن الزهراء(عليها السلام) قتلت

ص: 331

---

1- خلس: الخلس والاختلاس: أخذ الشيء مكابرة، تقول: اختلسته اختلاسا واجتذابا. والخلس والاختلاس: النهزة، والاختلاس أو حاهما وأخصهما. والخلسة: النهزة. والقرنان يتخالسان، أيهما يقدر علي صاحبه [ويناهز كل واحد منهما قتل صاحبه]. والخلس في القتال والصراع. كتاب العين، الفراهيدي 197/4 .

2- يقال خلست الشيء خلسا من باب ضرب: اختطفته بسرعة علي غفلة، واختلسته كذلك. والخلسة بالفتح المرة وبالضم: ما يخلص. وفي الحديث الدغارة وهي الخلسة. ومن كلام علي\* في خطاب النبي وقد دفن الزهراء(عليها السلام) قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة وأخلست الزهراء. مجمع البحرين، الطريحي 66/4.

وصرعت واغتيلت.

ويخطأ من يظن أن ما وقع علي الزهراء(عليها السلام) من أذي أدّي بها إلي الموت هو نظير ما يقع خطأ من قتل علي الأبرياء المدنيين في الحروب فيذهبون ضحايا من غير أن يكونوا مقصودين! إنه ليس كذلك بل كانت تصفيتها عن تخطيط وتدير وعمد متعمد.

فإذا كان أمر علي(عليه السلام) بحسب الخطة دائرا بين القتل أو البيعة فلم يكن في تدير خطتهم تخيير بالنسبة للزهراء(عليها السلام)، فلا يتم لهم الأمر إلا بتصفيتها.

أي من الاستحالة أن تبايعهم البضعة النبوية، وليس بيدهم أن يفبركوا بيعة لها(عليها السلام) بأن يضربوا علي يدها كما فعلوا لأمير المؤمنين(عليه السلام) فبالتالي لا طريق للتخلص من معارضتها إلا اختلاسها واغتيالها.

ص: 332

إشارة

\*الوجه الأول: نزولها(عليها السلام) من الجنة لصلب النبي(صلي الله عليه وآله)

\*الوجه الثاني: تفعل كمالاتها(عليها السلام) في بدء وجودها

\*آثار الكمالات الملكوتية علي بدنها المادي...

\*الوجه الثالث: جسمها الظلي لم يودع في الأصاب...

\*عرض نورها لآدم تقدم لخلقها نورا وولاية عليه...

\*مقام المنصورة وولايتها في الملكوت ومقامها في الرجعة...

روي في معاني الأخبار عن رسول الله(صلي الله عليه وآله) قال: خلق نور فاطمة(عليها السلام) قبل أن تخلق الأرض والسماء.

فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال(صلي الله عليه وآله): فاطمة حوراء إنسية قال: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟

قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح فلما

خلق الله عز وجل آدم عرضت علي آدم .

قيل: يا نبي الله وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسيح، والتهيل، والتحميد.

فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه أحب الله عز وجل أن يخرجها من صليبي جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل (عليه السلام) فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل.

فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، قلت: منه السلام وإليه يعود السلام.

قال: يا محمد إن هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة فأخذتها وضممتها إلي صدري.

قال: يا محمد يقول الله جل جلاله: كلها، ففلققتها فرأيت نورا ساطعا ففزعت منه فقال: يا محمد مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فإن ذلك النور المنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة، قلت: حبيبي جبرئيل، ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداءها عن حبها، وهي في السماء المنصورة، وذلك قول الله عز وجل:

ص: 334

(وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ) (1) يعني نصر فاطمة لمحبيها (2).

وروي في فرات الكوفي عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال: معاشر الناس تدرّون لما خلقت فاطمة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: خلقت فاطمة حوراء إنسية لا إنسية، قال: خلقت من عرق جبرئيل ومن زغبه، قالوا: يا رسول الله أشكل علينا تقول: حوراء إنسية لا إنسية ثم تقول من عرق جبرئيل ومن زغبه؟! قال: إذا أنا أنبئكم أهدي إلي ربي تفاحة من الجنة أتاني بها جبرئيل فضمها إلي صدره فعرق جبرئيل (عليه السلام) وعرقت التفاحة فصار عرقهما شيئاً واحداً ثم قال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قلت: وعليك السلام يا جبرئيل فقال: إن الله أهدي إليك تفاحة من الجنة فأخذتها فقبلتها ووضعها علي عيني وضممتها إلي صدري ثم قال: يا محمد كلها، قلت: يا حبيبي جبرئيل هدية ربي تؤكل؟ قال: نعم قد أمرت بأكلها فأفلقتها فرأيت منها نورا ساطعاً ففرغت من ذلك النور قال: كل فإن ذلك نور المنصورة فاطمة.

قلت: يا جبرئيل ومن المنصورة؟ قال: جارية تخرج من صلبك اسمها في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة. 7.

ص: 335

1- سورة 30 - آية 4

2- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق 397.

فقلت يا جبرئيل ولم سميت في السماء منصوراً وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت فاطمة في الأرض لأنه فطمت شيعتها من النار وفطمت أعداؤها عن حبها وذلك قول الله في كتابه (يَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ) (1) ينصر فاطمة (عليها السلام) (2).

لقد وردت روايات مستفيضة فيها توصيف لفاطمة (عليها السلام) بأنها حوراء انسية، وفي كتب الفريقين.

فما هو وجه توصيفها بذلك؟

وفي الحقيقة ثمة مسألتان في تلك الروايات تسترعي الانتباه والتساؤل:

الأولي: دمج الوصفين في توصيفها فإن المعلوم في خلق البشر هو تكوينهم من عنصر واحد وهو البشرية والإنسية، كما أن قول أهل الفلسفة بتركب الإنسان من روح وبدن ومن عنصر مجرد وآخر مادي لا يخرج عن دائرة الإنسية والبشرية.

ومنه يعرف أنه ليس معني توصيف فاطمة (عليها السلام) بالحوراء الإنسية بيان تركيبها من روح وبدن كما هو المتعارف في جميع البشر إذ لو كان المعني كذلك فما هو الداعي من بيانه فيها علي نحو الخصوص، وما هو الداعي في استفاضت الروايات في هذا المعني؟2.

ص: 336

1- سورة 30 - آيه 4

2- تفسير فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي 322.



فتحصل أنه لدمج الوصفين معني آخر، فما هو؟

الثانية: ما هو الوجه في تقديم وصف الحوراء علي وصف الانسية بينما في سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) ذكر وصف البشرية أولاً فيه وعقب ذلك بوصف أنه يوحى إليه في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ) (1). (2)

فلم ها هنا تؤصل الروايات كينونة الحورية علي كينونة الإنسية في فاطمة(عليها السلام)؟

فيحتمل في ذلك عدة وجوه:

### الوجه الأول: نزولها(عليها السلام) من الجنة لصلب النبي(صلي الله عليه وآله):

من القوانين العامة الجارية في كل البشر تقلبهم في الأصلاب والأرحام، وقد خرج من هذا القانون آدم(عليه السلام) فلم يتقلب في صلب ولا في رحم، وإنما خلق كما اخبر القرآن في قوله تعالى: (نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) (3). (4)

كَمَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْقَانُونِ الْعَامِ عِيسَى (عليه السلام) فما تقلب في الأصلاب ولا في الأرحام بل كان كما اخبر القرآن في قوله تعالى: (وَ مَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي) (5)

ص: 337

- 1- سورة مريم: الآية 110.
- 2- سورة 18 - آيه 110
- 3- سورة الحجر: الآية 29.
- 4- سورة 15 - آيه 29
- 5- سورة 66 - آيه 12

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا(1). (2).

وقوله تعالى: ( وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ ) (3). (4)

والمقصود من الكلمة هي الكلمة الوجودية.

وعليه فلعل معني توصيفها(عليها السلام) بالحوراء الإنسية هو أنها لم تتقلب في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، بل حسب الروايات العديدة المستفيضة كما سيأتي نزولها من عالم الجنة إلي صلب النبي(صلي الله عليه و آله) مباشرة من دون توسط الآباء والأجداد وهذا بخلاف بقية المعصومين(عليهم السلام).

وبذلك يتقرر أن نشأتها(عليها السلام) في الأصل جناوية متنزلة إلي العالم الجسماني .

**الوجه الثاني: تفعل كمالاتها(عليها السلام) في بدء وجودها**

**إشارة**

ثمة قانون آخر يشترك فيه البشر وهو تفعل وظهور كمالات وطاقات الجانب البدني قبل تفعل كمالات الجانب الروحي، ففي بدء الولادة تكون بعض الكمالات البدنية بالفعل بينما تكون سائر الكمالات الروحية بالقوة .

ص: 338

1- سورة التحريم: الآية 12.

2- سوره 66 - آيه 12

3- سورة النساء: الآية 171.

4- سوره 4 - آيه 171

ومنه يعرف ما للزهراء(عليها السلام) من خصوصية وهي أنها منذ ولادتها تختلف عن بقية البشر من كون الجسم الجناوي فيها متكامل متفعل، فلم تكن تتعاطي بالجسم الإنساني فحسب بل بالجسم الجناوي الأخرى.

### آثار الكمالات الملكوتية علي بدنها المادي:

ومن ثم ظهر من بدنها(عليها السلام) آثار عديدة لا تتناسب مع البدن الطيني، كالنور الذي يبرز منها في الصباح بلون وفي آخر النهار بلون بحيث تضيء لأمير المؤمنين(عليه السلام).

فقد روي في العلل عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله(عليه السلام) يا بن رسول الله لم سميت الزهراء(عليها السلام) زهراء؟

فقال: لأنها تزهر لأمير المؤمنين(عليه السلام) في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض ذلك النور إلي حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي(صلي الله عليه وآله) فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلي منزل فاطمة(عليها السلام) فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة(عليها السلام).

فإذا نصف النهار وترتبت للصلاة زهر وجهها(عليها السلام) بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون

النبي (صلي الله عليه وآله) فيسألونه، عما رأوا فيرسلهم إلي منزل فاطمة (عليها السلام) فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها (عليها السلام) بالصفرة فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجهها، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس أحمر وجه فاطمة (عليها السلام) فأشرق وجهها بالحمرة فرحا وشكرا لله عز وجل فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي (صلي الله عليه وآله) ويسألونه عن ذلك فيرسلهما إلي منزل فاطمة (عليها السلام) فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة (عليها السلام) فلم يزل ذلك النور في وجهها حتي ولد الحسين (عليه السلام) فهو يتقلب في وجوهنا إلي يوم القيامة في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام (1).

وروي في المناقب عن أبي هاشم العسكري: سألت صاحب العسكري (عليه السلام): لم سميت فاطمة الزهراء؟

فقال: كان وجهها يزهر لأمر المؤمنين (عليه السلام) من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدرّي (2).

وفي كتاب سليم بن قيس عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله (عليها السلام) عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال لأنها0.

ص: 340

1- علل الشرائع، الشيخ الصدوق 1/ 180.

2- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب 3/ 110.

كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهو نور الكواكب لأهل الأرض(1).

وقد روت عائشة أننا نستضيء بنور وجه فاطمة، وفي الروايات أن الوجه في تسميتها بالزهراء هو ذلك.

كما أن الأثر الآخر لا اشتداد كمالات الجسم الجناوي فيها هو ما ذكر في جملة من الروايات من قوة مدافعتها ضد المهاجمين لبيتها سواء عند فتح الباب أو عند شدهم الجبال لأخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث لم يستطيعوا فتح الباب إلا بعد ضرب أناملها بالسياط كما في البحار أنها قالت: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته، فتصعب علي، فضربت كفيها بالسوط فألمها، فسمعت لها زفيرا وبكاء فكادت أن ألين وانقلب عن الباب(2).

كما لم يستطيعوا جذب الجبل من يدها بشدهم رغم كثرة عددهم إلا بضرب السياط وغمد السيف فيها ففي كتاب سليم بن قيس: (وثار علي (عليه السلام) إلي سيفه فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم فكاثروه وضبطوه فألقوا في عنقه جبلا، وحالت بينهم وبينه3.

ص: 341

---

1- علل الشرائع، الشيخ الصدوق 1/ 180.

2- بحار الانوار، المجلسي 30/ 293.

فاطمة(عليها السلام) عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط(1).

والحاصل أن آثار جسمها الجناوي هو الأصل المفعل في تكوينها وهذا يتناسب من كون تكوينها منتزل من الجنة.

ولا يخفي التشابه بين هذا الوصف فيها ونمط بدن النبي (صلي الله عليه وآله) الذي عرج به إلي الجنة فبدن النبي (صلي الله عليه وآله) هو الآخر ذو خصائص تختلف تماماً عن بقية أبدان البشر حيث لا يري له ظل، ويرى من خلفه كما يري من أمامه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، والقلب هنا هو البدن غير الأرضي، أي الجسم الروحي الرقيق.

وعدم نومه (صلي الله عليه وآله) كناية عن عدم احتياجه في العروج إلي انفصاله عن تدبير البدن الأرضي فإنه لا يشغله العروج عن تدبير ما دونه كما لا يشغله تدبير ما دونه عن الاتصال الدائم كما هو الحال في سائر الأرواح.

ومن ثم تختلف قوة الحضور والتدبير العقلي في المنام من روح إلي روح بحسب قوة وضعف الروح.

كما اختلف عروج عيسي (عليه السلام) إلي السماء الأولي أو الثانية ولم يقوي علي ذلك ألا أن توفاه الله ثم رد عليه روحه بعد العروج به كما هو مفاد قوله تعالى: ( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ فِي يَمِينِكَ وَارْتَمِعْ بِهِ إِذْ أَنْتَ تُنَازِلُ فِيهَا الصَّلَافَ ) (2). (3)5.

ص: 342

1- كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي 151.

2- سورة آل عمران: الآية 55.

3- سورة 3 - آيه 55

وهذا بخلاف سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) فإنه لم يرد عنه لا في القرآن ولا في روايات المعراج التعبير بالتوفي.

والظريف في هذا الشأن أن البراق لم يتحمل صعود النبي (صلي الله عليه وآله) عليه في البدء بل وقف عروجه إلى سدره المنتهي والجنة ثم استبدل بالرفرف وهو الآخر لم يواصل إلى طبقات العروج الأخرى وهي طبقات العروج القلبي بعد ذلك.

ومما يؤكد هذا المعنى في بدن فاطمة (عليها السلام) ما في الرواية من أن بعض الناس استغرب من كلام النبي بأن نور فاطمة (عليها السلام) خلق قبل الأرض والسماء ويين سبب استغرابه (هذا البعض) باستفهامه عن الأصل في فاطمة (عليها السلام) وأنها أنسية فقال: يا رسول الله أفليس هي إنسية فأجاب النبي (صلي الله عليه وآله) بأنها حوراء إنسية.

### الوجه الثالث: جسمها الظلي لم يودع في الأصلاب:

#### إشارة

إن ثمة اختلاف لها (عليها السلام) عن بقية الأدميين ونظيره في القرآن قوله تعالى: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (59) (1) (2)، فكذاك الشأن فيها فقد اقتصررت نشأتها علي صلب أبيها ورحم أمها خديجة.

ص: 343

1- سورة آل عمران: الآية 59.

2- سورة 3 - آيه 59

فجسمها الظلي والشبحي الذي هو من الأجسام الأخروية والجنائوية لم يوضع كبقية ذرية بني آدم في صلب آدم والآباء، وإنما اودع مباشرة في صلب النبي (صلي الله عليه وآله).

ورغم تشابه خلقها وتكوينها بآدم وعيسى إلا أن وصف حوراء إنسية لم يطلق علي أحد من البشر حتي علي مريم فهي مميزة لها دون بقية نساء العالمين.

ومن ثم وصفت أزواج المؤمنين في الجنة إما أنها حورية أو مؤمنة آدمية بينما في فاطمة (عليها السلام) لا هي حوراء ولا هي مؤمنة آدمية بل هي مؤمنة حوراء إنسية.

### **فائدة - 1 - :- عرض نورها لآدم تقدم لخلقها نورا وولاية عليّه:**

يستفاد من صدر رواية معاني الأخبار الموثقة أن نور فاطمة (عليها السلام) عرض علي آدم، أي ولايتها (عليها السلام) عرضت علي آدم (عليه السلام) وأنها من ضمن الأسماء التي علّمت لآدم وعرضت عليه والمذكورة في سورة البقرة.

ثم إن التعليل في الرواية لأخذ ولايتها وعرض نورها علي آدم هو تقدم خلقه نورها علي خلقه آدم، وهذا التعليل يعمم علي سائر الأنبياء والأوصياء، ويفتح بابا لتفسير وترجمة الخلقة النورية التي وردت فيها روايات مستفيضة أن مقتضاها أخذ ولايتها وعرض نورها علي جميع من دونها في الخلقة، وأن الخلقة النورية قاعدة ولغة



## فائدة - 2 -: مقام المنصورة وولايتها في الملكوت ومقامها في الرجعة:

تبين الرواية أن ولايتها(عليها السلام) في السماء أعظم ظهورا منها في الأرض، وأن لقب المنصورة إشارة إلي مقام نفوذ ولايتها في الملكوت.

ولا يخفي أن هذا اللقب هو أيضا للنبي(صلي الله عليه وآله) وأن تأويل الآية: ( وَ يَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ ) (1) المراد من اليوم هو عالم الآخرة والملكوت، وفيه بيان أن في مقام من مقامات الرجعة مما يرتبط بالسماء يتجلي ويظهر في تلك المرحلة ولايتها فضلا عن يوم عالم القيامة ويوم عالم الجنة الأبدية.

وقد ورد أن مقام الحسين(عليه السلام) في الرجعة المنصور في روايات الفريقين.

وأما مقام فاطمة(عليها السلام) فإن ولاءها وتولي شيعتها لها فاطم لهم عن فتن الدنيا.

ص: 345



إشارة

\*الأدب الملتزم في حواريات الأولياء إظهار للمقامات

\*أدب الأطفياء لا نظير له في المواقع الاعتبارية...

\*تشابه وفوارق حوارية علي وفاطمة(عليهما السلام)لحوارية موسي وهارون(عليهما السلام)...

\*نبرة الأدب بين الأئمة(عليهم السلام) افصاح عن تفاوت الصلاحيات

قبل الدخول في صُلب البحث نطرح أمراً استقرَّ عَلَيْهِ المحققون مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ والمُفَسِّرِينَ والمتصطلعون مِنَ أهل المعارف.

**الأدب الملتزم في حواريات الأولياء إظهار للمقامات:**

وَهُوَ أَنَّ الأدب الملتزم به فِي خطاب الله لأصفيائه أو فِي خطاب الأصفياء لله تَعَالَى أو فِي خطاب الأصفياء بعضهم لبعض لَيْسَ مُجَرَّد تعارفات وصرف مجاملات، وإنما يرجع الأدب فِي حقيقته إلي مقامات

دينية وينبأ عن تمايزات في الصلاحيات الشرعية والمواقع العقائدية.

وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَمْثَلَةِ عَلَيَّ ذَلِكَ مَا حَدَّثَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ أَدَبٍ فِي حِوَارِيَةِ مُوسَى لِلْخَضِرِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فَقَدْ عَبَّرَتِ الْآيَاتُ بِتَعَابِيرٍ وَأَلْفَاظٍ تَحْمِلُ مِنَ الْأَدَبِ وَالتَّخَاضَعِ مَا هُوَ غَيْرُ خَافٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ( هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ) (1). (2)

وقوله: ( قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ) (3). (4)

فَإِنَّهَا تُدَلُّ:

أولاً: عَلَيَّ الاستئذان فِي الاتِّبَاعِ وَلَيْسَ عَلَيَّ الْحَتْمُ وَالْحِزْمُ فِي الْإِتِّبَاعِ.

وثانياً: فِيهَا طَلَبٌ لِلْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ.

وثالثاً: نَفْيُ الْمَعْصِيَةِ عَنْ نَفْسِهِ فِي حَالِ الْإِتِّبَاعِ.

ورابعاً: نَسَبُ الْأَمْرِ لِلْخَضِرِ.

والسؤال: هَلْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالتَّابِعِ وَالتَّعَلُّمِ وَغَيْرِ الْعَاصِي، وَوَصَفَ الْخَضِرَ بِالْأَمْرِ مِنْ قَبِيلِ الشُّعْرِ وَالتَّعَارُفِ أَمْ أَنَّهَا حَقَائِقُ؟

بمعني أن للخصر موقعية غيبية ليس للنبي موسى (عليه السلام) مثلها، 9.

ص: 348

1- سورة الكهف: الآية 66.

2- سورة 18 - آية 66

3- سورة الكهف: الآية 69.

4- سورة 18 - آية 69

وإنَّ كَانَ لِكُلِّ مَوْقِعًا مَتَمِّيزًا كَمَا هُوَ مَدْلُولُ الْجَمْعِ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ فَلِلْخَضِرِ فَضْلٌ وَ لِمُوسَى فَضْلٌ .

ولا تنافي بين أن يكون لكل واحد جنبه من الفضل وأن يتخاضع أحدهما تأدباً وَعَلَى نَحْوِ الْحَقِيقَةِ لِأَخْرِ بِلِحَاطِ جَنْبِهِ فَضْلُهُ وَتَقَدُّمَهُ.

كَمَا أَنَّهُ لَوْ لَاحِظْنَا الْحَوَارِيَّةَ مِنْ جَانِبِ الْخَضِرِ لَأَدْرَكْنَا قَبُولَهُ لِلأَدَبِ الصَّادِرِ مِنْ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ( قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ) (70) (1) (2) ، فَنَسَبَ التَّابِعِيَّةَ وَالتَّابِعَ لِمُوسَى وَنَسَبَ الْمَتَّبِعِيَّةَ لِنَفْسِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَأَدَّبَ فِي خُطَابِهِ فَلَمْ يَقُلْ «اتَّبِعْنِي» وَإِنَّمَا قَالَ: «إِنِ اتَّبَعْتَنِي» (3) بِجَعْلِ الْخِيَارِ لِلنَّبِيِّ مُوسَى فِي الْإِتْبَاعِ.

فندرك بذلك التحفظ منه على موقعه من جهة وَعَلَى مَوْقِعِ مُوسَى مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، إِذْ بَجَعَلَهُ الْخِيَارَ لِمُوسَى فِي الْإِتْبَاعِ يَنْفِي وَلا يَتَّهَمُ عَلَيْهِ، فَتَكُونُ النَّتِيجَةُ أَنَّ ثَمَّةَ مَشَارَكَةٍ وَلا نِيَّةَ بَيْنَهُمَا وَتَوَزُّعَ أَدْوَارٍ وَمَوَاقِعَ.

### الأدب السائد بين الأصفياء لا نظير له في المواقع الاعتبارية:

ولا مبالغة في القول إنَّ مَا فِي الْآيَةِ مِنْ أَدَبٍ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ بِنَحْوِ مُتَبَادَلٍ بَدِيعٍ جَدًّا وَلا نَجْدٍ مِثْلِهِ فِي الْمَوَاقِعِ الْإِعْتِبَارِيَّةِ الدُّنْيَوِيَّةِ بَيْنَ الدُّوَلِ وَالحُكُومَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى النِّظْمِ الدَّقِيقِ فِي عَالَمِ

ص: 349

1- سورة الكهف: الآية 70.

2- سورة 18 - آية 70

3- سورة 18 - آية 70

الأصفياء صفاء ودقة في الحقائق والمواقع والمأموريات والمناصب والصلاحيات والمقامات، فلا ينطق ولا يتحرك أحد إلا حسب قدره وشأنه موقعه.

وربما صدر الأدب من واحد لآخر من جهة وبأدله الأخير الأدب من جهة أخرى.

ولذا فثمة قاعدة هاهنا مفادها أن الأدب الإلهي بين الأصفياء المصطفين ينبأ عن المواقع الرسمية الإلهية وعن نمط ودرجات الولاية، فربما كان الأدب بالمطلق من طرف لآخر فيدل على علو مقام الثاني على الأول، وربما كان الأدب متبادلاً بلحاظ جهات الفضل المختلفة فيدل على مدارية ومحورية الأثنين بلحاظين.

### **تشابه وفوارق حوارية علي وفاطمة (عليهما السلام) لحوارية موسي وهارون (عليهما السلام):**

وتأسيساً على ما مرّ ندقق النظر في الحوارية التي جرت بين أمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السلام) سواء من فاطمة لعلّي أو منه لفاطمة وستلمس أنّها قريبة الأفق من الحوارية التي جرت بين موسي وهارون فإنّ بينهما من التشابه الشيء الكثير في لحن الكلام ونبرته وتوازنه.

فمن حوارية موسي وهارون (عليهما السلام) بحسب بيانات القرآن ندرك النقاط التالية:

ص: 350

أولاً: الشراكة بينهما في الأمر، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (هَارُونَ أَخِي (30) أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (32)(1). (2)

ثانياً: عتب موسى علي هارون بعد ضلال بني إسرائيل كما في قوله تعالى: (أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي)(3). (4)

وفهم أهل التحقيق من المفسرين أن هذا اللحن من الخطاب بينهما جارٍ وفق ما يدور في خلد الناس، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ مُوسَى يَعْلَمُ بِاصْطِفَاءِ هَارُونَ وَشِرَاكَتِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِافْتِتَانِ قَوْمِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ عَاتَبَ مُوسَى أَخَاهُ وَأَجَابَهُ هَارُونَ بِقَوْلِهِ: (قَالَ يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)(5). (6)

فَكَانَ السَّائِلَ وَالْمَجِيبَ وَالْعَاتِبَ وَالْمَعَاتَبَ هُمَا الشَّرِيكَانِ فِي الْمَسْئُولِيَةِ الْإِلَهِيَّةِ بُغْيَةً دَفَعَ الْإِلْتِبَاسَ الَّذِي رُبَّمَا يَخَالِجُ أَفْكَارَ الْبَعْضِ وَأَذْهَانَهُمْ فَكَانَ الْهَدَفُ مِنَ الْحَوَارِيَّةِ تَبْيَانُ أَنَّ الْإِلْتِبَاسَ الَّذِي يَدُورُ فِي خَلْجِهِمْ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ.

كَمَا أَنَّ الْحَوَارِيَّةَ مُشْتَمَلَةٌ عَلَى هَدَفٍ آخَرَ وَهُوَ اسْتِعْظَامُ مَا جَرَى مِنَ النَّاسِ وَإِدَانَتَهُ وَالِاسْتِنْتِكَارَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بَلْغَةُ التَّعَاتِبِ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ.4.

ص: 351

- 1- سورة طه: الآية 30 - 32.
- 2- سورة 20 - آيه 30
- 3- سورة طه: الآية 93.
- 4- سورة 20 - آيه 93
- 5- سورة طه: الآية 94.
- 6- سورة 20 - آيه 94

ونفس ما جرى بين موسى وهارون (عليهما السلام) جرى في الحوارية بين فاطمة وأمير المؤمنين في قولها (عليها السلام):

«يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجل فخانك ريش الأعزل»<sup>(1)</sup>.

فلا يجوز والعياذ بالله أن تفهم هذه الحوارية علي أنها عتب وادانة من الصديقة (عليها السلام) لما قام به أمير المؤمنين (عليه السلام) وإنما الأمر جار علي ما بيناه في حوارية في موسى لهارون، فإن عتبها ها هنا يرجع إلي مساءلة علي لسان المحيين فضلاً عن المناوئين.

إذ أن كل من يقرأ الموقف الذي ألتمه أمير المؤمنين (عليه السلام) يتبادر لذهنه هذا التساؤل وهو ما هو سر اختلاف دور أمير المؤمنين عن دور فاطمة (عليها السلام)؟

وما السر فيما سلكه أمير المؤمنين (عليه السلام) اتجاه ما وقع علي فاطمة (عليها السلام)؟

وقد ورد في الروايات أن نحو هذه التساؤلات وردت علي خواص الخالص من أصحاب أمير المؤمنين كسلمان وعمار، إلا المقداد فلم تخالج خاطره علي نحو ما مر.

فانعدت الحوارية بين فاطمة وعلي (عليهما السلام) لترجم ما يمكن أن يرد علي الخواطر، ومن نظائره في القرآن قول الباري تعالي لعيسي (عليه السلام): 1.

ص: 352

1- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي 145/1.



(أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْتِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) (1). (2)

فمع علم الله بفرية وتدليس النصارى على عيسى ومعه أمانته في تحمّل أعباء الرسالة يخاطبه الله تعالى بعبارة توحى بالريبة والتهمة له، بل يبدأ الخطاب «أأنت» أي انطلاقاً من موقعك وهو موقع المخلوق وكأنما فيه تصغير له إلا أنّ الحقيقة أنّ الله تعالى بصدد تنفيذ فرية النصارى على المسيح.

وهذا ما يسمونه حوارية تسجيل ما يدور بين طرفين على نحو تتمص الأدوار، أي حوار بين طرفين يعكسان ما يدور عند الأطراف الأخرى بغية رفع اللبس والالتباس عن أذهان الآخرين.

وفي حوارية أخرى لها مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في أواخر حياتها تقول فيها (عليها السلام):

(يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني) (3).

وإذا كان المقصود من الحوارية السابقة دفع خواطر إدانة أمير المؤمنين (عليه السلام) فهذه الحوارية إدانة لأي جهة؟ إذ من غير المعقول أنّها لدفع خواطر في نفس أمير المؤمنين (عليه السلام) والعياذ بالله.

كيف وقد شهد لها أمير المؤمنين (عليه السلام) في جوابه بمقامات عالية؛ 1.

ص: 353

1- سورة المائدة: الآية 116.

2- سورة 5 - آية 116

3- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري 151.

ولذا فَإِنَّ المخاطب فِي الحوارية وَإِنْ كَانَ هُوَ أمير الْمُؤْمِنِينَ وَلكنَّهَا بصدد دفع الالتباسات عَن الآخرين، فقولها (عليها السلام)

«ما عهدتني كاذبة ولا خائنة» نفي لتوصيف الزهراء (عليها السلام) بذلك فِي خلد الآخرين، ولأنَّهَا تفصح عَن اتهامات وإهانات وجهها القوم لها لما دفعوها عَن حقها وَلَمْ يقبلوا شهادتها، فَهِيَ التباسات تدور فِي فكر الآخرين لا فِي ما يخص البعد الفردي أَيْ بعد الزوجية، فَقَدْ كان زواجها مِن أمير الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) زواج ولاية بولاية وزواج نور مِن نور ومشاركة واقتران نوري، إِذْ قد وَرَدَ فِي الرِّوَايَةِ «زَوْج النُّور مِن النُّور».

وكيف يُتوهم صدور تعد منها وتجاوز أسري وَقَدْ وصفها القرآن الكريم فِي قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) (1).

(2)

وَقَدْ مَرَّ بنا نمط الأدب الإلهي السائد بين الأصفياء، فَقَدْ شهد القرآن أَنَّ موسى لَمْ يتعد فِي صلاحياته عَلَي صلاحيات الخضر، كَمَا لَمْ يتعد الخضر فِي صلاحياته عَلَي صلاحيات موسى، ونفسه جارٍ فِي علي وفاطمة (عليهما السلام)، فَقَدْ كَانَا بحرِين مِن الملكوت والنُّور، وَالتَّبَيُّ (صلي الله عليه و آله) برزخٌ بينهما، فالمسؤوليات محددة والصلاحيات كَذَلِكَ فلا محل لتجاوز أحد عَلَي الآخر.

ولذا فقولها (عليها السلام):

«ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ 0.

ص: 354

1- سورة الرَّحْمَن: الآية 19 - 20.

2- سورة 55 - آيه 19

عاشرتني» نظير قول موسى للخضر ( قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَ لَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(69)(1) (2) ، فَلَمْ تَتَخَلَّفْ عَنْ أَمْرِ عَالِمِ الْوَلَايَةِ وَ لَمْ يَكُنْ مَا قَامَتْ بِهِ الصَّدِيقَةُ(عليها السلام) وَأَشَادَتَهُ مِنْ بَنِيَانِ عَقَائِدِي مُخَالَفٍ لِلْمَسَارِ وَالْبَنِيَانِ الْعَقَائِدِي لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(عليه السلام)، وَ لَمْ يَصْدُرْ مِنْهَا أَيُّ خِيَانَةٍ فِي الدِّينِ لِمَوَاطِقِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

بَلْ ثَمَّةُ فَارِقٍ بَيْنَ حَوَارِيَةِ مُوسَى وَ الْخَضِرِ(عليهما السلام) وَ حَوَارِيَةِ فَاطِمَةَ وَعَلِي(عليهما السلام) فَقَدْ حَكَمَ الْخَضِرُ عَلَيَّ مُوسَى بِقَوْلِهِ: (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)(3) (4) ، عِدَّةٌ مَرَاتٍ إِلَيَّ أَنْ أَعْتَرَفَ مُوسَى بِذَلِكَ، فَقَالَ: (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا)(5) . (6)

ولذا في الجامع للطبري قال: قال رسول الله(صلي الله عليه و آله) يوماً:

رحمة الله علينا وعلي موسى لو صبر علي صاحبه لرأي العجب ولكنه قال: ( فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا(76) . (7)

والذي في صحيح مسلم قال رسول الله (صلي الله عليه و آله):

«رحمة الله علينا وعلي موسى لولا أنه عجل لرأي العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة ولو صبر لرأي العجب»(8) .

وأما جواب أمير المؤمنين(عليه السلام) لحوارية فاطمة(عليها السلام) فَهِيَ:

«معاذ الله 1.

ص: 355

1- سورة الكهف: الآية 69.

2- سورة 18 - آية 69

3- سورة الكهف: الآية 72.

4- سورة 18 - آية 72

5- سورة الكهف: الآية 76.

6- سورة 18 - آية 76

7- سورة 18 - آية 76

8- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي 23/11.

أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله ان أوبخك غدا بمخالفتي»(1)، أي أنك أرفع من أن ينالك عتب ظريف لطيف.

وَمِنْهُ يُفْهَمُ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ غَايَاتِ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ الْفَاتِ النَّظْرَ لِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأَدَبِ وَمَا هُوَ أَظْرَفُ فِي الْمَشَارَكَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ، فَمِثْلُ فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أَعْظَمُ مِنْ مِثْلِ مُوسَى وَالْخَضِرِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فَقَدْ أَثْمَرَ اقْتِرَانُ وَمَشَارَكَةُ فَاطِمَةَ لِعَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) (22). (3).

فلما كانا أعظم مثالا في الأدب الإلهي وحفظ المواقع والصلاحيات كانا أعظم أثرا.

ويشهد جواب علي (عليه السلام) لعتاب الزهراء (عليها السلام) قولاً وفعلاً علي ما لفاطمة (عليها السلام) من صلاحيات في الدين، فأما علي مستوي الفعل فقد ورد أنه لبس القباء الأصفر وأخذ حمائل السيف.

وأما علي مستوي القول فأجابها بهذه اللغة بعد سماعه الأذان

«أيسرك زوال هذا النداء من الأرض قالت لا قال فإنه ما أقول لك»(4).

فقوله (عليه السلام) لها إن شئت أفصاح بصلاحيتها في أصل كيان الدين، بل كان جوابه لها بالموقف والقول تنفيذاً لقول النبي (صلي الله عليه وآله):

«يا علي انفذ3.

ص: 356

1- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري 151.

2- سورة الرَّحْمَن: الآية 22.

3- سورة 55 - آية 22

4- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد 11 / 113.

لما أمرتك به فاطمة»(1) فلمحل أمره (صلي الله عليه وآله) بوجوب تنفيذ أمرها سارع (عليه السلام) في نديتها وإجابتها وعلق الأمر علي مشيئتها.

وليس الأمر محمولاً علي الهيجان العاطفي، وهل يتصور في حق علي (عليه السلام) أن ينساق ويهيج لمجرد حماسة لإمرأة بما هي امرأة والحال أن حماسته وانبعائه كان في أمور تمس أصل الدين، بل كان انبعائه عن أمر ولية الأمر (عليها السلام) وكان تحركه جواباً لمن لها مشيئة مرتبطة بأصل الدين.

ومنهُ ندرت أن انتقاء سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) في وصيته لعلي (عليه السلام) عبارة «أنفذ ما تأمر بك به» دالٌّ علي ما لها من مسؤولية في إشادة الدين، وإن كان لعلي (عليه السلام) موقع الإمامة علي فاطمة (عليها السلام)، أي له تفاوت عنها لكنه ليس نظير التفاوت بينه وبين الحسين (عليهما السلام)، بل بالنمط الذي رسمه القرآن وتب عليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تحت قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَمِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ). (2)

ولا نبالغ إذا ما قلنا أن حواريتها تمثل ملحمة عقائدية عظيمة، وهي من أدلة صلاحياتها، بل لا يتلأ الباحث في القول أن مشيئتها مشيئة الله ومشيئة رسوله (صلي الله عليه وآله) وذلك لتعليق أمير المؤمنين (عليه السلام) أصل ثابت الدين وبقائه علي مشيئتها، وليس في كلامه أي مجاملة أو محاباة، بل قائم علي قواعد الأدب الإلهي التي تقدم بيانها.5.

ص: 357

1- بحار الأنوار، العلامة المجلسي 22 / 485.

2- سورة 55 - آيه 19

## نبرة الأدب بين الأئمة (عليهم السلام) افصاح عن تفاوت الصلاحيات:

ذكرنا أنّ من لوازم الأدب حفظ المواقع والصلاحيات والمقامات؛ ولذا مع ما للحسن (عليه السلام) من شيء من التقدّم عليّ الحسين (عليه السلام) لكنّ نبرة الأدب بين الحسنين وسائر الأئمة (عليهم السلام) تختلف، فلها مستوي آخر ينم عن التفاوت في الصلاحيات والمواقع والمقامات.

ويَدُلُّ عَلَيْهِ التعبير النبوي عن الحسن والحسين بال- «الفرقدين» وتعبير القرآن عن علي وفاطمة (عليهما السلام) بالبحرين ويجمعهما بيان تشاطر المسؤولية وتشارك الصلاحية.

ومن شواهد نمط الأدب الخاص بين الحسنين (عليهما السلام) والذي هو نظير الأدب بين علي وفاطمة (عليهما السلام) ما كان من بيعة الحسن (عليه السلام) وهدنته لمعاوية وتبعية كلّ الأئمة له لكنّ الحسين (عليه السلام) بمفرده لم يدخل في التزام الصلح مع معاوية ولا مهادنته وبشرط من الإمام الحسن (عليه السلام).

إذ قد يُقال أليس للحسن (عليه السلام) إمامة عامة واجبة الإتيان من قبل كلّ الأئمة ويجب الإتيان لها من قبل كلّ الأطراف، فكيف يختلف ها هنا موقف الإمام الحسين (عليه السلام)؟!

إنّ لهذا البحث فلسفة فقهية وعقائدية ومعرفية وسياسية، وفيه عبرة لنا علي طول التاريخ.

فيظل التساؤل ماثلاً لم قدر الله أن تكون ثمة مزاجية ومقاربة

بين المعصومين كعلي وفاطمة(عليهما السلام) وكالحسن والحسين(عليهما السلام) لا بين السجاد والباقر(عليهما السلام) ولا بين النَّبِيِّ(صلي الله عليه وآله) وباقي أصحاب الكساء(عليهم السلام).

وَلَعَلَّ أَحَدَ وَأَسْرَارَ ذَلِكَ أَنَّ التَّوَازِنَ فِي الدِّينِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِوُجُودِ لَوْنٍ حَسَنِيٍّ وَلَوْنٍ حَسِينِيٍّ بِالتَّقَارُنِ وَالتَّزَامِنِ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ وَاتِّجَاهٍ مُوَضَّوعٍ وَاحِدٍ وَشَرَايِطٍ وَاحِدَةٍ، وَوُجُودِ لَوْنٍ فَاطِمِيٍّ وَلَوْنٍ عَلَوِيٍّ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَاتِّجَاهٍ مُوَضَّوعٍ وَاحِدٍ، لَكِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُوَجُودٍ فِي زَمَانِ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ(عليهما السلام) أَوْ الْحَسَنِ وَالسَّجَادِ(عليها السلام) فَلَا يَجْتَمِعُ لَوْنُ بَاقِرِيٍّ وَلَوْنُ صَادِقِيٍّ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ وَاتِّجَاهٍ مُوَضَّوعٍ وَاحِدٍ.

وَإِنَّمَا تَتَنَوَّعُ أَلْوَانُ الْأَدْوَارِ وَبِحَسَبِ مَصْلَحَةِ الدِّينِ مَعَ التَّقَارُبِ فِي الرِّتْبَةِ بِالنَّحْوِ الَّذِي بَيْنَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ(عليهما السلام) وَالْحَسَنِ وَالْحَسِينِ(عليهما السلام).

فَإِذَا تَوَقَّفَ قَوَامُ الدِّينِ بِالمَوَازِنَةِ وَالمَزامِنَةِ لِذَيْنِكَ المَقَامِينَ جَرَتْ الحِكْمَةُ الإِلَهِيَّةُ بِذَلِكَ.

وَاللَّطِيفُ أَنَّهُ مَعَ تَعَدُّدِ اللَّوْنَيْنِ مِنْ مُتَقَارِبِي الرِّتْبَةِ لِمَصْلَحَةِ فِي أَصْلِ بَقَاءِ الدِّينِ تَكُونُ الغَالِبِيَّةُ مِنَ الْإِتْبَاعِ مُنْقَادَةً لَطَرْفٍ، فَقَدْ كَانَتْ غَالِبِيَّةَ الْإِتْبَاعِ فِي زَمَنِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ(عليهما السلام) مَعَ عَلِيٍّ وَالْقَلَّةُ مَعَ فَاطِمَةَ(عليها السلام) مَعَ ضَرُورَةِ اللَّوْنِ وَالدَّورِ الْفَاطِمِيِّ.

وَكَذَا كَانَتْ الغَالِبِيَّةُ مَعَ الإِمَامِ الْحَسَنِ(عليه السلام) مَعَ ضَرُورَةِ وَجُودِ اللَّوْنِ الْحَسِينِيِّ فِي نَفْسِ الشَّرَايِطِ.





إشارة

- \*مقامات الزهراء(عليها السلام) مغيبة في الاوساط العلمية
- \*أم مقاماتها هو هيمنة كل فضائها علي فضائل أولادها
- \*آل محمد دائرة متميزة عن النبيين وبين أفرادها تمايز
- \*المنبة الأول: هيمنتها العلمية علي علم أولادها(عليهم السلام)
- \*قصور البحوث الكلامية عن استيعاب منظومة العقائد
- \*المنبة الثاني: تفوقها علي مسرح الشجاعة والجرأة...
- \*التراتبية في الفضل في دائرة أهل البيت(عليهم السلام)
- \*مأمورية علي(عليه السلام) في جملة من الموارد بإنفاذ أمر فاطمة(عليها السلام)
- \*أدلة هيمنة مقامها(عليها السلام)علي مقام الحسين(عليهما السلام)
- \*الدليل الأول: حديث الكفوية
- \*الدليل الثاني: روايات النور
- \*الطبقة النورية باللغة الفلسفية
- \*الدليل الثالث: هيمنة مصحفها الشريف

\*السؤال تحر عن الحقيقة لا إنكار لها

\*الدليل الرابع: أمرتها في عالم الآخرة...

\*فاطمة(عليها السلام) لسان الميزان والحسنان(عليهما السلام) الكفتان

\*الدليل الخامس: كونها بحر علم النبوة

\*علي وفاطمة(عليهما السلام) رافدان للمعرفة الكاملة بالنبي(صلي الله عليه وآله)

\*منهاج فاطمة(عليها السلام) محكم علي منهاج الأئمة(عليهم السلام)

### **مقامات الزهراء (عليها السلام) مغيبة في الأوساط العلمية:**

لا نبالغ في القول بأن مقام الزهراء(عليها السلام) مغيب في الأوساط العلمية تدويناً وخطابة وثقافة، فضلاً عن الأوساط غير العلمية.

وأعظم شؤونها المغيبة هو كون مقاماتها(عليها السلام) في كل شيء تتلو مقامات النبي(صلي الله عليه وآله) والوصي(عليه السلام) وتعلوا مقامات أولادها(عليهم السلام).

وهذه الغفلة العلمية عن إدراك مقاماتها(عليها السلام) لا تضر بالحقيقة في نفسها وواقعها شيئاً، لكنها تعني تمادي تقصيرنا عن إدراك الحقيقة.

والتمادي في الجهل بالمعارف يولد سلبيتين مهمتين:

الأولي: انقلاب الأدلة علي الحقيقة من بديهية واضحة إلي نظرية غامضة في عقول الناس، وبالتالي فلا يقف علي الحقيقة وما يترتب عليها من فوائد إلا البصيرين بالأدلة النظرية، وهذا لا يؤخر موقع

الحقيقة في سلم المعارف، بل تظل في موقعها وتبقي المسؤولية العلمية علي عاتق الناس بلزوم الاعتقاد بها عن دليل.

الثانية: إن أي جهل وضبابية تصيب العقول بأي حلقة من حلقات المعارف الدينية تلقي بتأثيرها علي الحلقات الأخرى سواء الحلقات التي فوقها والحلقات التي تحتها.

فلا يظن من يؤمن بالتوحيد والنبوة ويجهل الولاية أنه بلغ علما بالتوحيد والنبوة أو أنه أعطي الاعتقاد حقه في الحلقات التي تلي الولاية، كما أن من يجهل مقامات تالية النبي (صلي الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام) لا يتوقع أنه بلغ علما في معرفة الوصي (عليه السلام) والنبي (صلي الله عليه وآله) والتوحيد أو أنه أعطي العقيدة بالأحد عشر (عليهم السلام) حقها المناسب بشأنها.

وهذا المبحث (كون فاطمة (عليها السلام) تالية للنبي (صلي الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام) وتعلو الأحد عشر معصوما (عليهم السلام) معيب كذلك في كتابات الكثير من المتكلمين وكتابات المحدثين، لكنه بحسب الأدلة - والمدار عليهما ولا سيما الأدلة المرتكزة عند علماء المذهب - بديهي، أي أن هيمنة مقام الزهراء (عليها السلام) علي مقام الإمامين الحسين (عليهما السلام) فضلا عن التسعة المعصومين (عليهم السلام) من ولد الحسين من البداة بمكان.

بل هذا المبحث من أمهات المباحث في سلسلة مقامات فاطمة (عليها السلام)، وإذا قرر هذا المبحث فإنها ستكون واجدة لكل مقامات

وَلَا بُدَّ مِنْ إِلْفَاتِ النَّظَرِ إِلَى أَنْ هَذَا الْمَبْحَثُ وَرَغْمَ أَنَّهُ غَيْرُ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ، بَلْ قَلَّةٌ مِنَ الْأَعْلَامِ مِنْ تَنْبِهِ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّ الْأَدْلَةَ عَلَيْهِ مَتَكَثِّرَةٌ بَلْ هِيَ أَدْلَةٌ قَطْعِيَّةٌ بَلْ نَدَّعِي دَعْوَى زَائِدَةٌ وَهِيَ بَدَاهَةُ الْأَدْلَةَ عَلَيَّ هَيْمَنْتِهَا.

كما لا بد أن نلتفت إلى أن كونها تالية علي (عليه السلام) في المقام ليس معناه أنها دونه في كل شيء، بل من جانب كفوئية ومن جانب تتلوه، كما أن المقام الأم (هيمنتها علي أولادها) ليس بلحاظ الولاية العامة بل بلحاظ ولايتها علي الأئمة الأحد عشر (عليهم السلام).

ولهذا المبحث تداعيات كثيرة منها تأثيره علي النتائج المهمة في جملة مهمة من أبواب الفقه وسيأتي في ضمن البحث.

ويمكن أن نلخص نقاط البحث في التالي:

أولاً: إن أم مقاماتها بحسب تتبعنا وبحسب علمنا القاصر وتحليلنا وإدراكنا والعلم بالواقع عند الله فلربما كان هناك أعظم من هذا المقام- هو هيمنة وتقدم مقامها علي مقامات الأئمة من بنيتها (عليهم السلام).

وهذا بحسب قوالب الأدلة.

ومعني أم مقاماتها هو المقام المهيمن علي مقامات أولادها، وهو مقامها العظيم الأعظم.

ثانياً: مشاركتها(عليها السلام) في الجملة لمقامات علي(عليه السلام) وإن كانت تتلوه وهو إمامها.

ثالثاً: إن هذا المقام الأم لمقاماتها مبدّه لا بحسب كلمات العلماء وإنما بحسب الأدلة المتسالم عليها، فهو ليس فقط قطعي بل مبدّه.

وحينئذ فنحن مطالبون أن نطرح أدلة مبدّه فضلاً عن أنها قطعية.

رابعاً: رغم تسالم علماء الإمامية علي حجيتها وعصمتها(عليها السلام) إلا أنهم لم يخضوا في تحرير المقام الأم تفصيلاً وبلورته تصريحاً وإن كان موجوداً لديهم ارتكازاً.

خامساً: لهذا المبحث العظيم نتائج صناعية وعلمية تلون منظومة العقائد، وله تأثير علي أبواب هامة في الفقه.

سادساً: إنه ما لم تتم وتستكمل دراسات فقهية وعقائدية عن توصيات ما ورد عن الزهراء(عليها السلام) في خطبتها التي هي دستور الإسلام، وأنه ما لم تحكّم توصياتها علي أبواب الفقه وعلي مسار الأمة في العصر الراهن، فلن يتم بناء خارطة للظهور والفرج، فالأخذ بمنهج فاطمة(عليها السلام) يفتح الطريق للظهور وقيام المنجي، أي أن هجران التوصيات الماثورة التي صدرت من فاطمة(عليها السلام) يعرقل مسيرة الفحص الكامل عن مرام نهج أهل البيت(عليهم السلام).

وقد أودعت تلك التوصيات في خطبتها التي هي بحق عبارة

عن ديباجة دستور الإسلام، فما لم تحكّم توصياتها كعمومات في أبواب الفقه وفي المشاكل الراهنة للعصر الحاضر لم يتم رسم خارطة طريق للظهور وقيام المشروع المهدوي.

فإن واحدة من الزوايا المهمة الركنية لمشروع المنجي هو تدشين نهج فاطمة(عليها السلام) علي ضوء ما استفدناه من معارف أئمة أهل البيت(عليهم السلام).

وإذا تمت هذه الفهرسة فنشرع في تفاصيلها.

### **أم مقاماتها هو هيمنة كل فضائها علي فضائل أولادها:**

أول سؤال ينبثق في خضم هذا المبحث الخطير هو كيف يكون المقام المذكور هو أم مقاماتها؟!

وجوابه هو إنّه إذا تقرر واستفيد من الأدلة المبدّهة القطعية بحسب الارتكاز والإجمال أنّ مقامها مهيمن في كل الأصعدة علي مقامات الأحد عشر(عليهم السلام) فستكون أمريتها وناهويتها وحاكمتها مهيمنة علي أمرية وحاكمية وناهوية الحسن والحسين(عليهما السلام) في كلّ العوالم، أي كلّ عوالم الخلقة سابقة ولاحقة، وليس في الأرض فحسب ولا في البرزخ ولا في الرجعة ولا في القيامة ولا في الجنة.

فهي بعد النبيّ(صلي الله عليه وآله) والوصي(عليه السلام) في المقدمة والصدارة، وهي الحاكم وهي الأشجع وهي الأعلم، وهذا التفاوت بينهم هو مقتضى

البيان العقلي، وإن كان كلهم واحد في العلم والنور والشجاعة.

وَهَذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي تَرَاتِبِيَةِ النَّبِيِّينَ مَقَامًا، فَمِنْ جِهَةِ يَقُولُ تَعَالَى: ( لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ) (136) (1) (2) ، ويقول من جهة أخرى: ( تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ) (3) (4) ، بلا أي تدافع ولا تناقض.

ونظيره ما نزل في آيات الإمامة حيث بين أن الإمامة علي درجات، كما أشير إليه في سورة البقرة في قصة إبراهيم الخليل (عليه السلام) فبعد أن نال أصل مقام الإمامة بمقتضي قوله تعالى: ( قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ) (5) (6) طمع في مقام آخر ونور أعلي فطلب بقوله: ( رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ) (7) (8) ، ومفادها أنه دعا باصطفاء أعلي في درجات الإمامة من إصطفاء الإمامة الأول، فأوضح ما دلّ علي تعدد درجات الإمامة دعاء وطلب إبراهيم بعد أن نال طبقة منها الاستزادة والرفي لطبقة أخرى.

وهذا ما بينه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تحت آيات النبوة وآيات الإمامة 8.

ص: 367

- 1- سورة البقرة: الآية 136.
- 2- سورة 2 - آيه 136
- 3- سورة البقرة: الآية 253.
- 4- سورة 2 - آيه 253
- 5- سورة البقرة: الآية 124.
- 6- سورة 2 - آيه 124
- 7- سورة البقرة: الآية 128.
- 8- سورة 2 - آيه 128

فأكدوا أن النبوة والإمامة علي درجات.

والمحصلة أن النبيين والمرسلين(عليهم السلام) مسار واحد وماركة واحدة، إلا أن دولة آل مُحَمَّد(صلي الله عليه وآله) تتفاوت عن دولة آل إبراهيم ودولة آل داوود ودولة آل هارون ودولة آل يعقوب..

ونفس دولة آل مُحَمَّد(صلي الله عليه وآله) لها لون واحد يتميز عن لون البيوتات النبوية الأخرى، فهم في العلم سواء أي لهم لون علمي هم فيه سواء وهو متميز عن علم آل إبراهيم وعلم آل يعقوب، فهم سواء في اللون المتميز والشجرة الواحدة.

وفي عين هذه الوحدة في كُـلِّ المقامات وتميزهم عن سائر ألوان النبيين والمرسلين لكونهم الوارثين للكتاب كما في قوله تعالى: ( ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصَّ طَافِيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ(32)(1)(2) ) إلا أنهم في ظل المجموعة ذات اللون الواحد والخصائص الواحدة متفاوتين علي طبقات.

**آل محمد(عليهم السلام) دائرة متميزة عن النبيين وبين أفرادها تمايز:**

**إشارة**

فمرة تكون المقارنة بين دائرة آل محمد(عليهم السلام) والدوائر الأخرى

ص: 368

1- سورة فاطر: الآية 32.

2- سورة 35 - آيه 32



للنبين (عليهم السلام) فتكون النتيجة أن لدائرة آل محمد (عليهم السلام) لونا واحدا خاصا ولهم سوائية واحدة، وقد عبّر عنها في السنة وحيانية متعددة نظير ما رواه في الغيبة بسنده إلي زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أيما أفضل: الحسن أم الحسين (عليهما السلام)؟

فقال: إن فضل أولنا يلحق بفضل آخرنا وفضل آخرنا يلحق بفضل أولنا، فكلّ له فضل .

قلت: جعلت فداك! وسّع عليّ في الجواب فإنّي والله ما سألتك الأمر تاداً.

فقال: نحن من شجرة طيبة، برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن امنائه علي خلقه، والدعاة إلي دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه .

أزيدك يا زيد؟ قلت: نعم.

فقال: خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلّنا واحد عند الله عزّ وجلّ.

قلت: فأخبرني بعدّتكم.

فقال: إثنا عشر، هكذا حول عرش ربّنا في مبتدأ خلقنا: أولنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد (1).7.

ص: 369

1- غيبة النعماني: 87.

وما رواه في الخصال عن أبي الحزور عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وآله):

«خلق الناس من شجر شتي، وخلقنا أنا وابن أبي طالب من شجرة واحدة، أصلي علي وفرعي جعفر» (1).

وما رواه في مقاتل الطالبين عن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله (صلي الله عليه وآله) وهو يقول:

«الناس من شجر شتي وأنا وجعفر من شجرة واحدة» (2).

ومفاد هذه النصوص كون كل شجرة بني هاشم شجرة اصطفاوية فلا تقارن أنوارهم بأنوار غيرهم، ولا يساوي علمهم بعلم غيرهم، ولا يقارن كتابهم الذي هو تحفة سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) لآله بصحف إبراهيم أو صحف موسى أو إنجيل عيسي، وهو معني هيمنة القرآن علي سائر الكتب والصحف.

ومرة تكون المقارنة بين أفراد دائرة آل محمد (عليهم السلام) وبهذا اللحاظ لا تناقض بين الحكم عليهم باللون الواحد في المقارنة الأولى والحكم بالتفاوت بينهم بلحاظ المقارنة الثانية، وبلحاظ المقارنة الثانية تختلف رتبة الحجية والنورية والهيمنة.

وهذا نظير ما ذكره الفقهاء في الفرق بين فرض الله والسنن التي 1.

ص: 370

---

1- الخصال، الصدوق/ 21.

2- مقاتل الطالبين، أبي فرج الاصفهاني/ 10، كنز العمال، المتقي الهندي/ 663/11.

سَنَّا سِيدَ الْأَنْبِيَاءِ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَبِرْغَمِ كَوْنِ الْحُجْبَةِ فِيهِمَا بِمَعْنَى سَوَاءِ أَيِّ سَوَاءٍ فِي الْحُجْبَةِ وَالْإِلْزَامِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) (1) (2) لَكِنْ مَرَاتِبَ الْهَيْمَنَةِ مُخْتَلِفَةٌ، لِذَا رَوَى فِي الْخِصَالِ عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ:

«... وَلَا تَنْقُضُ السَّنَةَ الْفَرِيضَةَ» (3).

وَفِي الْمَقَارَنَةِ فِي النَّوْعِ الثَّانِي أَيْ بَيْنَ أَفْرَادِ دَائِرَةِ آلِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يَكُونُ لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) تَمِيزٌ وَتَمَايِزٌ وَلَهَا مَقَامَاتٌ خَاصَّةٌ، وَأُمُّ مَقَامَاتِهَا هُوَ كَوْنُ شَجَاعَتِهَا أَرْفَعَ وَنُورُهَا أَتَوَّضَعُ وَأَطْهَرُ وَعِلْمُهَا أَكْبَرُ وَوَلَايَتُهَا أَكْبَرُ وَأَمْرُهَا أَكْبَرُ وَنَاهَوِيَّتُهَا أَكْبَرُ وَحُجْبَتُهَا أَكْثَرُ هَيْمَنَةً مِنْ شَجَاعَةِ نُورِ وَطَهَرِ وَوَلَايَةِ وَأَمْرِيَّةِ وَنَاهَوِيَّةِ وَحُجْبَةِ أَوْلَادِهَا الْأَحْدَ عَشَرَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَثْبُتُ لَهَا نَظِيرٌ مَا ثَبَتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالنِّسْبَةِ لِأَوْلَادِهِ الْمُعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فَقَدْ وَرَدَ عَنِ الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

«إِنَّمَا شِيعَتُهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.. الْحَدِيثُ» (4) فَضْلاً عَنْ الْأَنْمَةِ التَّسْعَةِ، وَهُوَ صَادِقٌ فِي الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فَضْلاً عَنِ التَّسْعَةِ مِنْ شِيعَتِهَا وَأَتْبَاعِهَا.

وَيَصْدُقُ فِي حَقِّهَا مَا وَرَدَ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي فِخَارِهِ الدِّينِيِّ أَنَّهُ قَالَ:

«وَلَا يَتِي لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وِلَادَتِي مِنْهُ...» (5) بَلْ 3.

ص: 371

1- سورة النساء: الآية 59.

2- سورة 4 - آية 59

3- الخصال، الصدوق/285.

4- تفسير الامام العسكري/313.

5- الروضة في فضائل أمير المؤمنين، شاذان بن جبرئيل القمي/103.

من المظنون به أن كُـلَّ الأئمة قالوا ذلك، أي أن هذا اللسان من الفخار بالانتساب للولاية العظمى سيال لدا أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

ومعناه أن ولاية علي (عليه السلام) أكمل في كمالهم من نسبهم لعلي (عليه السلام)، فولاية السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام) لأمير المؤمنين (عليه السلام) أحب وأعز إليهم وأكمل في كمالهم وتكاملهم واصطفائهم وعلو مقامهم من نسبهم له رغم أن نسبهم اصطفاء واحتباء.

والمحصلة أن هذا النمط من الفخار الديني من قبل الأئمة الأحد عشر (عليهم السلام) اتجاه ولاية علي (عليه السلام) بعينه ونفسه لديهم اتجاه امهم فاطمة (عليها السلام) وهو معني الهيمنة عليهم من قبلها وهو أم مقاماتها، أي أن أم مقاماتها كون الحسن والحسين (عليهما السلام) شيعه لها وانهم يفتخرون بحجيتها عليهم.

وكونهما (عليهما السلام) شيعه لفاطمة (عليها السلام) ليس من التخرص والتكلف وإنما هو مستل من روح أقوالهم وتعاليمهم كما أنه ليس من الدلالات الظنية بل من الدلالات القطعية بل من الدلالات المبدهة.

ونسجل هاهنا بعض المؤشرات والمنبهات علي هذا المبحث:

**المنبة الأول: هيمنتها العلمية علي علم أولادها (عليهم السلام):**

#### إشارة

لقد روي كبار المحدثين روايات كثيرة في مصحف فاطمة (عليها السلام)، ومما روي في أوصافه أنه مصدر علم أئمة أهل البيت (عليهم السلام)،

ص: 372

فقد روي عن الصادق (عليه السلام) افتخاره بكون أحد مصادر علومهم هو مصحف فاطمة (عليها السلام) كما تقدم في مقالة مصحفها.

وهذا بلغة عقائدية يعني أن فاطمة (عليها السلام) واسطة علمية بين السماء وأئمة أهل البيت (عليهم السلام).

### قصور البحوث الكلامية عن استيعاب منظومة العقائد:

وليس من السهل ثبوت هذا الدور لها بل هو من القول الثقيل، فقد ثقل هضمه واستيعابه علي علماء الإمامية فضلا عن علماء العامة.

بل هو ثقل الهضم والاستيعاب علي الأنبياء (عليهم السلام) كما هو مفاد الروايات، فقد أكدت الروايات علي أن معرفة فاطمة (عليها السلام) معرفة ثقيلة الوزن علي الأنبياء (عليهم السلام) غامضة المعاني مبهمة صعبة، بل من الصعب المستصعب.

هذا فضلا عن علماء العامة، فقد استعصي عليهم واستصعب أن يكتبوا ترجمة تفسيرية وترجمة كلامية لمقام مريم الصغرى برغم توفر الآيات ووضوح دلالاتها، حتي نسب القرطبي مقام النبوة لها لعدم وجود سعة في الفهم والإطلاع لديهم علي ما في منظومة المعارف الدينية من مقامات غير مقام النبوة.

وإذا استعصي عليهم فهم مقامات مريم الصغرى وهي مثال

صغير لفاطمة الكبرى (عليها السلام) في القرآن، بل بنص تعبير سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) أن مريم هي مريم الصغرى وفاطمة (عليها السلام) هي فاطمة الكبرى - هذا وقد نص القرآن والنصوص الوحيانية علي أن الفاصلة بين مريم وفاطمة (عليها السلام) كبيرة جدا - فإذا استعصي عليهم استيعاب مقامات مريم الصغرى مع كون الفاصلة كبيرة بينها وبين مقامات مريم الكبرى فأتي لهم ومن أين السبيل لديهم ليهضموا شيئا من مقامات فاطمة (عليها السلام).

وهم إذا لم يستطيعوا أن يهضموا مقامات الإمامة برغم كثرة الآيات الشارحة لها فأتي لهم أن يقفوا علي مقام المهيمنة علي مقام الإمامة.

بل وهذه كتب علم الكلام الشيعي ببابك فنقب فيها فإنك لن تجد بابا مستقلا لشرح مقام مريم، وليس حال محدثي علماء الإمامية ومفسريهم بأفضل حالا من متكلميهم، فلم يخصص هؤلاء ولا هؤلاء بحثا مستقلا لبیان مقام مريم في منظومة العقائد.

ونحن هاهنا لا ننسب لهم النكران لمقامها - والعياذ بالله - فإنهم أجل من ذلك، وإن ما نقوله بضرر قاطع أنهم لم ينجزوا كل شيء، فإن جواهر أنوار القرآن والسنة لازالت مكممة.

بل العالم الواحد منهم كالشيخ الطوسي وهو فقيه ومحدث ومتكلم ومفسر أنجز في العقائد علي صعيد الحديث أكثر مما أنجزه في كتبه الكلامية.

وفي هذا تنوير علمي للباحثين مفاده أن منظومة العقائد لدى علماء الإمامية في كتب الحديث أوسع منها لديهم في كتب الكلام.

ولذا بات من غير المقبول موضوعيا وعلميا أن يقول الباحث بتسالم علماء الإمامية علي تعداد أصول عقائدية قليلة لا تتجاوز عدد أصابع الكف الواحدة وأن ما عداها لم يذكره ولم يثبتوه، وإذا سألته عن المصادر التي راجعها يجيب بأن ذلك هو ما وجدته في كتب الكلام لديهم، برغم أنهم ذكروها في علم الحديث أو في علم التفسير.

ولذا فالبناء علي أن كل علوم وأبحاث وآراء علماء الإمامية في العقائد قد أثبتت في علم الكلام شطط عن الحقيقة، بل الواقع العلمي يشهد علي أن الكثير من الأصول والتفاصيل قد بثوها في علوم وكتب أخرى.

بل الموضوعية تقتضي التفتيش والتتقيب في سائر كتبهم بما فيها كتب المزرات والأدعية فضلا عن كتب الحديث والتفسير والفقهاء للوقوف علي منظومة أقوالهم وآرائهم.

فهذا أستاذ الشيخ المفيد بن قولويه المدفون عند رجل الإمام الكاظم (عليه السلام) ويجنب تلميذه المفيد والذي يعبر عنه النجاشي بأنه زعيم الفقه في زمانه (1) وهو كذلك محدث نحرير، والكتاب الذي بقي لابن 3.

ص: 375

---

1- قال في رجال النجاشي: (وكل ما يوصف به الناس من جميل وثقة وفقه فهو فوقه) رجال النجاشي / 123.

قولويه الآن - وعظمة بن قولويه فيه أعظم من عظمته في كتبه الفقهية التي لم تصل إلينا - هو كتاب (كامل الزيارات) ورغم أن اسمه (كامل الزيارات) لكنه بحق من أوله إلي آخره كتاب معارف، بل هو مصدر فقهي لفقه الشعائر الحسينية والدينية، ومصدر فقهي عظيم لفقه العتبات.

وتأسيسا علي ذلك فإنه قد تسالم علماء الإمامية علي رصد بعض آرائهم وأفكارهم العقائدية في كتب الكلام وثمة تسالمات أخري لديهم في علوم الأخري.

والغاية من إثبات هذا المطلب هو توسعة الأفق العلمي للتتبع الصحيح في البحوث العلمية بغية الحصول علي نتائج علمية واقعية.

ومن المقامات المهمة التي لم يسلطوا الضوء عليها في كتب علم الكلام هو المقام الذي نعب عنه بأمر مقامات فاطمة (عليها السلام)، وهو أنها (عليها السلام) مهيمنة علي الأئمة الأحد عشر (عليهم السلام) في كل الفضائل والكمالات والآثار.

بل ثمة حيص وبيص في مصحف فاطمة (عليها السلام) عند الإمامية فقهاء وكلاميا وأصوليا، وكلهم يعترفون باستفاضة الروايات فيه لكنهم إلي الآن ما وضعوا تصورا عقليا وكلاميا له، ولم يوضحوا تفسيره الفقهي



ولم يبلوروا تفسيره الأصولي، ولم يكن فيهم من دني وتدلي من هذا البحث فكان قاب قوسين من حقيقته، وهو المصحف الذي يثبت هيمنتها العلمية، أي أنها أم لأولادها في العلم إذ إن الوسطة في العلم لها هيمنة علمية علي من يستقي منها.

### **المنبة الثاني: تفوقها (عليها السلام) علي مسرح الشجاعة والجرأة:**

ويشير إلي عظمة شجاعته بالرغم كونها أنثي ما أبدته من شجاعة مهيمنة علي شجاعة العديد من الرجال وفي مواقف مختلفة، فقد كان لها من الرجولة بمعني الصلابة ما يعجز عن وصفه البيان أو يحيط بتفسيره البنان، كيف لا وهي لبوة النبوة وبضعة الرسالة.

وتجلت شجاعته في مواطن:

منها: ما ذكرناه سابقا من صدها للعصابة التي هجمت علي باب بيتها، ورغم عددهم وعدتهم لم يستطيعوا أن يفتحوا الباب فعمدوا إلي ضربها..

ومنها: ما ذكرناه أيضا من أن القوم لما لبوا أمير المؤمنين (عليه السلام) بالحبال بحمائل سيفه أخذت فاطمة (عليها السلام) طرفا من الحبال وكان الطرف الآخر بيد الأراذل فلم يستطيعوا أن يزحزحوا أمير المؤمنين (عليه السلام) مع لزوم فاطمة (عليها السلام) الحبل بيدها، فلجؤا لضرب متنها ويدها بالسياط وإلي غمد السيف في جنبها.

ص: 377

فهذه القوة المتميزة لفاطمة(عليها السلام) وهذه الشجاعة لإمراة هي رجل في الصلابة والاستقامة تُقَرَّب ما قلناه من هيمنة لها علي الأئمة الأحد عشر(عليهم السلام) فضلا عن دونهم هيمنة وشجاعة وقوة وصلابة واستقامة.

### **التراتبية في الفضل في دائرة أهل البيت (عليهم السلام):**

تبيّن سابقا وجود تفاوت في الفضل بين المعصومين الأربعة عشر(عليهم السلام) ونضيف أن بعدية فاطمة(عليها السلام) لعلي(عليه السلام) ليست كبعدية السجاد للحسين(عليهما السلام) فهي من جهة بعدية ومن جهة كفوئية بحسب النصوص الوحيانية بلا تنافي بين الأمرين.

ونظيره بين الإمامين الحسنين(عليهما السلام) إذ بينهما مشاركة متقاربة في المقام والحجية مع تقدم فضل الحسن المجتبي(عليه السلام) علي الحسين(عليه السلام).

لكن الفاصلة بين الحسنين(عليهما السلام) ليست كالفاصلة بين سيد الشهداء والحجة(عليهما السلام)، فمع كون رتبته(عليه السلام) تالية لرتبة الحسنين(عليهما السلام) إلا أن الفاصلة بين الحسنين(عليهما السلام) أقل من الفاصلة بين الحسين والحجة(عليهما السلام).

كما دلّت الأدلة الوحيانية علي وجود مشاركة في الجملة بين أمير المؤمنين(عليه السلام) ورسول الله(صلي الله عليه وآله) إلا أنها ليست بقدر المشاركة بين علي وفاطمة(عليهما السلام) أي أن الفاصلة بين فاطمة وعلي(عليهما السلام) أقل مع كون أمير المؤمنين(عليه السلام) نفس رسول الله(صلي الله عليه وآله) وباب علمه.

كما دلت الأدلة أيضا علي أن الفاصلة بين الحجّة والإمام زين العابدين(عليه السلام) غير الفاصلة بين الحسن والحسين(عليهما السلام)، فالفاصلة بين الحسن والحسين(عليهما السلام) أقل، كما أن السجاد(عليه السلام) مقدم علي الباقر(عليه السلام) والباقر(عليه السلام) مقدم علي الصادق(عليه السلام) والصادق(عليه السلام) مقدم علي موسى(عليه السلام) إلي آخره.. كما التزم بذلك السيد المرتضى لوجود روايات ناصة علي تقدم فضل كل إمام أب علي كل إمام ابن عدا ما خرج بالدليل وهو الحجّة، فمع أنه ابن للثمانية(عليهم السلام) لكنه يتقدمهم فضلا ومقاما كما نص علي ذلك سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) في خطبة الغدير وروايات أخرى عن الأئمة(عليهم السلام) من أن الحجّة أفضل التسعة(عليهم السلام)، وأن تاسعهم قائمهم وهو ظاهرهم وهو باطنهم وهو أفضلهم.

روي في كمال الدين بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله(عليه السلام) عن آبائه(عليهم السلام) قال: قال رسول الله(صلي الله عليه وآله):

«إن الله عز وجل اختار من الأيام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختارني علي جميع الأنبياء، واختار مني عليا وفضله علي جميع الأوصياء، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء من ولده، ينفون عن التنزيل تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل المضلين، تاسعهم قائمهم و(هو) ظاهرهم وهو باطنهم»(1).

وروي في مقتضب الأثر عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: 1.

ص: 379

قال رسول الله (صلي الله عليه وآله):

«ان الله اختار من الأيام يوم الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر ومن الشهور شهر رمضان، واختارني وعليها، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين حجج العالمين تاسعهم قائمهم اعلمهم أحكمهم»(1).

فمقام الحجة مقام عظيم بالقياس للتسعة (عليهم السلام) إلي درجة أن الإمام الصادق (عليه السلام) يخاطبه بعبارة (سيدي) فقد روي في كمال الدين بسنده عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب علي مولانا أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فرأيناه جالساً علي التراب وعليه مسح خيري مطوق بلا جيب، مقصر الكمين، وهو يبكي بكاء الواله الثكلي، ذات الكبد الحري، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التغيير في عارضيه، وأبلي الدموج محجريه وهو يقول: «سيدي غيبتك نفت رقادى، وضيقت علي مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد.. الحديث»(2).

كما أن الإمام الرضا (عليه السلام) يقوم اجلالاً لذكره(3).

ويخاطبه أبوه العسكري (عليه السلام) بقوله (يا سيد أهل بيته)(4) في ظل 3.

ص: 380

---

1- مقتضب الأثر، أحمد بن عبيدالله بن عياش الجوهري/9

2- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق/352.

3- الغدير، الأميني/361/2.

4- الغيبة، الطوسي/273.

وجوده، أي أن للحجة (عليه السلام) سؤددا في ظل وجود أبيه.

ونظيره في القرآن تفاوت مقام يوسف الإبن عن مقام يعقوب الأب، ودلّ علي هذا التفاوت من نصوص القرآن مقاطع عديدة منها قوله تعالى: ( اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلِي وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَ اْتُوني بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93)(1) (2) وقوله تعالى في ذيل الآية: ( اُتوني بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ) (3) (4) فأمر يوسف بهجرة يعقوب دون العكس دليل ثبوت ولاية وأمرية ليوسف، ولا يخلو تأثير القميص المنسوب ليوسف بقوله (بِقَمِيصِي هَذَا) (5) (6) علي ناظر يعقوب من دلالة علي تقدم فضل له.

وكذا قوله تعالى: ( وَ رَفَعَ أَبُو يَهُ عَلِي العَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ) (7) (8) (9).

ومنه يتبين أن الفاصلة في المقام بين الإمام الإبن والإمام الأب ليست تأسيسا في شريعة الإسلام. 1.

ص: 381

1- سورة يوسف: الآية 93.

2- سورة 12 - آيه 93

3- سورة يوسف: الآية 93.

4- سورة 12 - آيه 93

5- سورة يوسف / 93

6- سورة 12 - آيه 93

7- سورة يوسف: الآية 100.

8- سورة 12 - آيه 100

9- قال في الميزان: (انما اخذوا يوسف آية لله فاتخذوه قبله في سجدتهم وعبدوا الله بها لا غير كالكعبة التي تؤخذ قبله فيصلي إليها فيعبد بها الله دون الكعبة ومن المعلوم ان الآية من حيث إنها آية لا نفسية لها أصلا فليس المعبود عندها الا الله سبحانه وتعالى). الميزان، السيد الطباطبائي 247/11.

وعلي ضوء ما مرّ من تقدم الإمام الأب علي الإمام الإبن وتقدم الحجة(عليه السلام) علي الثمانية يتبيّن أن الفاصلة بين الإمام الأب والإمام الإبن أقل من الفاصلة بين الإمام الجد والإمام الحفيد وتكبر الفاصلة كلما ابتعدت طبقة الحفيد.

وعلي ضوئه أيضا يتبيّن أن الفاصلة بين الحجة(عليه السلام) والأئمة الثمانية(عليهم السلام) ليست علي نسق واحد وبرهانه تقدم كل إمام أب علي كل إمام إبن.

فإذا قلنا بتقدم الحجة(عليه السلام) علي الجميع فهو تقدم عن دائرة فيها تفاضل وتمايز فتكون نسبته لأولهم في الفضل أقل فاصلة من نسبته لمن يليه، وتقدمه في الفضل علي من يلي الذي يليه أقل ممن بعده وهلم جرا.

### **مأمورية علي(عليه السلام) في جملة من الموارد بإنفاذ أمر فاطمة(عليها السلام):**

ونعود إلي ما نحن فيه وهو أنه في حين أن فاطمة(عليها السلام) مأمورة بطاعة علي(عليه السلام) وهو ما يثبت إمامته عليها فكذلك فإن أمير المؤمنين(عليه السلام) في جملة من الموارد حسب النصوص الوحيانية مأمور بطاعة الزهراء(عليها السلام) كما مرّ اثباته سابقا.

ولا يتوهم أحد أن مأمورية الزهراء(عليها السلام) بطاعة علي(عليه السلام) دينية، بينما الوصية بطاعته للزهراء(عليها السلام) ذات طابع شخصي، إذ ليس للزهراء(عليها السلام)

شأن خاص منفك عن موقعيتها في الأمة، بل كل شأنها مرتبط بأبيها وبعلمها ودين الإسلام.

وقد تظن أعداؤها بارتباط وصيتها(عليها السلام) بأصل الدين فراموا نبش قبرها، فلو كان المرتكز عندهم أن توصياتها ذات طابع شخصي فماذا يهيجهم لو منعهم من الصلاة عليها وشهود جنازتها وحضور تشييعها، فهيجانهم وغضبهم من أدل الأدلة علي وجود ارتكاز لديهم في أن استثناءهم من وصاياها اسقاط ديني لهم عن الموقعية.

ومن شواهد ارتباط شؤونها(عليها السلام) بأصل الدين أنها لما أوشكت أن ترفع القناع عن رأسها وهمّ العذاب بالنزول عليهم طلب منها أمير المؤمنين(عليه السلام) الكف عنهم بنحو الالتماس وليس بنحو الأمر وهو المفاد الدقي لقوله(عليه السلام):

«ان أباك بعث رحمة»(1).

ثم إن استجابة السماء والإرادة الإلهية لها مع وجود أمير المؤمنين(عليه السلام) يوضح أن لها شأنًا مغايرًا لشأن الحسنين(عليهما السلام) في ظل إمامة6.

ص: 383

---

1- روي في المسترشد أنه قول سلمان، (قال سلمان : وكنت قريب منها ، فرأيت والله حيطان مسجد رسول الله انقلعت من أسفلها، حتي لو أراد الرجل أن ينفذ من تحتها لنفذ ! فقلت: يا سيدتي ومولاتي، إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة.. ) المسترشد، الطبري الشيعي/ 382. وروي في الاختصاص أن عليا\* بعث سلمانا، فقال علي\* لسلمان : يا سلمان أدرك ابنة محمد صلي الله عليه وآله فإني أري جنبتي المدينة تكفئان، فوالله لئن فعلت لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها، قال: فلحقها سلمان فقال: يا بنت محمد إن الله تبارك وتعالى إنما بعث أباك رحمة فانصرفي.. الاختصاص، المفيد/ 186.

وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو دليل علي الشراكة بينهما (عليهما السلام).

فقد روي في الاحتجاج (قال سلمان رضي الله عنه: كنت قريبا منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله (صلي الله عليه وآله) تقلعت من أسفلها حتي لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيدتي ومولاتي إن الله تبارك وتعالى بعث أبك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتي سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا)<sup>(1)</sup>.

وما سنستعرضه من الأدلة لاحقا كله يصب في رسم قالب الشراكة بينهما، فبرغم كونه إمامها وله تقدم في الفضل عليها لكنها تشاركه في الجملة.

وشراكتها (عليها السلام) في جملة من الموارد لأ-مير المؤمنين (عليه السلام) يرسم لنا في المقابل الفاصلة بينها وبين الأئمة الأحد عشر (عليهم السلام).

### **أدلة هيمنة مقامها (عليها السلام) علي مقام الحسين (عليهما السلام):**

#### **إشارة**

وقد وعدنا أن يكون اعتمادنا علي الأدلة القطعية وليس الأدلة الظنية، فإن موضوع بحثنا لا يمكن اثباته والركون إليه إلا بالقطع دون الظن، وسيتبين أن الأدلة التي سنطرحها مبدهة ارتكازا وإن لم تبسط وتشقق تداعياتها ومعانيها، وجملة منها مثبت لدي الفريقين.

ص: 384



وسنحيل القارئ الكريم في بعض الموارد إلي ما تقدم بيانه تقاديا للتكرار.

### الدليل الأول: حديث الكفوية:

وتقدم الحديث عنه مفصلا في مقالة مستقلة (1) وهو حديث ثابت بثبوت قطعي لا بثبوت ظني، والحكم بكفويتها لعلي (عليه السلام) يثبت تقدمها علي أولادها (عليهم السلام) لتقم علي (عليه السلام) عليهم جزما وقطعا وكون مقاماته مهيمنة علي مقاماتهم (عليهم السلام).

ولو قيل: إن عدم كفوية الحسين (عليهما السلام) لإمهما باعتبار البنوة؟

لأجبتنا أن جعل البنوة إنما هو لاحق علي التقدير، أي أن التقدير والإصطفاء سابق علي تحديد من يكون الأب ومن يكون الأبن بحسب سلسلة الشرف.

فهم (عليهم السلام) غير كفؤ لها من عالم النور وقبل تحديد النسب الدنيوي.

### الدليل الثاني: روايات النور:

#### إشارة

وهي من الروايات القطعية الصدور عند الفريقين، ولروايات النور لسانان لسان أكثر ورودا ولسان أقل ورودا.

أما اللسان الأول فهو لسان أن أول ما خلق الله نور النبي (صلي الله عليه وآله) ثم

ص: 385

خلق منه نور الوصي (عليه السلام) ثم خلق من نورهما نور فاطمة (عليها السلام) ثم خلق من نور الثلاثة نور الحسنين (عليهما السلام) ثم خلق من نور الحسين (عليه السلام) نور التسعة (عليهم السلام) (1) ثم خلق من نور الأربعة عشر نور الدائرة الإصطفائية الثانية، ومنهم أبو طالب وعبدالله وحمزة وجعفر وأبو الفضل العباس والعقيلة زينب (عليهم السلام)..

ولابد هاهنا من بيان مطلب أساسي ومؤثر في عالم المعارف وهو أن خلقة نور النبي (صلي الله عليه وآله) علي طبقات، أي أن النبي (صلي الله عليه وآله) يُخلق من طبقات من نوره بلا تناقض ولا تهافت، أي أن نور النبي (صلي الله عليه وآله) يُخلق منه طبقة نورية ثم من هذه الطبقة النورية يخلق نور النبي (صلي الله عليه وآله) في طبقة أخرى بحسب العوالم المتعددة.

ففي جملة من الروايات أن العرش خلق من نور النبي (صلي الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) 5.

ص: 386

---

1- روي في الهداية الكبرى بسنده عن سلمان قال دخلت علي رسول الله فنظر إلي وقال يا سلمان الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا ولا رسولا الا جعل له اثني عشر نقيبا قال قلت له يا رسول الله قد عرفت هذا من أهل الكتابين التوراة والإنجيل قال يا سلمان فهل علمت من نقبائي ومن الاثني عشر الذين اختارهم الله للأمة من بعدي فقلت الله ورسوله اعلم فقال يا سلمان خلقتني الله من صفوة نوره ودعاني فاطمته وخلق من نوري عليا ودعاه فاطمته وخلق من نوري عليا فاطمة ودعاه فاطمته وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن ودعاه فاطمته وخلق مني ومن علي وفاطمة والحسن والحسين ودعاه فاطمته فسمانا الخمسة الأسماء من أسمائه الله محمود وانا محمد والله العلي وهذا علي والله فاطر وهذه فاطمة والله الاحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين ثم خلق منا ومن صلب الحسين تسعة أئمة ..  
(الحديث) الهداية الكبرى، الخصيبي/ 375.

وثمة روايات أن نور النبي (صلي الله عليه وآله) خلق من العرش، والرافع للتناقض والتدافع البدوي هو ما أشرنا إليه من أن نور النبي (صلي الله عليه وآله) علي طبقات.

وكذلك الحال في نور علي (عليه السلام) ونور فاطمة (عليها السلام) وسائر أنوار المعصومين (عليهم السلام) فهي علي طبقات.

وَهُمْ يَتَلَقُونَ مِنْ بَعْضِهِمْ فِي الطَّبَقَاتِ النُّورِيَّةِ، لِأَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ أَيَّ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَفِي رَوَايَاتٍ أَنَّهُ قَلْبُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَيَّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ وَجُودِهِ الْعُلُويِّ، فَهُمْ رَوَاةٌ عَنْ مَقَامِ النُّورِ، وَغَيْرِهِمْ رَوَاةٌ عَنْ طَبَقَةِ الْبَدَنِ، وَلِذَا فَأُولَ مِنْ يَتَلَقِي عَنْ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَوْ نَزَلَ شَيْءٌ عَلَيَّ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَهُوَ مُسَافِرٌ فَهُوَ يَتَلَقَاهُ قَبْلَ مَنْ هُوَ حَاضِرٌ عِنْدَ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، كَمَا أَنَّهُ يَتَلَقَاهُ بِتَلَقِي أَعْظَمَ مِمَّا يَتَلَقَاهُ مَنْ هُوَ حَاضِرٌ عِنْدَ الْجَسَدِ، لِأَنَّ تَلَقِيهِ نُورِيٌّ مُطَابِقٌ وَأَكْثَرُ شَفَافِيَّةٌ وَلَطَافَةٌ.

وإذا صار هذا المطلب واضحا فإن جملة كثيرة من الروايات بينت أن موقع نور الزهراء (عليها السلام) هو في المرتبة الثالثة، بل دلت سورة النور علي درجتها الثالثة أيضا في قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِهَا فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا) (1). (2) 5.

ص: 387

1- سورة النور: الآية 35.

2- سورة 24 - آيه 35

فلا يظن أحد أن الخلقة النورية هي مفاد روايات قطعية فحسب، بل هي في الأصل معرفة قرآنية وأصل أصيل في القرآن .

وبعبارة أخرى:

إن حديث الخلقة النورية نظير حديث الثقلين وحديث الكفاءة فقد بيّنا سابقا أنهما في الأصل قرآنيان، فكذلك حديث النور تأسيسه قرآني بل اللسان الأوفر والأكثر ورودا من روايات النور تأسيسه أيضا قرآني وهو اللسان الذي ذكر فيه أن خلقة فاطمة(عليها السلام) النورية ثالثة الأنوار.

وأما اللسان الأقل ورودا في روايات خلقة النور فمضمونه أن الله خلق نور النبي(صلي الله عليه وآله) ثم نور أمير المؤمنين(عليه السلام) ثم نور الحسين(عليهما السلام) ثم نور فاطمة(عليها السلام) أو نور الاثني عشر(عليهم السلام) ثم نور فاطمة(عليها السلام)(1).

والجدير بالذكر أن هذا اللسان غير مشتمل علي كون نور فاطمة(عليها السلام) منشعب من نور الاثني عشر(عليهم السلام)، وإنما هو مشتمل علي عكس ذلك وهو أن نور فاطمة(عليها السلام) ليس منشعبا من نور الاثني عشر(عليهم السلام).

وهذا أمر دقيق وفيصل في بيان عدم التهافت بين اللسانين، وبيان عدم التدافع بينهما في نقطتين:

الأولي: إن اللسان الثاني يُبَيّن فيه انشعاب نور علي(عليه السلام) من نور 1.

ص: 388

النبي (صلي الله عليه وآله) وانشعاب نور الحسنين (عليهما السلام) من نور النبي (صلي الله عليه وآله) ونور علي (عليه السلام) وانشعاب نور التسعة (عليهم السلام) من نور الحسين (عليه السلام) واستثنت نور فاطمة (عليها السلام) فلم تنص علي انشعابه من نور أولادها (عليهم السلام).

ومفاد ذلك أنها (عليها السلام) ليست متأخرة رتبة.

الثانية: علاوة علي عدم ذكر انشعاب نورها (عليها السلام) من أنوار الإثني عشر وعدم النص في هذا اللسان علي تأخرها رتبة فإن ما يرفع التدافع مضافا إلي ذلك ما ذكرناه من أن طبقات أنوار المعصومين (عليهم السلام) متعددة.

واللسان الثاني يشير إلي الخلقة النورية في السبع سماوات حيث إن لهم في كل سماء طبقة نورية غير ما لهم مما هو قبل العرش ودون العرش وفوق الجنة ومع الجنة.

فإذا لاحظنا طبقة نور الزهراء (عليها السلام) في السبع سماوات فهي متأخرة رتبة عن أنوار الإثني عشر (عليهم السلام) بلحاظ طبقة أنوارهم فوق السبع سموات (1).5.

ص: 389

---

1- قال في البحار: (والاختلافات الواردة في أزمنة سبق الأنوار يمكن حملها علي اختلاف معاني الخلق ومراتب ظهوراتهم في العوالم المختلفة فإن الخلق يكون بمعني التقدير، وقد ينسب إلي الأرواح وإلي الأجساد المثالية وإلي الطينات ولكل منها مراتب شتى، مع أنه قد يطلق العدد ويراد به الكثرة لا خصوص العدد، وقد يراعي في ذلك مراتب عقول المخاطبين وأفهامهم، وقد يكون بعضها لعدم ضبط الرواة بحار الأنوار، المجلسي 25/25).

والمحصلة هي أن البناء علي كون نور فاطمة(عليها السلام) هو الثالث رتبة سيّما في الطبقات الأولى وسبقه علي نور الحسين(عليهما السلام) وأنوار التسعة(عليهم السلام) ينتج تقدمها عليهم رتبة.

وباللغة الفلسفية هي علة وواسطة فيض لنور الحسين(عليهما السلام) وأنوار التسعة(عليهم السلام)، ومعني واسطة الفيض هي العلة المهيمنة في كل الكمالات علي من يستقي فيضها.

ويعبر في البحوث العقلية عن المخلوق الأسبق والذي ينشعب منه ويترشح عنه مخلوق متأخر بالعلة، بينما يعبر عن المخلوق المنشعب بالمعلول.

وفي العقلية إذا قيل صادر أوّل وصادر ثاني وصادر ثالث فهو إشارة إلي أن كل متأخر معلول، والمعلول رشحة من رشحات العلة وتجل نازل عن علته، وهو ظهور من ظهورات علته، كما أنه اسم لظهور الصادر المتقدم عليه.

وبرهن فلسفيا علي حقيقة مفادها لو بقي المعلول أبد دهره في صراط التكامل فإنه لن يرقى إلي كمال علته، فما دامت العلة علة والمعلول معلول فدوما ستكون العلة مستوعبة والمعلول مستوعبا.

ويعبر فلسفيا أيضا عن المعلول بالريقة وعن العلة بالحقيقة،

فالعلة بالنسبة للمعلول حقيقة والمعلول بالنسبة لعلته رقيقة، أي تجل نازل عنها.

وعلي هذا الأساس فإن ترجمة آيات النور باللغة العقلية الفلسفية والكلامية والعرفانية هو أن فاطمة(عليها السلام) في كل الكمالات مهيمنة علي الأحد عشر(عليهم السلام) وإن الأحد عشر(عليهم السلام) رقيقة نازلة عن الحقيقة الفاطمية.

والتعبير عن فاطمة في بعض المرويات بأنها حجة علي الحجج هو لغة فقهية وكلامية، وهي بلغة عقلية اشتقاق أنوهم من نور فاطمة(عليها السلام).

وهذا برهان كونها في عوالم علوية أعلي، وأنهم إنما صاروا أولادها في الدنيا لأنهم اشتقاقاتها منها في عالم الأنوار.

بل التعبير في آيات وروايات النور بانشعاب نور الحسين(عليهما السلام) وأنوار التسعة(عليهم السلام) من نور فاطمة(عليها السلام) أعظم بمراتب من التعبير بأنهم حجج الله وفاطمة(عليها السلام) حجة عليهم، لأن ما في آيات وروايات النور بيان تكويني، بينما المنظور في التعبير الآخر هو البيان التشريعي والمعرفي.

فالأئمة(عليهم السلام) أسماء وظهورات وآيات لظهور علي وفاطمة(عليهما السلام)، وعلي وفاطمة أسماء وظهور وآيات لظهور سيّد الأنبياء(صلي الله عليه وآله).

والحسن والحسين آية لظهور فاطمة(عليها السلام).

فدليل الأنوار بصياغة وترجمة عقلية هو هيمنة فاطمة(عليها السلام) على الأئمة(عليهم السلام).

والمفاد الدقي للبيان التكويني لنصوص النور هو أن كمالات فاطمة(عليها السلام) أصل ومنشأ لكمالات الحسنين(عليهما السلام)، بل أصل لكل كمالات الحسنين(عليهما السلام) العلمية والعملية والجهادية والعبادية.

وللتقريب نطرح هذا المثل تنبيها لما قلناه فقد وصف الحسن البصري عبادة الزهراء قائلا: (ما كان في هذه الأمة اعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورم قدمها)(1).

وروي في علل الشرائع عن الإمام الحسن(عليه السلام) في وصف عبادة أمه فاطمة(عليها السلام) أنه قال:

«رأيت أمي فاطمة(عليها السلام) قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راکعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشئ، فقلت: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقلت: يا بني، الجار ثم الدار»(2).

ومفاد الرواية أن سيد شباب أهل الجنة(عليه السلام) يري نفسه متصاعرا1.

ص: 392

1- مناقب آل أبي طالب، بن شهر اشوب 119/3.

2- علل الشرائع، الصدوق 182/1.



أمام هول عبادة أمه فاطمة(عليها السلام)، وهذا يفسر جانباً من هيمنتها في كافة الكمالات علي كمالات أولادها(عليهم السلام) وهيمنة عبادتها في الرواية مثال.

### الدليل الثالث: هيمنة مصحفها الشريف:

#### إشارة

وفي روايات مصحفها أكبر الأدلة علي هيمنة علمها(عليها السلام) علي علم أولادها(عليهم السلام)، كما أن نزول المصحف عليها تعبير وترجمة لما ورد في الزيارات

«إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عما فصل من أحكام العباد»<sup>(1)</sup> فهم المركزية والقطبية وبالتحديد أمهم فاطمة(عليها السلام).

وقد بسطنا الحديث في مفادات مصحفها الشريف في مقالة مستقلة، وهنا نركز علي مفاد آخر وهو أن روايات المصحف تبين أن طبقات الملائكة كانت تنزل بالعلم علي فاطمة(عليها السلام) من دون أن يمرّ بأمر المؤمنين(عليه السلام)، فكأنما الزهراء(عليها السلام) هي اللاقط النبوي وأمير المؤمنين(عليه السلام) يأخذ ما تنزل عليها وانعكس منها، وهو ما رواه في الكافي من قول علي(عليه السلام):

«إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين(عليه السلام) يكتب كلما سمع حتي أثبت من ذلك مصحفاً»<sup>(2)</sup> ومفاده أنه(عليه السلام) يسمع مصحف فاطمة(عليها السلام) ويكتبه

ص: 393

1- الكافي، الكليني 577/4.

2- الكافي، الشيخ الكليني 240/1.

بتبع ما ينتزل علي فاطمة(عليها السلام) فهي المبلّغ عن المقام النوري لأبيها(صلي الله عليه وآله).

وروايات المذهب الاثني عشر قائمة علي هذه الحقيقة وهي من ثوابت المدرسة الإمامية .

وهذا من أوضح الشواهد علي المشاركة بين الزهراء وأمير المؤمنين(عليهما السلام) في إدارة الدين.

### **السؤال تحر عن الحقيقة لا إنكارها:**

وها هنا لفتة لا بد من التأكيد عليها وهي أن البعض يخول لنفسه أنكار الحقيقة بمجرد أن ينبثق لذهنه سؤال حولها، ومن هذا القبيل تساؤل البعض عن ما تنسبه الشيعة لفاطمة(عليها السلام) من مقامات، فحيث يطرأ علي أذهانهم التساؤل فمباشرة يتهمون الشيعة بأنهم ينسبون لفاطمة(عليها السلام) بدعا من الأمر، والحال أن السؤال في حد ذاته كاشف عن الجهل ودليل علي تدني المعرفة وشاهد عجز علمي عن تفسير ظواهر الكتاب فضلا عن بواطنه وتأويلاته.

ولذا فلا بد أن نفخر بامتلاكنا الحقيقة والمعلومة أمام من يزدري عقائدنا، بل حتي مقابل من يسأل ويستشكل مرتابا، فبدلا من أن نكون في موقع المتهم لا بد أن نتحسس شعور المتعزز بنيل الحقيقة وتجليها من سطوح القرآن وتنزيلاته فضلا عن تأويلاته.

وبعبارة أخرى:

ما يفعله الكثير من السائلين والمستشكيلين علي العقائد أو آراء العلماء من مجابتههم بلغة حدية ولهجة قوية هو خلاف مقتضى كونهم سائلين وطالبيين للمعلومة، فإن تحمل شعور ذل المسألة في العلم أمر ممدوح وهو المقتضى الطبيعي لموقع السائل، فتقمصه لشخصية العالم وواجد الحقيقة حين سؤاله لبس لثوب غير ثوبه.

ويتأكد الأمر فيما نحن فيه فمن يتهم الشيعة بالبدعة والخرافة في عقيدتهم بمقامات فاطمة(عليها السلام) لمجرد وجود أسئلة في ذهنه، هذا منه خروج عن حال السائل المستفهم، فكيف إذا كان ما نقوله في فاطمة(عليها السلام) قد أثبتته القرآن في ظواهر آياته لمن هي دون فاطمة(عليها السلام) مقاما وشأنًا!!

فثمة جملة من الآيات نازلة في شأن مريم تنبأ عن تنزل مأموريات عليها من الله بلا توسط نبي زمانها، وهذا مثبت في ظاهر القرآن.

وتنزل الملك مباشرة عليها ايدان وافصاح عن شراكتها في إقامة أمر الله.

وهو ما نقوله في فاطمة(عليها السلام) بنحو أعلي وأشرف، فمن يستصعب فهم ذلك أو يلح عليه السؤال فحاله حال الجاهل الفاحص عن العلم لا حال العالم الناقد للعلوم والمعارف.

ص: 395

ثم إنه إذا ما أخبر القرآن بتنزل الملك علي مريم عدة مرات فإن ما ورد في مصحف فاطمة (عليها السلام) - وبيننا شواهد سابقة - هو كثرة تردد طبقات الملائكة علي فاطمة (عليها السلام) مما يؤكد علي أنها بحر علم النبوة.

وهذا ما التفت إليه بعض كبار المحققين كالمرحوم الشاه آبادي (ره) وقد مر سابقاً.

## الدليل الرابع: أمرتها في عالم الآخرة:

### إشارة

ومن شواهد هيمنتها ما مرّ في مقالة أمرتها في يوم القيامة، فقد ورد النص بهذا التعبير «أما تحيين أن تأمرين غدا فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب» فإن هذا التعبير بالتخصيص والاسم لم يرد لأحد المعصومين من أولادها (عليهم السلام) إلا النبي (صلي الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام).

وما ورد في بقية الأئمة (عليهم السلام) مما يثبت مقام أمرية لهم في الآخرة وارد بصيغة الجمع أي ورد أنهم أمرون وناهون، وأما صيغة التخصيص في لسان الوحي فلم ترد إلا في النبي (صلي الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام).

وهذا شاهد علي أن الهيمنة الثابتة للنبي (صلي الله عليه وآله) ولعلي (عليه السلام) علي الأئمة (عليهم السلام) ثابتة لفاطمة (عليها السلام) علي أولادها المعصومين.

والرواية التي تثبت مقام الأمرية لها في عالم الآخرة تثبت لها أنها بحر علم النبوة، فكونها أمرة في يوم يوضع فيه الموازين بالقسط، أي

تكون فيه المحاسبة بلا- ظلم يثبت أن لها علما بالدين وعلما بالشريعة وعلما بالموضوعات وعلما بالأحوال، وأنها تلم بكافة ملاسبات ومتعلقات قضايا العباد بلا طروء أي شبهة من الشبهات علي علمها، فلا شبهة موضوعية ولا شبهة حكمية ولا شبهة برزخية ولا شبهة اجتماعية.

بل الأمر والنهي في ذلك العالم لا يكفي فيه الإحاطة بعلم التشريع وعلم التنظير وعلم الموضوعات وإنما يتطلب العلم بمقتضي الأسماء الإلهية، ومقتضي الجمال والجلال الالهي، ومقتضي العوالم الصاعدة والنازلة، أي أن الإنصاف المناسب لهوية عالم الآخرة يتطلب الإحاطة بجوامع العلم كلها.

ولذا لم يوصف جبرائيل بلحاظ ذلك العالم بأنه أمر وناه، ولم يوصف إسرافيل ولا عزرائيل ولا آدم ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسي، فغاية ما وصفوا به هو أمرية وناهوية الدنيا، وأما أمرية وناهوية الآخرة فمدارها وشرطها علم جمع الجمع.

وبذلك يثبت أن التدبير الكلي للعوالم بعد النبي (صلي الله عليه وآله) والوصي (عليه السلام) ثابت لفاطمة (عليها السلام).

### **فاطمة (عليها السلام) لسان الميزان والحسنان (عليهما السلام) الكفتان:**

وثمة رواية ذات مفاد عجيب رواها في المحتضر وكشف الغمة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال:

(دخلت يوماً منزلي فإذا رسول الله (صلي الله عليه وآله) جالس والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وفاطمة بين يديه وهو يقول:

يا حسن يا حسين! أنتما كفتا الميزان وفاطمة لسانه ولا يعتدل الكفتان إلا باللسان، ولا يقوم اللسان إلا بالكفتين.

أنتما الإمامان ولأُمَّكما الشفاعة.

ثم التفت إليّ فقال: يا أبا الحسن! أنت توفّي المؤمنين أجورهم وتقسم الجنة بين أهلها (1).

ورواه من العامة بألفاظه الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام بن عثمان الصفوري الشافعي مؤرخ أديب من أهل مكة (2).

ومعلوم أن تعادل كفتي الميزان مرهون بلسان الميزان، فوصف فاطمة (عليها السلام) بلسان الميزان في قبال وصف الحسين (عليهما السلام) بكفتيه يفيد أن نهج الحسين (عليهما السلام) وهدايتهما ونورهما وعلمهما وسننهما لا تفهم بنحو متوازن إلا بهيمنة علم فاطمة (عليها السلام) وهيمنة تربيتها وهدايتها وسننها ونورها.

وذيل الرواية هو (أنتما الإمامان ولأُمَّكما الشفاعة) ومفاد هذا).

ص: 398

---

1- المحتضر، بن سليمان الحلبي / 180.

2- نزهة المجالس ومنتخب النفائس (المطبعة الكاستلية- مصر)، عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري 176/2 (المتوفي سنة: 894هـ- الموافق 1489م).

التقابل الذي يذكره النبي (صلي الله عليه وآله) هو أن للحسين (عليهما السلام) خصوصية في الأمور الإجرائية في عالم الدنيا لكونهما إمامين، ولأمهما فاطمة (عليها السلام) فوقهما خصوصية تحديد الحساب النهائي وتقدير المعدل النهائي، فهي بالقياس لهما ذات مقام مهيم، إذ معني الشافعة هي من بيدها تعيين النتيجة النهائية.

وصلاحيتهما (عليهما السلام) في تحديد النتيجة النهائية بما لها مقام الشفاعة دليل مستقل علي هيمنتها في كل الفضائل علي أولادها (عليهم السلام)، بل يصلح هذا الدليل لإثبات هيمنتها المطلقة وفي كل عوالم الولاية عليهم باعتبار أنها الغاية والنهائية.

### الدليل الخامس: كونها بحر علم النبوة:

#### إشارة

ومن أدلة هيمنتها ومثبتات أم مقاماتها ما طرحناه في مقالة مستقلة تحت قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) (1) (2) فوصفها القرآن بالبحر.

بينما وصف أولادها (عليهم السلام) بقوله: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) (3) (4) أي أن الحسين (عليهما السلام) ثمرة من ثمرات بحر علي (عليه السلام) وبحر فاطمة (عليها السلام).

ولم يعبر عن الأئمة (عليهم السلام) بالبحر أو البحار وإن كانوا بحورا

ص: 399

1- سورة الرَّحْمَن: الآية 19.

2- سورة 55 - آيه 19

3- سورة الرَّحْمَن: الآية 22.

4- سورة 55 - آيه 22

بالنسبة لمن دونهم.

وخصوصية هذا الدليل:

أولاً: أصله قرآني وليس بيان حديثي فحسب.

وثانياً: الحديث رواه رواة الفريقين.

وهذا المقام بنفسه يستحق أن يدون فيه موسوعة كاملة لأنه بوابة وباب عظيم في مقامات علي وفاطمة (عليهما السلام).

وها هنا نكتة تفسيرية بينها الإمام الصادق (عليه السلام) ببرهان عقلي، وقد فصلناه في مباحث التفسير.

وهي أن ما يذكره القرآن من جبال وأوتاد وبحر ولؤلؤ ومرجان وسحاب ومطر وشمس وقمر وظل وسماء وما هو من هذا القبيل، لا يريد بها الموجودات الأرضية فحسب، وإنما المراد من هذه العناوين جبال الملكوت ومطر الملكوت وعالم الأرواح وأرض الأنوار وأرض العوالم الأخرى، والبحر في الآية ليس هو البحر المعهود، وإنما هو بحر العلم.

وعليه فعلي وفاطمة (عليهما السلام) ليسا بحرا وبحراً علي كوكب الأرض.

وإذا رجعنا إلى تسلسل الآيات في ذكر الآلاء الرحمانية يتبين المراد من عنوان البحر حيث يقول: (الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) (1))

ص: 400



حَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ... (1) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا  
الْلُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ ..... (2) سَدَنَفْرُغٌ لَكُمُ آيَةُ الثَّقَلَيْنِ ... (3) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
(38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ 1. (4)

فأول شيء ذكره تعليم القرآن وهو أعظم نعمة من النعم وأعظم من نعمة الإنسان نفسه، ثم ذكر خلقه الإنسان أي أصل الخلقة وطبيعة خلقة  
الإنسان والأفراد الكامل منه، ثم ذكر تعليمه البيان، ثم أردف الكلام حول البحرين، وبعده ذلك ذكر الجنة والنار.

فأي بحر هذا الذي هو أعظم من الجنة والنار!!

من المقطوع به أن الآلاء التي تفوق وتهيمن علي الجنة والنار ليست هي الآلاء بعناوينها المادية وإنما بعناوينها الملكوتية.

وعلي هذا الأساس فالمراد من البحر كوصف لفاطمة (عليها السلام) والبحر كوصف لعلي (عليه السلام) والبرزخ المهيم العادل الناظم  
بين البحرين كوصف لرَسُولِ اللَّهِ (صلي الله عليه وآله) واللؤلؤ والمرجان كوصف للحسن والحسين (عليهما السلام) تصوير الفارق في  
المراتب بينهم بحسب التسمية والتوصيف.

فكم فرق بين البحرين والبرزخ الناظم بينهما، وكم فرق وفاضل 8.

ص: 401

1- سورة 55 - آيه 3

2- سورة 55 - آيه 19

3- سورة 55 - آيه 31

4- سورة 55 - آيه 37

بين البحر ونتاجات البحر وهما الحسنان(عليهما السلام) فضلا عن بقية الأئمة التسعة(عليهم السلام) وفضلا عن بقية الأنبياء والرسل(1).

ومن حقنا أن نتساءل لم يريد القرآن أن يعطينا صورة منابع الغيب في علي وفاطمة(عليهما السلام) بينما يصور شأن البقية كثمار ونتائج؟

ولم هذا الافخام والتفخيم من القرآن لمقام علي وفاطمة(عليهما السلام) تحت هيمنة سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) وفوق مستوي مقامات بقية الأئمة(عليهم السلام)؟

أليس هذا هو أفضل بيان وترجمان لهيمنة علي وفاطمة(عليهما السلام) على الأئمة الأحد عشر(عليهم السلام).

ولا يظن أحد أن الهيمنة تعني التفوق في درجة، فليس الأمر بهذه .

ص: 402

1- ويشبه هذا التوصيف توصيف علي بالتاج علي\* رأس الزهراء(عليها السلام) وتوصيف الحسن والحسين بالقرطين في اذنيها، وهو ما رواه في المحتضر في فضائل الصديقة(عليها السلام) وروي عن رسول الله أنه قال: لَمَّا خَلَقَ اللهُ - تَعَالَى آدَمَ وَحَوًّا تَبَخَّرَا فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَ آدَمُ لِحَوَّاءَ: مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَحْسَنَ مِنِّي . فَأَوْحَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى جِبْرِئِيلَ: ائْتِنِي بِعَبْدَتِي الَّتِي فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ الْأَعْلَى . فَلَمَّا دَخَلَ الْفَرْدَوْسَ نَظَرَ إِلَى جَارِيَةِ عَلِيِّ دَرَنُوكَ مِنْ دَرَانِيكَ الْجَنَّةِ ، عَلِيَّ رَأْسَهَا تَاجٌ مِنْ نُورٍ ، وَفِي أُذُنَيْهَا قَرطَانٌ مِنْ نُورٍ ، وَقَدْ أَشْرَقَتِ الْجَنَانُ مِنْ حَسَنِ وَجْهَهَا . فَقَالَ آدَمُ: حَبِيبِي جِبْرِئِيلُ! مِنْ هَذِهِ الْجَارِيَةِ الَّتِي قَدْ أَشْرَقَتِ الْجَنَانُ مِنْ حَسَنِ وَجْهَهَا ؟ فَقَالَ: هَذِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ نَبِيِّي مِنْ وَلَدِكَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ . قَالَ: فَمَا هَذَا التَّاجُ الَّذِي عَلِيَّ رَأْسَهَا ؟ قَالَ: بَعَلَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قَالَ: فَمَا الْقَرطَانُ اللَّذَانِ فِي أُذُنَيْهَا ؟ قَالَ: وَلَدَاهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ . قَالَ: حَبِيبِي جِبْرِئِيلُ ! أُخَلِّقُوا قَبْلِي ؟ قَالَ: هُمْ مَوْجُودُونَ فِي غَامِضِ عِلْمِ اللهِ - تَعَالَى - قَبْلَ أَنْ تَخْلُقَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ . الْمُحْتَضِرُ ، الْحَسَنُ بْنُ سَلِيمَانَ الْحَلِيِّ / 232 .

ويمكن تصوير الفاصلة في المراتب بما ذكر في بعض الروايات عن سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) في المقارنة بين عوالم الخلق والفاصل بين عالم وعالم، مبينا أن السماء الأولى عند السماء الثانية كالقطرة في المحيط اللامتناهي وكحلقة في فلاة قي (1).

ومعني (قي) هو انتهاء الصوت في الصحراء المفتوحة اللامتناهيّة، أي بعد ابتعاد الصوت تحدث النغمة شبيهة ب- (قييي)، فلا يفهم منها شيء، و(قي) اسم فعل يعني لا متناهي.

وعليه إذا كان حال السماء الأولى عند السماء الثانية هكذا فما هي النسبة في التصاعد في السماء السادسة والسابعة، وما هي النسبة عند عوالم ما فوق السابعة.

وهذا هو تصوير مقام الحسنين (عليهما السلام) في الكمالات العلمية وفي كل شيء من الفضائل بالقياس إلي مقام علي وفاطمة (عليهما السلام)، فهما وبقية الأئمة (عليهم السلام) عند أمهما كحلقة في فلاة قي .

وقد بينا سابقا أن الفاصل بين علي وفاطمة (عليهما السلام) وبقية الأئمة (عليهم السلام) ليس علي حد الفاصل في الرتب بين الأئمة (عليهم السلام)، فكما أن الفاصل كبير جدا بين سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله) وعلي وفاطمة (عليهما السلام) فكذلك الفاصل كبير 8.

جدا بين علي وفاطمة(عليهما السلام) وباقية الأئمة(عليهم السلام).

وترجم الإمام الصادق(عليه السلام) ذلك في بعض الروايات البيانية فكان إذا ذكر اسم النبي(صلي الله عليه وآله) ذكره باجلال واعظام حتي يكاد يسجد كما في روايات العقيقة في الكافي، فقد روي الكليني بسنده عن أبي هارون مولي آل جعدة قال: كنت جليسا لأبي عبد الله(عليه السلام) بالمدينة ففقدني أياما ثم إنني جئت إليه فقال لي: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون، فقلت: ولد لي غلام، فقال: بارك الله فيه فما سميته؟ قلت: سميته محمدا قال: فأقبل بخده نحو الأرض وهو يقول: (محمد محمد محمد حتي كاد يلصق خده بالأرض ثم قال: بنفسي ويولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعا الفداء لرسول الله(صلي الله عليه وآله).. الحديث)(1).

وهكذا حاله في الخضوع والإجلال إذا ذكر اسم فاطمة(عليها السلام) بحضرته.

وهذا أدب حقيقي لترجمان الفاصلة والفرق في الرتب.

وهنا يأتي هذا السؤال:

لم أختار القرآن التعددية في توصيف علي وفاطمة(عليهما السلام) فعبر عن علي(عليه السلام) أنه بحر وعبر عن فاطمة(عليها السلام) أنها بحر؟

أي أن فيض رسول الله(صلي الله عليه وآله) ينشعب إلي بحر علي وبحر(1)

ص: 404

فاطمة(عليهما السلام)، فما هو المعني والمغزي من ذلك؟

إن لذلك دلالات عديدة وهي كالتالي:

أولاً: بيان الكفوئية، وقد مرّ بيانه تفصيلاً.

ثانياً: يفسر التعددية وصايا النبي(صلي الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام) بالائتمار بوصايا فاطمة(عليها السلام) وإن كان لعلي(عليه السلام) تقدم في الرتبة كما بينا.

### **علي وفاطمة(عليهما السلام) رافدان للمعرفة الكاملة بالنبي(صلي الله عليه وآله):**

ومؤدي ذلك هو أن الطريق لمعرفة رسول الله(صلي الله عليه وآله) تتوقف علي التعرف عليه بعلي(عليه السلام) والتعرف عليه بفاطمة(عليها السلام)، فالتعرف عليه بفاطمة فقط غير ممكن كما أن التعرف عليه بعلي فقط غير ممكن، فهما بابان لمعرفة النبي(صلي الله عليه وآله) فمن رام أن يفهم سنة النبي(صلي الله عليه وآله) بالخوض في بحر علي(عليه السلام) فحسب لم يعرف النبي(صلي الله عليه وآله) معرفة كاملة، ومن رام أن يفهم سنة النبي(صلي الله عليه وآله) بالخوض في بحر فاطمة(عليها السلام) فحسب لم يعرفه معرفة كاملة، بل المعرفة الكاملة بسنة النبي(صلي الله عليه وآله) ونهجه وصراطه ودينه يكون بالخوض والسباحة والسياحة الفكرية السلوكية في بحر علي(عليه السلام) وفي بحر فاطمة(عليها السلام).

ولا نطرح هذه الإطروحة علي سبيل المجاملات أو لمجرد التفنن الأدبي، بل هو بيان لحقائق واقعية ومراتب تكوينية علي ضوء أدلة

ولو تساءل البعض لأي مغزي يكون لفاطمة(عليها السلام) دور وأثر بوجود علي(عليه السلام)؟

لأجبتنا إن إيكال الدور لها ليس لمجرد التقاسم الإعتباري أو المعونة والمساعدة الجسدية أو عدالة إرث مادي، وإنما هو تقاسم علي ضوء الواقع التكويني الرتبي، فلما كانا بحرین علي نحو التعادل والكفوية لزم فيهما تقاسم الأدوار والمسؤوليات والوظائف لإقامة دين الله.

ومن أهم النتائج المترتبة علي هذا البحث ضرورة أن يصطبغ الفقه الجعفري بمنهج ومنهاج فاطمة(عليها السلام) وإلا لن يكون علي الموازين.

أي أن الأثر الفقهي لما نحن فيه هو لابتدية أن يسير الفقه الجعفري وسنن أهل البيت(عليهم السلام) علي قاعدة التوازن بين نهج علي(عليه السلام) ونهج فاطمة(عليها السلام) لرسم خريطة للظهور علي الموازين الإلهية، فلو غيب نهج فاطمة(عليها السلام) فلن يكون ثمة صراط هداية سوي .

وعلي هذا الأساس فالصورة المتزنة والمنتظمة والعادلة عن النبي(صلي الله عليه وآله) والنبوة لها رافدان أساسيان، أولهما بحر علي(عليه السلام) وثانيهما بحر فاطمة(عليها السلام).

والمحصلة أن الأدلة والشواهد والمنبهات المزبورة تؤكد جانب

شراكة ومشاركة فاطمة(عليها السلام) لعلي(عليه السلام) في إقامة أمر الدين مع التحفظ علي خصوصية تقدم أمير المؤمنين(عليه السلام)، فيثبت بالجنبه الأولي أن الفاصلة بين فاطمة وعلي(عليهما السلام) ليست مطابقة للفاصلة بين علي(عليه السلام) والحسين(عليهما السلام)، كما يثبت مقام أم مقاماتها ومقامها العظيم الأعظم وهو هيمنة كمالاتها(عليها السلام) علي كافة الأصعدة علي كمالات أولادها(عليهم السلام).

### منهاج فاطمة(عليها السلام) محكم علي منهاج الأئمة(عليهم السلام):

ومن النتائج الخطيرة لهذا المقام أنه لا يمكن الاحتجاج بمنهج أيّ إمام من الأئمة الأحد عشر(عليهم السلام) في أيّ باب فقهي من دون الاعتماد والارتكاز علىّ منهج ونهج فاطمة(عليها السلام)، فمع كونهم نورا واحدا إلا أنه لا يمكن رسم نهج أهل البيت(عليهم السلام) بلون نهج إمام واحد.

فلو قال قائل: أليس كل إمام هو الكل في الكل؟

قلنا ذلك صحيح لكن الكلام هاهنا في فهم عقولنا لنهج الإمام الواحد.

وبعبارة أصرح:

إن كلامنا في قدرتنا علي استيعاب نهج أهل البيت(عليهم السلام) المتكامل كمنظومة من خلال ما ينطبع لدينا من فهم سيرة ونهج إمام واحد.

وبعبارة ثالثة:

ص: 407

إذا أردنا أن نحتج بما ورد عن المعصوم الواحد فلا بد من جمع كل كلماته، أي أن مغزي ومرام أي واحد من الأئمة (عليهم السلام) لا يمكن فهمه من رواية أو روايتين .

وإن قيل: أوليس الإمام المعصوم (عليه السلام) هو معصوم في الرواية الواحدة؟

فجوابه إن فهمنا للمعصوم ب كله لا يكون من خلال الاعتماد علي كلام واحد، فلا نقص من ناحية المعصوم لكن النقص في رؤيتنا، إذ ليس في قدرتنا وقابليتنا أن نرسم رؤية متكاملة عن المعصوم من كلام واحد.

وهذا نظير ما دأب عليه الفقهاء والأصوليون والمتكلمون من القول أن العام والخاص ليس بحجة إلا بعد الفحص، وذلك لأن الدين منظومة واحدة فبرغم أن كل آية من القرآن حق إلا أن قابلية البشر لا تتسع لهضم المنظومة من حقيقة واحدة .

ونظير هذا نقوله في العلاقة بين نهج فاطمة (عليها السلام) ومنهاج الأئمة (عليهم السلام) من أولادها، فإن ما يفهم من نهجها وخطبتها وفعالها وسننها محكم علي سنن وكلمات ومناهج من بعدها من الأئمة، فلا تضبط الرؤية لمنهج أي معصوم إلا بالمراجعة لنهج فاطمة

ص: 408



إشارة

\*عدد خطب الزهراء(عليها السلام)

\*تعدد خطبها تعبير عن مداومة مقاومتها

\*الخطبة الثانية: بيان مقام ولايتها علي رجال الأمة والمهاجرين والأنصار

\*الخطبة الثالثة: مسؤوليتها(عليها السلام) حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين

\*الخطبة الرابعة: علي وفاطمة ركنا الولاية وأخا تيم وعدي ركنا الظلم

**عدد خطب الزهراء (عليها السلام):**

من الملفت للنظر لمن أخذ بشيء من السبر والتتبع أن خطبها(عليها السلام) لم تقتصر علي اثنتين كما هو معروف ومشهور، بل هناك خطبتان أخريتان فيكون المجموع أربع خطب لها(عليها السلام)، ولعل المتتبع يجد أكثر من ذلك.

قال الشيخ الحر العاملي أن فاطمة(عليها السلام) خطبت مرارا...

وروي فيه: أن فاطم (عليها السلام) ادعت ثلاثة أشياء: الميراث والنحلة وسهم ذوي القربي وأن أبا بكر لم يقبل شيئاً منها بل منعها وأن فاطمة خطبت في ذلك مرة بعد أخرى، وأنشدت شعراً وظهرت من التظلم والشكاية والتأذي والغضب علي من غضبها وعلي من ساعده وعلي من خذلها ولم ينصرها شيئاً كثيراً بليغا لم أنقله خوفاً من الإطالة، وجميع تلك الروايات من طرق السنة لا من طرق الشيعة (1).

والخطبة الثالثة هي التي رواها ابن شهر آشوب عند عيادة خصوص أم مسلمة لفاطمة (عليها السلام).

كما أن هناك خطبة رابعة رواها الشيخ الطوسي في الأمالي وهي عند زيارة عائشة بنت طلحة لفاطمة (عليها السلام).

والملاحظ في هذه الخطب الأربع أنها ذات اتجاه وهدف ونبرة واحدة وهي مواجهة أصحاب السقيفة والانحراف الذي حصل في الخلافة، وغضبها والاستيلاء عليها ولكن من زوايا مختلفة ولكن المحاور الأساسية واحدة.

**تعدد خطبها تعبير عن مداومة مقاومتها:**

**إشارة**

وتعدد خطبها مؤشر علي استمرار نهج معارضتها المعلن بنحو

ص: 410

1- إثبات الهداة، الحر العاملي 2 / 358 حديث 160.

صارخ في قبال أصحاب السقيفة وقبال تخاذل المهاجرين والأنصار، فلم تهدأ مجلجلة الخطاب في الإدانة للمتواطئين من جهة واستفزاز وعتاب للمتخاذلين من جهة أخرى.

وأكدت (عليها السلام) في خطبها علي التوحيد والنبوة والقرآن وأصل دين الإسلام والمعاد، أي الثوابت لبني الإسلام لئن لا تهدم وتزلزل وتزال كما ارادوا صنع ذلك بالامامة والولاية.

فكان ذلك منها درءاً من التحريف وقطعا لأطماعهم عن المزيد من الإحداث في الدين، ومن ثم حاججت أبا بكر بالكتاب والسنة فعي عن جوابها ولم يكن له مجال للتذرع الا برضا الصحابة بما صنعوا.

ومن ثم عاتبتهم (عليها السلام) علي نبذ الكتاب ونبذ سنة النبي (صلي الله عليه وآله) وعهده وظلمهم للعترة وتواردتهم علي آل الرسول (عليهم السلام) وأنذرتهم عن الردة عن ذلك



## الخطبة الثانية: بيان مقام ولايتها علي رجال الأمة والمهاجرين والأنصار

### المحاسب والحاكم علي المهاجرين والأنصار علي أكبر مسؤولية وهي اقضاء امير المؤمنين (عليه السلام) عن الخلافة:

روي في الاحتجاج، قال سويد بن غفلة: لما مرضت فاطمة (عليها السلام) المرضة التي توفيت فيها دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها، فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟

فحمدت الله، وصلت علي أبيها، ثم قالت: أصبحت والله: عائفة لديناكن، قالية لرجالكن، لفظتهم بعد أن عجنتمهم، وسئمتهم بعد أن سيرتهم، فقبحا لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الصفات وصدع القناة، وختل الآراء، وزلل الأهواء، وبس ما قدمت لهم أنفسهم: أن سخط الله عليهم، وفي العذاب هم خالدون.

لا جرم لقد قلدتهم ربقتهم وحملتهم اوقتها وشنت عليهم غاراتها فجدها، وعقرا وبعدا للقوم الظالمين(1).

ص: 413

---

1- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: 1/146، 149، المطالب المهمة في تاريخ النبي والزهاء والأئمة 20، أعيان النساء عبر العصور المختلفة 442 وللوقوف علي مزيد من المصادر راجع الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء 13 / 405.

وفي نسخة أخرى: عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) قال: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول (عليها السلام) اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟

فقلت: أصبحت والله عانفة لديناكم قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلدتهم ربقتهم وشننت عليهم عارها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين(1).

وفي هذه الخطبة الشريفة برمتها قد جعلت فاطمة (عليها السلام) محور كلامها حول ولاية أهل البيت (عليهم السلام) في الخلافة، وتقريع رجال المهاجرين والأنصار حول مهادنة أصحاب السقيفة وانقيادهم وبيعتهم لهم.

ثم إن الخطبة علي مقاطع:

المقطع الأول: بينت الزهراء (عليها السلام) ولايتها من موقع الأمر والنهي للمهاجرين والأنصار ورجال الأمة .5.

ص: 414

---

1- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق 354 ، 355.

فكل كلماتها(عليها السلام) كانت من موقع هيمنة ولايتها علي المهاجرين والأنصار فضلا عن بقية رجال الأمة وهو يطابق ما أقر به أبو بكر علي ما نقله ابن أبي الحديد بعد خطبتها في مسجد النبي(صلي الله عليه وآله).

وهذا مطابق لفحوي خطبتها في مسجد رسول الله(صلي الله عليه وآله) من موقع المحاكم والمحاسب للمهاجرين والأنصار ولرجال الأمة في أمر الخلافة والبيعة، والمهاجرين والأنصار كلهم وبما فيهم أصحاب السقيفة كلهم أذن صاغية لا ينبسون بنت شفة بل لم يعترضوا عليها حتي أبي بكر بأنها تدخلت في أعظم شأن في الأمة.

بل كانت أجوبة أبي بكر لفاطمة(عليها السلام) كجواب الرعية لمحاسبة الوالي يبرر ويعذر ما قام به في السقيفة مع اعتراف منه بموقع الولاية والحجية لفاطمة(عليها السلام).

فقال لها: (وأنت سيدة أمة أبيك)، فسؤدها علي الأمة رجالا ونساء أي ولايتها عليهم.

كما وصفها أنها (عين الحجية) إلي بقية الأوصاف التي كلها إقرار منه لولاية فاطمة(عليها السلام).

وقولها(عليها السلام): (أصبحت والله عانقة لديناكم) من الواضح أن المراد من دنياكم أي الإدارة لشؤونكم، وهذه الإعافة إعافة الرئيس عن موقع مديريته، لأن إسناد الدنيا إليهم يدل علي كون حديثها عن إسناد

الدنيا إليهم كمجموع، فيكون المراد هو حياتهم الاجتماعية والسياسية جميعا.

كما أن قولها(عليها السلام): (قالية لرجالكم) يدل علي أن لها شأنًا من الهيمنة علي رجال المهاجرين والأنصار بمجموعهم، فالقلاء لمجموع الرجال في مقابل عنايتها لهم، وإنما هو شأن الولي علي الرعية .

ويشهد لهذا المفاد قولها(عليها السلام): ( لفظتهم قبل أن عجتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم)، فيدل هذا علي أنها تمتحن الرجال من المهاجرين والأنصار فضلا عن بقية الرجال وأنها في مقام الممتحن لنخبة الأمة، وأنها أبعدتهم وطردهم عن شأنية جدارة القيام بالمسؤولية المصيرية للدين والأمة كنخبة في الأمة.

ثم أنها(عليها السلام) أدانتهم بقولها(عليها السلام) (فقبحا لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وفرع الصفات وصدع الفناة، وختل الآراء، وزلل الأهواء) لخذلانهم أمير المؤمنين(عليه السلام) والإخلاق إلي الخفض والدعة والغدر الذي خامر قلوبهم وإسراعهم للباطل واغضاضهم عن الفعل الهالك الملك للأمة ونكصوا بعد الإقدام وأشركوا بعد الإيمان، كما أشارت إلي ذلك في خطبتها في مسجد النبي وارتابوا بعد البيان ومال بهم الهوي وما أقدموا عليه يوجب الخلود في العذاب.

وقولها(عليها السلام) (لقد قلدتهم ربقتها) فهو مداينة للمهاجرين والأنصار



بأثم الانحراف في الخلافة والإحداث والتبديل في الزعامة عما أمر الله تعالى وسن النبي (صلي الله عليه وآله) كما أنها داينت رجال الأمة بفعلها وألزمتهم عار هذا الانحراف.

وهذا واضح أنها تبين مقام ولايتها ومسئوليتها علي المهاجرين والأنصار ورجال الأمة في الأمر المصيري لمسير الدين والأمة.

المقطع الثاني: قد تصدت فاطمة (عليها السلام) إلي بيان إمامة علي (عليها السلام) وحقه في الخلافة ودلائل نصب الله ورسوله له وليا وزعيما للأمة.

وبيّنت عظمة الكمالات والسعادة التي تصل إليها الأمة من تولي أمير المؤمنين (عليه السلام) زمام الخلافة.

وأشارت (عليها السلام) إلي أن تخليهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الخسران المبين، وأن دواعيهم من الانحراف عنه هو تبرؤهم من الإستقامة، وأن انحرافهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) تبرما وخوفا من قوة حزمه ورعب سطوته في ذات الله والصرامة في حدود الله مع زهده في الدنيا وتعففه عن نهب الثروات، ونصحه لما هو صالح للدين والأمة.

فقال (عليها السلام):

«ويحهم أني زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين بأمور الدنيا والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الذي نعموا من أبي الحسن (عليه السلام)؟! نعموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال

وقعته، وتتمره في ذات الله»(1).

وأن توليهم لأبي بكر من الأعاجيب والمهازل وأنه لبس البدل، وأنهم تكالبوا علي الغدر بأهل البيت وأقدموا علي التآمر عليهم، فقالت(عليها السلام):

«ليت شعري إلي أي إسناد استندوا؟! وإلي أي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسكوا؟! وعلي أية ذرية أقدموا واحتكوا لبس المولي ولبس العشير، وبس للظالمين بدلا».

المقطع الثالث: ذكرت(عليها السلام) النتائج المدمرة لمصير الأمة من غضب الخلافة بتوسط مشروع السقيفة والهول الذي ينتظر الأمة نتاج ذلك، وما سينجم عن ذلك من وصول أشرار الأمة إلي السلطة وطمعهم فيها وسفك الدماء وهتك الأعراض واستمرار سلسلة الحكومات الظالمة الجائرة المستبدة علي رقاب الأمة عبر القرون حتي يفرج الله بأهل البيت(عليهم السلام) .

المقطع الرابع: تكفلت(عليها السلام) ببيان وحدة ولاية أهل البيت(عليهم السلام) وأنهم لا يقومون بالأمر بالجماء الأمة وجبرها لأن الامتحان اختياري وليس جبريا بمنطق القرآن في قوله تعالي: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (2) (3) ، وذلك باستشهادها بقوله تعالي: (أَنْزَلْنَاهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) (28)(4). (5)8.

ص: 418

1- الاحتجاج ، الشيخ الطبرسي 1 / 146 ، 149.

2- سورة الرعد: الآية 11.

3- سورة 13 - آيه 11

4- سورة هود: الآية 28.

5- سورة 11 - آيه 28

فهنا جمعت بين شأن ولايتها وولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وولاية أهل البيت (عليهم السلام).

والملفت في الخطبة أنها ابتدأت من موقع ولايتها والمسؤوليات التي اضطلعت بها اتجاه الدين والأمة والمهاجرين والأنصار ثم ثنت بولاية وإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم ذكرت ثالثاً فادحة استيلاء أبي بكر علي الخلافة وتمايل المهاجرين والأنصار إلي ذلك، ثم العواقب الوخيمة الناتجة من ذلك علي مستقبل الدين والأمة، وأن أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم كولاية الله ورسوله ليست بالإلجاء والإكراه والجبر التكويني للأمة، بل قائمة علي امتحان الأمة بالاستجابة لذلك.

وفي جملة من المصادر أن النساء أعادت قولها (عليها السلام) علي رجالهن فجاء إليها قوم من المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا:

«يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا لأمر قبل أن يبرم العهد، ويحكم العقد، لما عدلنا عنه إلي غيره، فقالت (عليها السلام): إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم» (1). 9.

ص: 419

---

1- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي 1 / 149.



## الخطبة الثالثة: مسؤوليتها عليها السلام حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين

قال ابن شهر آشوب في ذكر عيادة أم سلمة:

ودخلت أم سلمة علي فاطمة(عليها السلام) فقالت لها: كيف أصبحت عن لبيتك يا بنت رسول الله؟ قالت أصبحت بين كمد وكرب فقد النبي(صلي الله عليه وآله) وظلم الوصي هتك والله حجه أصبحت إمامته مقتصة علي غير ما شرع الله في التنزل وسنها النبي في التأويل ولكنها أحقاد بدرية وترات أحدية كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لإمكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق.

فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها وليس علي ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين أحرزوا عائدتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بابائهم في مواطن الكروب ومنازل الشهادات(1).

ص: 421

---

1- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: 49/2.

وفي مطلعها تبين (عليها السلام) هدفين مهمين تركز عليهما وتعباً الأمة اتجاههما من خلال ثورتها في البكاء وزلزال جزعها ومعالم حركتها بنحو دائم:

الأول: خسارة فقد النبي (صلي الله عليه وآله) لتتشد الأمة بالذكرى الحية للرسول (صلي الله عليه وآله) ويظل ماثلاً أمام عقولهم وأرواحهم ومنشدة إليه قلوبهم لتتبع سنته ويؤخذ بهديه فلا تنحرف الأمة بالمستولين علي الخلافة من بعده.

الثاني: بناء الوعي والمعرفة في عقل وروح الأمة بإمامة الوصي (عليه السلام) واستحقاقه الخلافة، وأن سعادة ونجاة الأمة دنيا وآخره به.

ثم بيّنت أنه قد هتك حجاب الوحي بتجرئهم علي غضب الخلافة والتطاول عليه وزحزحته عن مقامه، وأن الأمة لم تتبع شرع الله ولا سنة النبي (صلي الله عليه وآله) في إمامته، وأن سبب انحراف الغاصبين للخلافة ومن يقف ورائهم ويساندتهم امتلاؤهم بالأحقاد والعداوات نتيجة ما كبدوا من ضربات واستنصال في بدر وأحد فشقوا أهل البيت (عليهم السلام) في ولايتهم ومقامهم.

وأما قولها (عليها السلام): (فليس عليّ) فالظاهر أن المراد هو ليس علي ضير أو خسران بعدما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين.

وفي هذا إشارة إلي مقام ولايتها وأن المسؤولية الملقاة علي عاتقها هي حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين فهي الحافظة للرسالة والكافلة للمؤمنين.

فلفظة (عليّ) أي المسؤولية علي، والتقدير وإن كان الضير والضرر والبأس هو حفظ الرسالة إلا أن المتعلق المرتبط بشأنها من نفي الضرر والضير أو البأس هو حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين، مما يدل علي أن عمدة اهتماماتها هي حفظ الرسالة وهو الذي مرّ بيان المحورين في صدر كلامها (فقد النبي وحزن الوصي) وهذا هو حفظ الرسالة، ثم أضافت إلي ذلك كفالة المؤمنين، والكافل للمؤمنين ليس إلا مسؤولية الوالي، فهذا يبين مقامها وولايتها بجنب ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ومسؤوليته.

وتبين (عليها السلام) سبب عدم خوفها من المآل والعواقب أنه تعالي بالغ أمره وسيظهر الدين ولو كره الكافرون والمشركون، وأن غاية ما قام به الغاصبون في السقيفة ومن ورائهم إنما هو غرور متاع قليل للدنيا، وهذا لا يضر بما أنجزه أمير المؤمنين (عليه السلام) من الانتصار بإقامة قواعد الرسالة وذلك عبر تطهير البلاد والعباد من فراعنة قريش وطغاة العرب وطغام الناس، فهذا الصرح المشيد قائم لا يتزلزل بغصب الخلافة من أصحاب السقيفة مؤقتا.

ص: 423





## الخطبة الرابعة: علي وفاطمة ركننا الولاية وأخا تيم وعدي ركننا الظلم

أنه وجدته في كتاب لأبي غانم المعلم الأعرج، وكان مسكنه بباب الشعير، وجد بخطه علي ظهر كتاب له حين مات: وهو أن عائشة بنت طلحة دخلت علي فاطمة(عليها السلام) فرأتها باكية، فقالت لها: بأبي أنت وأمي، ما الذي يبكيك؟

فقلت لها(عليها السلام): أسألتني عن هنة حلق بها الطائر، وحفي بها السائر، ورفع إلي السماء أثرا، ورزئت في الأرض خبرا، أن قحيف تيم وأحيوك عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتي إذا تقربا بالخناق، أسرا له الشنآن، وطوياه الإعلان، فلما خبا نور الدين، وقبض النبي الأمين، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدلا بفدك، فيا لها لمن ملك، تلك أنها عطية الرب الأعلي للنجي الأوفي، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وأنها ليعلم الله وشهادة أمينه، فإن انتزعا

ص: 425

مني البلغة، ومنعاني اللمظة، واحتسبتها يوم الحشر زلفة، وليجدنها آكلوها ساعة حميم، في لظي جحيم (1).

وفي الخطبة جهرت (عليها السلام) بالإدانة لأبي بكر وعمر وأنها كان يحيكان هذه الفتنة من زمن رسول الله (صلي الله عليه وآله) وأنها غصباها فذك.

ففي الخطبة ترسيم لكونهما مركز الفتنة وأنها المحور للظلم الذي وقع علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليها كما أنها بينت بأن مشروع السقيفة استهدف كلا من علي وفاطمة (عليهما السلام) بنحو سواء، مما يدل ويثبت بوضوح أن كيان الولاية قائم بعلي وفاطمة (عليهما السلام) في الدرجة الأولى.

وهذا مما يشير إلي تكافئهما وتشاطرهما المسؤولية وأن ما قام به الخصوم خطر عظيم وفيه مطاولة لعظمة علو الله تعالى، وهو مما يبين أن ولاية علي وفاطمة (عليهما السلام) بتلك المكانة من تجلي شأن عظمة الله.5.

ص: 426

---

1- الأمالي، الشَّيخ الطوسي: 204، 205.

إشارة

\*ذكره لشؤون مقاماتها إرادة منه لدفع ما قد يعترض عليه في مجادلته لفاطمة(عليها السلام) فأراد اظهار صورة للمهاجرين والأنصار أنه غير ناكر ولا جاحد ولا ناس لشأن من شؤونها ولا لمقام من مقاماتها وأنه رغم ذلك يتعذر في شرعية ما يدعيه إلي الرواية التي يزعم روايتها عن النبي(صلي الله عليه وآله): ( ما تركناه صدقه).

\*أي شرعية وموضوعية للخليفة المنصب بالشوري إذا دافع ضرورة الكتاب والسنة!

\*فصول المحاججة لهذا الموضوع قدرة عظيمة من فاطمة(عليها السلام) لكشف زيغ أهل السقيفة وزيغ وانقلاب الصحابة علي اعقابهم.

\*شرح المقامات

ص: 427

قال أبو بكر: يا بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله) أنت عين الحجة (1)، ومنطق الرسالة،.. (2).

وفي بلاغات النساء فأجابها أبو بكر عبدالله بن عثمان وقال: «فأنتم عترة رسول الله الطيبون، الخيرة المنتجبون، علي الخير أدلتنا، وإلي الجنة مسالكنا (3)، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه».

«وأنت وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لاندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمتك نافذ فيما ملكت يداي».

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة (4).

وفي شرح النهج: لما كلمت فاطمة (عليها السلام) أبا بكر بما كلمته به حمد4.

ص: 428

---

1- دلائل الامامة للطبري/30، علل الشرائع: 24/ شطرا منها، اعيان النساء عبر العصور المختلفة/ 429.

2- بحار الانوار، المجلسي 29 / 239.

3- بلاغات النساء 26، انوار اليقين في امامة امير المؤمنين للحسني اليمني مخطوط 276.

4- الاحتجاج، الطبرسي 1/ 144.

أبو بكر الله وأثنى عليه وصلي علي رسوله ثم قال: يا خيرة النساء، وابنة خير الاءاء،...»(1).

وقد يطرح تساؤل هل هذه الأوصاف التي هي مقامات خطيرة في الدين وصف بها أبو بكر فاطمة(عليها السلام) كانت انشاء من عند نفسه أم هي اقرار ورواية بما سمعه من رسول الله(صلي الله عليه وآله) في شأنها؟

الجواب:

ليبان حقيقة الحال وأنها رواية بما سمعه من رسول الله(صلي الله عليه وآله) وإقرار به نذكر النقاط التالية:

أولاً: أن جوابه هذا كان في محضر ملاء المسلمين ولم يعترض عليه أحد بما قاله حتي أولئك المناؤون لأهل البيت وفاطمة(عليها السلام).

ثانياً: إن ما ذكره كان بمثابة اقرار منه بهذه الشؤون والمقامات لفاطمة(عليها السلام) أمام ملاء المسلمين أيضاً.

ثالثاً: أن أبا بكر كان في مقام منازعة ومجادلة لفاطمة(عليها السلام) لا سيما وأن هذا النزاع لم يقف علي فدك وإنما احتجاج الطرفين علي أصل الخلافة وحق أهل البيت(عليهم السلام) فيها.

فمع هذا الحال يكون الاقرار منه بهذه الشؤون لفاطمة(عليها السلام) لا3.

ص: 429

يخلو إما هي مقامات لم يسمعها المسلمون من قبل فيكون اقراره بها دحضاً لحجته امام حجة فاطمة(عليها السلام)، وكيف وهو يريد أن لا يسقط أمام المهاجرين والأنصار عن الشرعية .

فهذا الاحتمال لا يمكن تعقله ولا امكانية له.

والاحتمال الآخر أن هذه الشؤون والمقامات حيث إنها كانت مسلمة عند المسلمين ثبوتها لفاطمة(عليها السلام) سمعا من رسول الله(صلي الله عليه وآله) وتنزيلا- من الذكر الحكيم في شأنها بما بينه النبي(صلي الله عليه وآله) في ذلك أراد أبو بكر في محاججته أن يفهم ملاء المهاجرين والأنصار أنه غير منكر لشؤون ومقامات فاطمة(عليها السلام)، وأن رغم هذه الشؤون والمقامات هو يستند في ما يزعمه من شرعية موقفه إلي حديث رواه عن النبي(صلي الله عليه وآله) في شأن فدك.

فذكره لشؤون مقاماتها إرادة منه لدفع ما قد يعترض عليه في مجادلته لفاطمة(عليها السلام) أنها حيث كانت ذات هذه الشؤون والمقامات فكيف ينازعها هذا الأمر، فأراد اظهار صورة للمهاجرين والأنصار أنه غير ناكر ولا جاحد ولا ناس لشأن من شؤونها ولا لمقام من مقاماتها وأنه رغم ذلك يتعذر في شرعية ما يدعيه إلي الرواية التي يزعم روايتها عن النبي(صلي الله عليه وآله): ( ما تركناه صدقه)، ( نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة

والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه).

رابعاً: لا يخفي أن فيما روي عن محاجة فاطمة(عليها السلام) لأبي بكر أنها قطعت الطريق عليه في كل ذرائعه بالآيات وضرورات الدين، فلم يركن بعد ذلك أبو بكر لأي احتجاج إلا بأن هؤلاء المسلمون نحكمهم في النزاع بيني وبينك بأنهم نصبوه خليفة وبأنهم اتفقوا علي أخذ فدك والخلافة من أهل البيت، حيث قال: (ولكن المسلمون بيني وبينك، هم قلدوني ما تقلدت، وأتوني ما أخذت وتركت)(1).

(هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود)(2).

وهذا الكلام مرة أخرى منه اعتراف وتسليم منه بشؤون ومقامات فاطمة(عليها السلام) وأنه لا يريد أن يكابرها، ففاطمة(عليها السلام) ليست ممن يكابر، أي ممن ينقاد إليها ويسلم إليها.

ولا يصح منازعتها الأمر وإنما يستند في شرعية ذلك إلي اتفاق المسلمين وأنه خليفة.4.

ص: 431

---

1- دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري الشيعي 124.

2- الاحتجاج، الطبرسي 1 / 144.

خامسا: لا يخفي أن أبا بكر بعد ما افحم بالحجج وانقطع به الاحتجاج واستند إلي اتفاق المسلمين علي تقلده خليفة وعلي أن يأخذوا الأمر من أهل البيت (عليهم السلام) وفدك دليل عمّيه عن منطق الجواب وعجزه عن الاستناد إلي أي شرعية من الكتاب والسنة، بل الكتاب والسنة بما بينت فاطمة (عليها السلام) داحضا لما ارتكب.

وأي شرعية في اتفاق الأمة المناقض لكتاب الله وسنة نبيه.

وأي شرعية وموضوعية للخليفة المنصب بالشوري إذا دافع ضرورة الكتاب والسنة، فوصول المحاججة لهذا الموضوع قدرة عظيمة من فاطمة (عليها السلام) لكشف زيغ أهل السقيفة وزيغ وانقلاب الصحابة علي اعقابهم كما اخبر بذلك القرآن بعد موت رسول الله (صلي الله عليه وآله).

ومن ثم ادارت خطابها (عليها السلام) بعد ذلك إلي المسلمين بعتابهم وتقريرهم وإدانتهم علي الباطل الذي يرتكبونه والشر الذي يقيمونه واغتصاب الحق الذي يقدمون عليه.

سادسا: ولا يخفي أن هذه المحاججة بينها وبين أبي بكر قد نقلت في مصادر كثيرة وعديدة مع اختلاف في اختصار المتن وتوسطه أو نقله مبسوطا، وعلي أي تقدير ففي جملة من المصادر الكثيرة التي نقلت هذه المحاججة قد اعترف وروي أبو بكر هذه المقامات المتعددة موزعة في ثلاثة مواطن.

ص: 432



سابعاً: لا يخفي أن جملة من المصادر منها شرح ابن أبي الحديد وغيره وقد اشرنا إلي غيره من المصادر قد نقلوا أن المهاجرين والأنصار هاجوا بعد هذه الخطبة والمحاججة وخاف أبو بكر انقلاب الأمر عليه فصعد المنبر وشم أمير المؤمنين (عليه السلام) وعرض بالزهراء (عليها السلام) أنها من النساء قد دفعها إلي ذلك زوجها أمير المؤمنين بقوله: ( كلا بل هو ثعالة شهيد ذنبه لعنه الله، وقد لعنه الله، مرب لكل فتنة، يقول: كروها جذعة، ابتغاء الفتنة من بعد ما هرمت، كأم طحال أحب أهلها الغوي... يستعينون بالصبيّة، ويستنهضون النساء) (1).

وهذا المشهد يظهر أن أبا بكر قد فقد توازنه في الخطاب وعجز عن تغطية نواياه الأصلية في ما قام به من الإستيلاء علي الخلافة.

وهذا يناقض ما اقرّ به من شؤون من مقامات فاطمة (عليها السلام)، ومن ثم اعترضت عليه أم سلمة فأطلعت رأسها من بابها وقالت: ألمثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا، وهي الحوراء بين الإنس، والإنس للنفس، ربيت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير منشأ، وربيت خير مربي.

أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟! وقد قال الله له: ( وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) (2) ؟ أفأنذرها وجاءت تطلبه وهي 4.

ص: 433

---

1- دلائل الامامة، الطبري ( الشيعي) 124.

2- سورة 26 - آيه 214

خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الأقران، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويلحفها بشماله، رويدا فرسول الله بمرأى لغيركم، وعلي الله تردون، فواها لكم وسوف تعلمون(1).

قال: فحرمت أم سلمة تلك السنة عطاءها، ورجعت فاطمة(عليها السلام) إلي منزلها فتشكت.

وفي مصدر آخر قالت أم سلمة حيث سمعت ما جري لفاطمة(عليها السلام): ألمثل فاطمة بنت رسول الله(صلي الله عليه وآله) يقال هذا القول، هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس....(2).

فبدأت أم سلمة تذكر بقية شؤون ومقامات فاطمة(عليها السلام) دحضا لأبي بكر عندما انقلب علي وعن ما أقر به من شؤون ومقاماتها.

والملفت أنها تقسم بالله أن هذه مقامات وشؤون لفاطمة(عليها السلام) وهذا القسم كما هو واضح تأكيد لبداية هذه الشؤون سمعا من رسول الله(صلي الله عليه وآله) بل وبحسب تنزيل القرآن علي ما ذكره من فضائلها.

ويستفاد من كلامها روايتها لجملة أخرى من مقامات وشؤون فاطمة(عليها السلام).0.

ص: 434

---

1- دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري ( الشيعي ) 124.

2- الدر النظيم، يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي 480.

سابعاً: لا- يخفي أن اسلوب اعتراف ابو بكر بهذه الأوصاف التي تمثل شؤون ومقامات فاطمة(عليها السلام) ذكرها أمام ملاً المهاجرين والأنصار بنمط أنه أمر مفروغ منه متسالم عليه واضح بديهية من المسلمين .

وهذا هو أيضاً شاهد آخر أن هذه الأوصاف هي حقائق دينية متلقاة من النبي(صلي الله عليه وآله) والأحاديث القدسية وموارد تنزيل القرآن العظيم.

ثامناً: لا يخفي أن جملة هذه المقامات المذكورة في كلام أبي بكر وكلام أم سلمة سيتبين أنها مدلول جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المستفيضة وإن اختلف اللفظ إلا أن المعني متحد.

تاسعاً: لا- يخفي أن ما سنبينه من دلائل في شرح هذه الأوصاف والعناوين والقوالب من شؤونها ومقاماتها(عليها السلام) بمقتضى محكمات الآيات والمستفيض من الروايات ليس بمعني أن هذه المعاني والحقائق الشامخة اختلجت وخطرت علي ذهن أبي بكر بما لها من خطورة بل لا نحتمل ذلك لأن هذه القوالب والعناوين فوق أن يمكنه تصور حقائقها فضلاً عن أن ينشأ ألفاظها وقوالبها.

بل من البديهي أن هذه العناوين والقوالب كلها من مصطلحات الوحي الالهي، وليس لها أثر ولا عين في لغة العرب ولا في الكلمات المنثورة في الأدب أو شعر الشعراء في الجاهلية.

وهذا هو أحد البراهين أن هذه الأوصاف من مسموعات

الوحي وإن ذكره وأقراره بها في مآل المهاجرين والأنصار كشيء متسالم بمثابة اجماع الأمة علي رواية هذه المقامات لها (عليها السلام) عن النبي (صلي الله عليه وآله) والوحي الإلهي.

ص: 436

1- عين الحجة:

(إنها منبع الحجية في الدين وهيمنتها علي كل الحجج)

ولا يخفي أن هذا العنوان والقالب ليس يحمل تقرير الحجية الدينية الاصفائية لفاطمة(عليها السلام) بل هذا العنوان والقالب يحمل في مفاده ومقتضاه:

أولاً: أنها(عليها السلام) مصدر ومبدأ تفرّع الحجج في الدين، فهي بمثابة الحجة المهيمنة علي بقية حجج الدين.

ثانياً: يحمل هذا القالب معني آخر وهو إرادة الحجة الواقعية التي لا تقبل الخطأ بل عين الصواب وهذا مقتضاه العصمة الكبرى.

وكلا المعنيين مما اشارت إليه الآيات والروايات كما بيناه في مقالات هذا الجزء والجزئين السابقين من مقامات فاطمة(عليها السلام).

وواضح من مجموع هذه القوالب التي ستأتي في شؤونها ومقاماتها(عليها السلام) أنها مهيمنة في المقامات بعد الله ورسوله ككفؤ مشاطر لعلي أمير المؤمنين(عليه السلام) وإن كان التقدم لأمر المؤمنين(عليه السلام)، كما تعرضنا له في مقالة كفتيتها لعلي(عليه السلام).

وروي في تفسير فرات الكوفي في ذيل سورة الاحقاف حديث قدسي عن رسول الله(صلي الله عليه وآله) عن الله تعالى في شأن تزويج علي من فاطمة(عليهما السلام): «أنى أجمعهما علي محبتي وأجعلهما معدنين لحجتي إلي يوم القيامة»(1).

## 2- منطق الرسالة:

وهذا المقام قريب من الحديث القدسي الوارد في تبليغ سورة براءة (التوبة) الذي رواه الفريقان: «لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك»(2).

وقد ورد في الحديث النبوي

«فاطمة بضعة مني»(3).

ص: 438

---

1- تفسيرات فرات الكوفي، فرات بن ابراهيم الكوفي 414.

2- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق 298

3- الأمالي، الشيخ الصدوق 165، روضة الواعظين، الفتال النيسابوري 150، كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس الهلالي الكوفي 391، دلائل الامامة، الطبري ( الشيعي) 135، مسند احمد، الامام احمد بن حنبل 5 / 4، صحيح البخاري 210 / 4، سنن الترمذي 259 / 5، السنن الكبرى، البيهقي 307 / 7، فضائل الصحابة، النسائي 78.

فالناطق الإلهي عن الرسالة صلاحية الهيئة عظيمة ولا سيما عن سيد الرسل (صلي الله عليه وآله)، وعلي وفاطمة والائمة من ذريتهم (عليهم السلام) لا ينطقون عن بدن النبي (صلي الله عليه وآله) فحسب بل يتلقون عن روحه وقلبه ونوره الشريف.

### 3- سيدة أمة ايك:

وهذا الوصف والعنوان والمقام من الواضح فيه عدم اختصاص سؤدها لكونها قمة اصطفاية علي النساء المصطفيات الكاملات فضلا عن سائر النساء بل يفيد سؤدها علي رجالات الأمة أيضا .

وهذا هو الذي بينه القرآن الكريم من ولايتها علي جميع الأمة، بل قد بينا جملة من دلالات الآيات وإشاراتها علي ولايتها علي بقية الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) بل بينا في هذا الجزء والجزئين السابقين هيمنة ولايتها علي الحسين والتسعة من ولد الحسين (عليهم السلام).

### 4- الشجرة الطيبة لبنك:

وهذا الوصف ورد مستفيضا في الروايات، فقد روي في تفسير مجمع البيان عن ابن عباس قال: قال جبريل (عليه السلام) للنبي (صلي الله عليه وآله): أنت الشجرة وعلي غصنها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها(1).

وروي ابن عقدة عن أبي جعفر (عليه السلام) أن الشجرة رسول الله (صلي الله عليه وآله)،

ص: 439

---

1- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي 6/ 74.

وفرعها علي (عليه السلام)، وعنصر الشجرة فاطمة (عليها السلام)، وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتنا»(1).

وروي في مناقب أمير المؤمنين عن رسول الله (صلي الله عليه وآله): (قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت علي أمتك يا محمد؟ فقلت: أنت يا رب أعلم).

فقال: يا محمد (إني) انتجتك لرسالتي واصطفيتك لنفسي فأنت نبيي وخير خلقي ثم الصديق الأكبر الذي خلقتك من طينتك وجعلته وزيرك (وهو) أبو سبطيك الشهيدين سيدي شباب أهل الجنة وزوجته خير نساء العالمين أنت شجرتها وعلي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها»(2).

وفي أحادي زيارات أمير المؤمنين (عليه السلام):

«السَّلَامُ عَلَي شَجَرَةٍ طُوبَى»(3).

وهو إشارة إلي الاصطفاء، وأن بركة المقام الاصطفائي لها (عليها السلام) تقرّح اصطفاء ذريتها وبنيتها.

وهو أيضا يعطي مقام الهيمنة لها علي الحسين والتسعة من ذرية الحسين (عليهم السلام).7.

ص: 440

---

1- تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي 6/ 74.

2- مناقب أمير المؤمنين، محمد بن سليمان الكوفي 1/ 479.

3- المزار، محمد بن جعفر المشهدي 217.



وهذا الوصف ورد نظيره في رسول الله(صلي الله عليه وآله) بالقياس لعترته الطاهرة(عليهم السلام) فعن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه(عليه السلام) قال سألته عن قول الله «مثل كلمة طيبة الآية».

قال الشجرة رسول الله(صلي الله عليه وآله) أصلها نسبه ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب(عليه السلام) وغصن الشجرة فاطمة(عليها السلام) وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة(عليها السلام) وشيعتهم ورقها«(1).

## 5- حكمك نافذ:

والمجيء في كلامه بعنوان ومادة الحكم والحاكمية باسناد ذلك إليها ثم جعل مقام حاكميتها فوق المقام الذي يتقلده هو بزعمه كخليفة ويزعم من بايعه من المسلمين نطق وقرار عظيم بهيمنة ولايتها(عليها السلام) علي مقاليد الدين والامة، وأن لها الولاية علي من يتقلد الخلافة علي المسلمين.

## 6- أنت معدن الحكمة:

وهذا القالب والعنوان يقارب ما مرّ بنا من عنوان (عين الحجّة) إلا أن اللفظ هاهنا اسندت إلي الحكمة .

ص: 441

---

1- تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي 1/ 369.

وهذا يبين مدى تسالم هذا المقام لها(عليها السلام) عند المهاجرين والأنصار وجلال ما تقوم به وعظم كل خطوة تخطوها في شؤون الدين والأمة.

ولا يخفي أن الحكمة يلحظ فيها جانب التدبير والإدارة للشؤون العامة بخلاف مقام (عين الحجّة) فهو في جانب التنظير والتشريع وتبينه وإن كان يشمل أيضا جانب التنفيذ.

## 7- موطن الهدى والرحمة:

وهذا فيه إشارة إلى الارتباط الوحياني لها(عليها السلام) وراثته للوحي النبوي بغض النظر عن التفات أبي بكر لذلك أم غفلته، فإن هذا القالب والعنوان يعني في بيانات الوحي هذا المقام.

فإن الموطن يعني محل وموضع نزول الهدى كما استعمل ذلك في مستفيض الروايات والزيارات، كما أن اسناد الموطن للرحمة هو الآخر يشير إلى أنها أمان للأمة والبشرية.

فقد ورد الحديث النبوي وصف العترة بذلك:

«إن أهل بيتي الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي وخلقوا من طيبتني فويل للمنكرين حقهم من بعدي القاطعين فيهم صلتني لا أنا لهم الله شفاعتي»(1).

وعنه(صلي الله عليه وآله):

«النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لامتي»(2).

ص: 442

---

1- بصائر الدرجات، الصفار 69.

2- عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق 2 / 30.

## 8- ركن الدين:

وهذا التعبير هو الآخر عنوان وقالب يفيد أن مقامها وشؤونها ركن الدين الأوحى بعد الله ورسوله، وأنها (عليها السلام) ولية الأمر بعد الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام).

والمهم الالتفات إليه أن وصفها (ركن الدين) يغير التعبير أنها من أركان الدين، بل توحيد الوصف يفيد المحورية المركزية والهيمنة، ثم إضافة هذا الركن للدين دون الشرعية يفيد أن هذا المقام ومقاماتها من أصول العقيدة التي هي المساحة الأصلية في الدين بخلاف الشريعة التي هي في تفاصيل الفروع وهو أعظم من ركن الملة، لأن الدين أعظم من الملة والشريعة والحكمة والطريقة بل يشمل كل ذلك والحقيقة.

## 9- الخيرة المنتجبون:

وهذا العنوان والقالب هو الآخر اصطلاح وحياني توقيتي توقيفي من الوحي دال على الاصطفاء بل على الدرجات العليا منه .

## 10 - علي الخير أدلتنا ..... دليل الأمة علي الخير:

وهذا العنوان هو الآخر دال على ما قرناه في الجزء الثاني من مقاماتها من أنها (عليها السلام) لها سائر مقامات الإمامة من الولاية والهداية

الإيصالية وغيرها والوراثة الإصطفائية لمقام النبي (صلي الله عليه وآله) عدا بعض الشؤون المرتبطة بمباشرة الحرب ونحوها مما يتطلب  
المباشرة في السلطة التنفيذية.

## 11 - وإلي الجنة مسالكنا.....مسالك الأمة للجنة:

وهذا العنوان مطابق لما ورد في الأحاديث النبوية في وصف العترة الطاهرة أنهم السبيل إلي الله كما ورد في دعاء الندبة:  
«فكانوا هم السبيل إليك، والمسلك إلي رضوانك»(1).

وقال تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيَّ سَبِيلًا)(57)(2). (3)

وبأنهم الصراط المستقيم، وهذا المقام يشير إلي امتداد مقاماتهم إلي ما وراء عالم الدنيا من العوالم الآتية ونشأة القيامة والآخرة الأبدية وأنه  
لا تنحصر ولاية العترة(عليهم السلام) بدار الدنيا بل ما سيأتي أعظم وأعظم.

## 12 - خيرة النساء:

وهذا مطابق لعنوان (سيدة المؤمنين) ففي وصول الأخبار قال: وروي في الجمع بين الصحاح أن رسول الله(صلي الله عليه وآله) قال بطريق  
آخر ( ألا

ص: 444

1- المزار، محمد بن جعفر المشهدي 576.

2- سورة الفرقان: الآية 57.

3- سورة 25 - آية 57

ترضين ان تكوني سيدة المؤمنين(1).

ومطابق كذلك لعنوان (سيدة نساء العالمين)(2) الوارد عند الفريقين.

وعن عماد الدين الطبرسي في أسرار الإمامة عن جابر بن عبدالله الانصاري قال رسول الله(صلي الله عليه وآله): (يا فاطمة انت سيدة نساء امتي وسيدة نساء أمم النبيين قبلي)(3).

### 13 - بنت خير الانبياء (خير الآباء):

وهذا المقام لأعظم وراثه اصطفاوية فاخرت به فاطمة(عليها السلام) أغلب المقامات لأمير المؤمنين(عليه السلام) في حديث المفاخرة، فقد روي أنه جاء في الخبر أن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) كان ذات يوم هو وزوجته فاطمة(عليها السلام) يأكلان تمرا في الصحراء، إذا تداعبا بينهما بالكلام فقال علي(عليه السلام) يا فاطمة إن النبي(صلي الله عليه وآله) يحبني أكثر منك.

ص: 445

1- وصول الأخيار الي اصول الاخبار، والد البهائي العاملي 71، 72 / الأماي، الشيخ الصدوق 692.

2- مسند ابي داود وفي الجزء الرابع من صحيح مسلم / تفسير العسكري المنسوب الي الامام العسكري 433، 434 / حلية الابرار، السيد هاشم البحراني 1 / 190 / الهداية الكبرى، الخصيبي 417، 419 / شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي 3 / 23، 24 / الامالي، الشيخ المفيد 281، 283 / الاختصاص، الشيخ المفيد 37.

3- أسرار الامامة، عماد الدين الحسن بن علي الطبرسي 466، 467.

فقلت واعجبا منك يحبك أكثر مني وأنا ثمرة فؤاده وعضو من أعضائه وغصن من أغصانه وليس له ولد غيري.

فقال لها علي (عليه السلام) يا فاطمة إن لم تصدقيني فأمضي بنا إلي أبيك محمد (صلي الله عليه وآله).

قال فمضينا إلي حضرته (صلي الله عليه وآله) فتقدمت وقالت: يا رسول الله (صلي الله عليه وآله) أينا أحب إليك أنا أم علي (عليه السلام)؟

قال النبي (صلي الله عليه وآله) أنت أحب إلي وعلي أعز علي منك .

فعندها قال سيدنا ومولانا الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ألم أقل لك أنا ولد فاطمة ذات التقى.

قالت فاطمة: وأنا ابنة خديجة الكبرى، قال علي: وأنا ابن الصفا، قالت فاطمة: أنا ابنة سدرة المنتهي، قال علي: وأنا فخر الوري، قالت فاطمة: وأنا ابنة دني فتدلي وكان من ربه قاب قوسين أو أدني، قال علي: وأنا ولد المحصنات، قالت فاطمة: أنا بنت الصالحات والمؤمنات، قال علي: خادمي جبرائيل، قالت فاطمة: وأنا خاطبني في السماء راحيل وخدمتني الملائكة جيلا بعد جيل، قال علي: وأنا ولدت في المحل البعيد المرتقي، قالت فاطمة: وأنا زوجت في الرفيع الاعلي وكان ملاكي في السماء، قال علي: أنا حامل اللواء، قالت فاطمة: وأنا ابنة من عرج به إلي السماء، قال علي: أنا ابن صالح المؤمنين، قالت

فاطمة: وأنا ابنة خاتم النبيين، قال علي: وأنا الضارب علي التنزيل، قالت فاطمة: وأنا صاحبة التأويل، قال علي: وأنا شجرة تخرج من طور سينين، قالت فاطمة: وأنا الشجرة التي نخرج اكلها أعني الحسن والحسين (عليهما السلام) قال علي: وأنا المثاني والقرآن الحكيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة النبي (صلي الله عليه وآله) الكريم، قال علي: وأنا النبا العظيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة الصادق الأمين، قال علي: وأنا الجبل المتين، قالت فاطمة: وأنا ابنة خير الخلق أجمعين، قال علي: أنا ليث الحروب، قالت فاطمة: أنا من يغفر الله به الذنوب، قال علي: وأنا المتصدق بالخاتم، قالت فاطمة: وأنا ابنة سيد العالم، قال علي: أنا سيد بني هاشم، قالت: أنه ابنة محمد المصطفى قال علي: أنا الامام المرتضى، قالت فاطمة: أنا ابنة سيد المرسلين، قال علي: أنا سيد الوصيين، قالت فاطمة: أنا ابنة النبي العربي، قال علي: وأنا الشجاع الكمي، قالت فاطمة: وأنا ابنة احمد النبي (صلي الله عليه وآله) قال علي: أنا المبطل الأروع، قالت فاطمة: أنا الشفيع المشفع، قال علي: أنا قسيم الجنة والنار، قالت فاطمة: أنا ابنة محمد المختار، قال علي أنا قاتل الجان، قالت فاطمة: أنا ابنة رسول الملك الديان، قال علي: أنا خيرة الرحمن، قالت فاطمة: وأنا خيرة النسوان، قال علي: وانا مكلم أصحاب الرقيم، قالت فاطمة: وأنا ابنة من ارسل رحمة للمؤمنين وبهم رؤوف رحيم، قال علي: وأنا الذي جعل الله نفسي نفس محمد (صلي الله عليه وآله) حيث يقول في كتابه العزيز وأنفسنا وأنفسكم، قالت فاطمة: وانا الذي

قال في ولساؤنا ولساؤكم وأبناؤنا وأبناؤكم، قال علي: انا علمت شيعتي القرآن، قالت فاطمة: وأنا يعتق الله من أحبني من النيران، قال: انا شيعتي من علمي يسطرون، قالت فاطمة: وانا من بحر علمي يعترفون، قال علي: انا الذي اشتق الله تعالى اسمي من اسمه فهو العالي وانا علي، قالت فاطمة: وانا كذلك فهو الفاطر وانا فاطمة، قال علي: انا حياة العارفين، قالت فاطمة: انا مسلك نجاة الراغبين، قال علي: وانا الحواميم، قالت فاطمة: وانا ابنة الطواسين، قال علي: وانا كنز الغني، قالت فاطمة: وانا الكلمة الحسنی، قال علي: انا أبي تاب الله علي آدم في خطيئة، قالت فاطمة: وانا بي قبل الله توبته، قال علي: انا كسفينة نوح من ركبها نجا، قالت فاطمة: وانا أشاركك في الدعوي، قال علي: انا طوفانه، قالت فاطمة: وانا سورته، قال علي: وانا النسيم المرسل لحفظه، قالت فاطمة: وانا مني انهار الماء واللبن والخمر والعسل في الجنان، قال علي: وانا الطور، قالت فاطمة: وانا الكتاب المسطور، قال علي: وانا الرق المنشور، قالت فاطمة: وانا البيت المعمور، قال علي: وانا السقف المرفوع، قالت فاطمة: وانا البحر المسجور، قال علي: انا علمي النبيين، قالت فاطمة: وانا ابنة سيد المرسلين من الأولين والآخريين، قال علي: انا البئر والقصر المشيد، قالت فاطمة: انا مني شبر وشبير، قال علي: وانا بعد الرسول خير البرية، قالت: انا البرة الزكية.

فعندها قال النبي(صلي الله عليه وآله) لا تكلمي عليا فإنه ذو البرهان، قالت



فاطمة: انا ابنة من انزل عليه القرآن، قال علي: انا البطين الأصلع، قالت فاطمة: انا الكواكب الذي يلمع، قال النبي (صلي الله عليه وآله) فهو الشفاعة يوم القيامة، قالت فاطمة: وانا خاتون يوم القيامة.

فعند ذلك قالت فاطمة لرسول الله (صلي الله عليه وآله) لا تحام لابن عمك ودعني وإياه، قال يا علي يا فاطمة انا من محمد عصيته ونخبته قالت فاطمة وانا لحمه ودمه، قال علي: انا الصحف، قالت فاطمة: وانا الشرف، قال علي: وانا ولي زلفي، قالت فاطمة: وانا الخمصاء الحسناء، قال علي: وانا نور الوري، قالت فاطمة: وانا الزهراء.

فعندها قال النبي (صلي الله عليه وآله) لفاطمة يا فاطمة قومي وقبلي رأس ابن عمك فهذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع أربعة آلاف من الملائكة يحامون مع علي (صلي الله عليه وآله) وهذا اخي راحيل ودردائيل مع أربعة آلاف من الملائكة ينظرون بأعينهم، قال فقامت فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقبلت رأس الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بين يدي النبي (صلي الله عليه وآله) وقالت يا أبا الحسن بحق رسول الله (صلي الله عليه وآله) معذرة إلي الله عز وجل واليك والي ابن عمك، قال فوهبها الامام (عليه السلام) وقبلت يد أبيها عليه وعليهم السلام(1).

#### 14 - صدق الله ورسوله وصدق ابنته:

فجعل صدقها تالي تلو صدق الرسول (صلي الله عليه وآله) مما يشير إلي هيمنة مقامها علي مقام حجج الدين وولايات العترة من ولدها، أي بعد الله

ص: 449

---

1- الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي ابن شاذان 80.

ورسوله(صلي الله عليه و آله) وأمير المؤمنين(عليه السلام).

وقد تسالم عند المهاجرين والأنصار أن صدقها(عليها السلام) في الدين يأتي بعد صدق الله وصدق رسوله(صلي الله عليه و آله).

### 15 - سابقة في وفور عقلك:

وهذا هو الآخر عنوان يدل علي سبقها(عليها السلام) علي جميع الأمة في وفور العقل ومقتضاه ولا تيها علي الأمة.

### 16 - غير مردودة عن حقلك:

وهذا اقرار منه علي حجية قولها وفعلها واستحقاقها المقامات في الدين وفدك أحد الأمور التي طالبت(عليها السلام) بها وهي مثال وتطبيق لعموم الولاية غير مختص بخصوص تلك الأرض، لأنه يمثل تركيز علي المنشأ والمستند لاستحقاقها تلك الأرض وهو غير خاص وهو عام يشمل ما مضى وما سيأتي.

### 17 - ما عدوت رأي رسول الله:

وهذا العنوان هو الآخر كالسابق دال علي عصمة استقامتها علي سنة النبي(صلي الله عليه و آله) الوحيانية واقرار منه أن قولها فصل وحياني، وما ادعاه من الرواية الظنية لا يقاوم حجتها.

ص: 450

وهذا ما انتهى إليه مصيره في نهاية محاججته مع الزهراء (عليها السلام) أنه انقطعت به الحجة من الكتاب والسنة فالتجأ إلي توافق المسلمين علي ذلك وعلي تنصيبه خليفة.

## ما ذكرته أم سلمة من مقامات وشؤون لفاطمة (عليها السلام):

### 1- الحوراء بين الانس:

وهذا يغير ما ورد في بقية الأحاديث من كونها (حوراء انسية) إذ فيه إشارة إلي غلبة أحكام وصف الحوراء عليها علي أحكام البشرية، وأن أم سلمة ونساء المسلمين قد شاهدوا ذلك منها بوضوح، فهي (عليها السلام) ملكوت أعلي في الأرض ونافذة وباب عظيم للملكوت الأعلي بين البشر.

إلا أن الله تعالي سرعان ما سلب البشر هذه النعمة لجحدهم وكفرهم بهذه النعمة العظيمة فقبضها الله اليه بمدة وجيزة بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله).

### 2- النفس للنفس:

وصف أم سلمة وروايتها لهذا المقام في شأن فاطمة (عليها السلام) هو من أسرار مقامات عترة النبي (صلي الله عليه وآله) كالذي ورد في الزيارة الجامعة: (وأنفسكم في النفوس) (1).

ص: 451

---

1- المزار، محمد بن جعفر المشهدي 532.

أي أن الفارق بين نفس فاطمة(عليها السلام) ونفوس البشر كالفصل والفارق بين النفس والبدن.

فكما أن النفس تتصرف في البدن تكويناً فنفس فاطمة(عليها السلام) لها هذا المقام بالاضافة إلى نفوس البشر، فهي روح الأرواح والنفس للنفوس قوام حياة النفوس بما هو مثابة النفس لها، كما أن قوام حياة البدن بالروح والنفس فهي(عليها السلام) ممد الحياة كفيض الهي علي الأرواح .

وهذا مقام وولاية تكوينية لها(عليها السلام)، وقد شعرت أم سلمة بهذا المقام لفاطمة(عليها السلام) وجدانا وعيانا.

### **3- ربيت في حجور الأنبياء:**

وهذه اشارة إلى شرائط الوراثة الإصطفائية كما أشرنا إلى ذلك في الجزء الثاني من مقاماتها.

ولاسيما وأن تلك التربية من أعظم مربي إلهي وهو سيد الأنبياء(صلي الله عليه و آله) وأن تربيته وحيانية مسددة.

### **4- تداولتها أيدي الملائكة:**

وهذا المقام أحد بنود وأركان قوام العصمة، وقد أشير إليه في دعاء الندبة لكل من يصطفيه الله من الحجج من الأنبياء والرسل والأوصياء:  
(بعد أن شرطت عليهم الزهد في زخارف هذه الدنيا

ص: 452

الدينة وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم، وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذرايع إليك، والوسيلة إلي رضوانك»(1).

وهذا مطابق لرواية عماد الدين الطبري في بشارة المصطفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله(صلي الله عليه وآله) في حديث طويل: «إن الله قد وكل بفاطمة(عليها السلام) رعيلا من الملائكة، يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن يسارها، وهم معها في حياتها وعند قبرها بعد موتها، يكثرون الصلاة علي أبيها وبعلمها وبينها»(2).

وهذه من خصائصها(عليها السلام) في العصمة من بين العترة نظير ما ورد عن الحسن المجتبي(عليه السلام) في وصفه لأبيه أمير المؤمنين(عليه السلام) يوم شهادته: فقام في مسجد الكوفة فحمد الله وأثنى عليه وصلي علي النبي(صلي الله عليه وآله).

ثم قال: أيها الناس إنه قد قبض في هذ الليلة رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون، إنه كان لصاحب راية رسول الله(صلي الله عليه وآله) و آله، عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل(3).

وورد في زيارة أمير المؤمنين(عليه السلام):

«السَّلَامُ عَلَي مَنْ أَيْدَهُ اللهُ 7.

ص: 453

1- المزار الكبير، محمد بن جعفر المشهد 574.

2- مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي 10 / 182، 183.

3- الكافي، الشيخ الكليني 1 / 457.

بِجِبْرَائِيلَ وَأَعَانَهُ بِمِيكَائِيلَ»(1).

ونظير ما ورد عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته القاصعة في وصف رسول الله (صلي الله عليه وآله):

«ولقد قرن الله به (صلي الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»(2).

وكما ورد كذلك في دعاء الندبة:

«وحففته بجبرئيل وميكائيل والمسومين من ملائكتك»(3)، فهم محاطون بالملائكة.

### 5- ونمت في حجور الطاهرات:

وهذا وصف لشرط آخر من شرائط الوراثة الإصطفائية.

### 6- ونشأت خير منشأ:

وهذا القالب إشارة لشرط ثالث من الشرائط الإعدادية للوراثة الإصطفائية .

### 7- وربيت خير مربّي:

يتبين عظمة هذا العنوان لفاطمة (عليها السلام) بما ورد عن علي أمير

ص: 454

1- المزار، محمد بن جعفر المشهدي 217.

2- نهج البلاغة، خطب الامام علي 2 / 158.

3- المزار، محمد بن جعفر المشهدي 575.

المؤمنين(صلي الله عليه وآله) في خطبته القاصعة: «ولقد قرن الله به (صلي الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»(1).

إذا كان هذا شأن رسول الله(صلي الله عليه وآله) وعظمة مقامه فمقام فاطمة(عليها السلام) يتجلي بوضوح فكيف وهي تحت تربيته ورعايته.

## 8- أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها!؟

وقد قال الله له: (وَ أَنْزَلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ )، (2) أفأنذرها وجاءت تطلبه:

ذكرت أم سلمة استدلالاً أمام المهاجرين والأنصار في الرد علي المستولي الأول، وهو أن كل ما يمكن أن يبلغه الرسول(صلي الله عليه وآله) من علم الدين كله حوته فاطمة(عليها السلام) والدليل قوله تعالى: (وَ أَنْزَلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) (214) (3). (4)

والاستدلال منها بديع بملاحظة أنه حين نزول الآية لم تكن فاطمة(عليها السلام) موجودة، لأنها ولدت في السنة الخامسة للهجرة ولكن الآية لا تخصص بمورد النزول.

فإن أقرب الأقربين هي فاطمة(عليها السلام)، وإذا كان هناك أمر بالندارة فلا بد أن يبلغه لفاطمة(عليها السلام)، بل ورد في روايات مستفيضة عند

ص: 455

1- نهج البلاغة، خطب الإمام علي 158/2.

2- سورة 26 - آيه 214

3- سورة الشعراء: الآية 214.

4- سورة 26 - آيه 214

الفريقين أن الرسول(صلي الله عليه وآله) يخص الأقربين بنذارة لا يشمل بها العامة ولذا ورد عنه(صلي الله عليه وآله): «بعثت إليكم بخاصة»(1)، أي بأمور خاصة لكم لا تشمل غيركم فهو يوصل إليهم ما لم يوصله إلي الناس.

ومن هنا تقول أم سلمة أن علم فاطمة(عليها السلام) لا يتطرق له جهل بأمور الدين، فإذا طالبت بفدك أو بغيره فلا يحق لأحد من الأمة أن يعارضها.

ومفاد ذلك الانذار لفاطمة(عليها السلام) تنصيب الولاية لها فلا اختصاص لعلي بآية ( وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) (2) وإن كان هو الركن الركين في ملف النذارة.

والمركز في أذهان المسلمين بشاهدة أم سلمة أن آية ( وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) (3) جارية لفاطمة(عليها السلام) وليست خاصة بالأربعين الذين اجتمعوا في يوم الانذار.

والملاحظ أن الآية لم تعم كل بني هاشم وإنما قيدت القرابة بالأقربين، ومن أقرب من فاطمة(عليها السلام) التي لحمتها لحمة لرسول الله(صلي الله عليه وآله)؟

والآية من أدل الأدلة علي تقدم أهل البيت(عليهم السلام) علما ومسؤولية، لأن الأمة تنذر بنذارة عامة عبر الرواة والنقل فإن آية ( وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ (4)ر.

ص: 456

1- تاريخ الطبري 321/2، مسند أحمد 165/2/ح 1372، شاكر.

2- سورة 26 - آيه 214

3- سورة 26 - آيه 214

4- سورة 26 - آيه 214



الأقربينَ (214) (1) هي أمر للرسول(صلي الله عليه وآله) بأن ينذر مباشرة بلا توسط واسطة.

ويدل الاستدلال هاهنا علي هيمنتها(عليها السلام) علي أولادها(عليهم السلام) فضلا عن سائر الأمة لأن وراثة ابنائها من رسول الله(صلي الله عليه وآله) إنما بتوسطها، وتقرر في محله أن وراثة الأقرب تمنع الأبعد ويتوسط في الإيصال إليه.

وقد اعترف المفسرون من الفريقين أن الوراثة الاصطفائية ثابتة بين الرسول(صلي الله عليه وآله) وفاطمة(عليها السلام) وهم لا يدرون أن هذه الوراثة أدل علي الحق المادي لفاطمة(عليها السلام).

وعنوان القربي موجود في القرآن وإن لم يكن بهذا القالب، فقد ورد بعنوان الأرحام في قوله تعالى: ( وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75) (2). (3)

وأولي رحم هو رحم رسول الله(صلي الله عليه وآله) وأعظم رحم أمر الله بصلته رحمه.

وهذا اعتراف بعصمتها(عليها السلام) العلمية والعملية.

## 9- وهي خيرة النسوان:

تقدم شرح هذا المقام، وقد ورد هذا العنوان في روايات الفريقين.

فعن جابر بن يزيد الجعفي عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين(عليه السلام)

ص: 457

1- سورة 26 - آية 214

2- سورة الأنفال: الآية 75.

3- سورة 8 - آية 75

قال: دخل سلمان (الفارسي) علي أمير المؤمنين (عليه السلام)... قال: ثم دخل الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال: يا سلمان هذان شفا عرش رب العالمين وبهما تشرق الجنان، وأمهما خيرة النسوان(1).

ويشير إلي بداهة هذه المقامات بين زوجات النبي (صلي الله عليه وآله) والمهاجرين والأنصار وبقية المسلمين.

## 10 - وأم سادة الشبان:

وهذا مقام اصطفتائي لها باعتبار أنها وعاء لسادة الأصفياء المصطفين (عليهم السلام).

## 11 - وعديلة مريم ابنة عمران:

وهذا المقام قد استبان للمسلمين في شأنها ومكانتها (عليها السلام) إذ أن أم سلمة في صدد الاحتجاج علي أبي بكر والاعتراض عليه أمام المسلمين بما هو متسالم عليه من شؤون فاطمة (عليها السلام) في الدين.

وفي هذا تصريح بعصمتها وطهارتها وحجيتها كما هو مفاد قوله تعالى: ( وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلِي نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) (2) (3) ، وبيّناه في الجزء الأول.

ص: 458

---

1- مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني 2 / 31 ، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، السيد شرف الدين علي الحسيني الاستربادي 505.

2- سورة آل عمران: الآية 42.

3- سورة 3 - آيه 42

نعم المراد بوصف (عديلة مريم) ليس هو التساوي والمكافئة كيف وفاطمة(عليها السلام) سيدة مريم بنص أنها سيدة نساء أهل الجنة وأنها خير النسوان الذي رواه كل من أبي بكر وأم سلمه.

فالمراد من العدل هنا هو سنخ ونمط أصل الاصطفاء لا في درجة الاصطفاء والا فمقامات الاصطفاء لفاطمة(عليها السلام) في القرآن أعظم من سائر أنبياء أولي العزم(عليهم السلام) فكيف بمريم كما بيّناه في الجزئين السابقين من مقاماتها.

## 12 - وحليلة لث الأقران:

والظاهر أن أم سلمة تشير في هذا المقطع إلي سوابق أمير المؤمنين(عليه السلام) في اقامة الفتح للدين وتشيدته، وإنها(عليها السلام) باعتبار ذلك قرينته في هذه المنقبة الموجبة لأحقيته بالولاية في الدين وعلي الأمة، وأن العترة(عليهم السلام) أحق راع يرعى الدين وأمته. وأن المستولين علي الخلافة لم يقوموا بذلك ولم يتم علي يدهم الفتح والنصر للدين بل كانوا معروفين بالفرار في كل الحروب.

## 13 - تمت بأبيها رسالات ربه:

وهذا اشارة إلي أعظم وراثه اصطفائية لأن سيد الأنبياء(صلي الله عليه وآله) سيد الوحي، فيشير إلي اتصالها بوحي أبيها.

## 14 - فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، فيوسدها يمينه، ويلحفها بشماله:

وهذا أيضا بيان لشرط رابع للوراثة الاصفائية ولقوام العصمة الذي مر بيانه في (ربيت في حجور الأنبياء، تداولتها أيدي الملائكة) فتدل علي شدة رعاية النبي (صلي الله عليه و آله) القصوي لفاطمة (عليها السلام) .

ص: 460

إشارة

\*الغاية الأولى: بيان فادح رحيل النبي (صلي الله عليه وآله)

\*الغاية الثانية: بكاؤها معارضة سياسية...

\*الغاية الثالثة: بكاؤها بكاء معرفي...

مما ثبت في تأريخ فاطمة(عليها السلام) بعد رحلة أبيها المصطفى(صلي الله عليه وآله) شدة وغزارة بكائها وبوتيرة ملفتة وبنحو الاستمرار ليلا- ونهارا حتي ضج رجال المدينة من ألوان بكائها، فما كان من أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن بني لها بيتا، وسمي بيت الأحنان لتقضي فاطمة(عليها السلام) وطرها من البكاء فيه بعد شكوي المهاجرين وانزعاجهم منها.

وهاهنا تنبثق عدة أسئلة:

أولا: هل الرواية التي رواها صاحب بحار الأنوار حول بكائها وبناء بيت الأحنان علي الموازين؟

ص: 461

ثانيا: هل كان بكاءها(عليها السلام) مسموعا لأهل المدينة؟

ثالثا: هل يجوز للمرأة أن تبكي بصوت مرتفع بحيث يسمعه الرجال؟

رابعا: ما هدف الزهراء(عليها السلام) من البكاء ليلا ونهارا؟ هل لمكانة الرسول(صلي الله عليه وآله) وقربها منه؟ أم لأمر أخري أعمق من ذلك؟

الجواب يتضح في نقاط:

(1) إن البكاء فعل ممدوح في القرآن بينما الفرح مذموم غالبا.

(2) إن صوت المرأة المنهي عن سماعه الرجال هو الذي اشار إليه القرآن في قوله تعالى: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) (1) (2)، فالتغنج والترقق في الصوت هو المحرم لكونه يثير الفتنة لدي الطرف اخر.

أما صوت البكاء والحزن والجزع فهو يكسر جمود وقساوة القلوب، ولذلك فإن التواريخ مجمعة علي أن بكاءها(عليها السلام) كان يثير الحزن والغم والضجر والكمد لديهم لا الخفة والميول، فمن ثم ضجوا واعترضوا وتأذوا.

(3) إن في القرآن جملة من الشواهد علي أن صوت المرأة مع الحشمة و جو العفاف ليس محلا للنهي لاسيما مع تنويجه2.

ص: 462

1- سورة الأحزاب: الآية 32.

2- سورة 33 - آيه 32

بهدف سامي مقدس نظير قوله تعالى: ( يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) (1) (2) ) ، والخطاب بلحاظ اعتكافها في بيت المقدس.

وقوله تعالى: ( وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) (3) (4) ) ، وهذا في البيت المقدس.

وقد وصفها القرآن بالطهارة والطهر مرتين وبالأصطفاء.

ومع أنه يضرب الله مريم مثلاً وقدوة كقوله تعالى: ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ... (5) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كَتَبَ وَ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ (6) . (7) )

وقوله تعالى: (فَإِذَا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ (8) 2.

ص: 463

1- سورة آل عمران: لا آية 43.

2- سورة 3 - آيه 43

3- سورة آل عمران: الآية 44.

4- سورة 3 - آيه 44

5- سورة 66 - آيه 11

6- سورة التحريم: الآية 12.

7- سورة 66 - آيه 12

8- سورة 19 - آيه 26

وغيرها من المهمات الإلهية التي قامت بها مريم (عليها السلام) في محافل مواجهة للرجال لكن في أداء من الحشمة والعفاف.

وقوله تعالى في شأن ابنتي النبي شعيب (عليه السلام): ( وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا صَنِيحٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْذِنِي لِيُجِزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (26) (3) (4) ، وغيرها من الموارد التي استعرضها القرآن الكريم عن المصطفيات والصالحات.

(4) إن هذا الفصل من تاريخها يدل علي أن بكاءها لم يكن محض استنفار سياسي ومحض مظلومية، وإنما هو بكاء حقيقي صادر من أعماقها، ولذا لم تتوقف عنه حتي في خلواتها بعد أن بني لها ذلك البيت والمأتم الخاص، ومما يشهد علي ذلك اقتران بكائها بالجوع والعطش والعزوف<sup>6</sup>.

ص: 464

1- سورة مريم: الآية 26 - 29.

2- سورة 19 - آيه 29

3- سورة القصص: الآية 23 - 26.

4- سورة 28 - آيه 23



حتى عن الحاجات الطبيعية، وهو دين الثاكل حقيقة.

هذا ولا ننكر أن يكون لبكائها فائدة سياسية وهي إبراز ظلامتها، لكنه غاية تبعية، فلو لم تظلم أو يغصب حقها لما نقص من بكائها وألمها وحرقتها درجة.

(5) إن بكاءها يحمل أبعادا وغايات هامة وسنة فاطمية عظيمة، ومن تلك الغايات:

### **الغاية الأولى: بيان فادح رحيل النبي (صلي الله عليه وآله):**

بيان أهمية وعظمة النبي (صلي الله عليه وآله) وضرورة التعلق بشخصيته، وبالتالي التأسى والاقتداء به والاستنان بسنته.

وهذا لا يحصل إلا أن تبقى صورة النبي (صلي الله عليه وآله) حاضرة وماثلة وراهنة في النفوس والعقول، وهو لا يحصل إلا بشدة تذكرو وإحياء اسمه.

وهذا في قبال أصحاب السقيفة فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمد (صلي الله عليه وآله) فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل إلي قوله الشاكرين(1)، فلاحظ هذا الشعار لهم فإن محمد (صلي الله عليه وآله)

ص: 465

قد مات بينما شعار فاطمة(عليها السلام) إن ذكر النبي(صلي الله عليه وآله) حي لا يندرس.

وشعار السقيفة هو دعوي التعلق بمن كان يعبد محمد(صلي الله عليه وآله) بلا وسيلته فقد مات.

بينما شعار فاطمة(عليها السلام) هو أن الإيمان بمحمد(صلي الله عليه وآله) هيام نوري إلهي في حياته وفي مماته، لاسيما أن رحيله(صلي الله عليه وآله)لازال في أوائله، فأرادت من البداية أن تخط وترسم سنة في ذكره لأجيال المسلمين والمؤمنين وهي كيفية ودرجة التعلق بالنبي(صلي الله عليه وآله).

ففاطمة(عليها السلام)بما لها من حجية سنت في الدين سنة كبري وهي شدة التعلق بالنبي(صلي الله عليه وآله) في قبال السقيفة وقريش التي تسعي بكل جهدها لطمس ذكره واماته اسمه(صلي الله عليه وآله).

ألم تحرق السلطة المستولية علي مقاليد أمور المسلمين كتب الحديث النبوي وعاقبت الصحابة علي رواية الحديث بالاقامة الجبرية لهم لئلا ينتشرون في البلاد فينشرون الحديث النبوي.

إلي غير ذلك من طمس الآثار الجغرافية ذات الصلة بالمعالم والمشاهد النبوية، والأعظم تغيير سنن النبي(صلي الله عليه وآله)إلي غير ذلك من ما قامت به السقيفة لمواجهة السنة النبوية.

ولذلك من أعظم صفات أميرالمؤمنين علي(عليه السلام)هي اتباع سنن نبيه(صلي الله عليه وآله).

ومن أعظم أدوار فاطمة(عليها السلام) إحياء ذكرى النبي(صلي الله عليه وآله) في نفوس

الصدر الأول لتداعي صدي ذكره للأجيال اللاحقة.

فلاحظ يومنا الراهن كيف يحيي النصاري ذكرى ميلاد المسيح (الكرسمس) فيقيمون العالم والكرة الأرضية ولا يقعدونها، وهو إحياء وتعظيم ميلاد نبي من أولي العزم، بينما المسلمون والمؤمنون لا يقوموا بعشر معشار ما يقوم به أولئك رغم الفرق الشاسع في الكمال بين عيسى وسيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله).

مع أن القرآن يبين أنه لا سعادة ولا خلاص للبشر من الأزمات إلا بالتعلق بشخصية سيد الأنبياء (صلي الله عليه وآله)، حيث لم يصف نبيا ولا وصيا بالأوصاف التي ذكرها له نظير قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلِي خُلِقَ عَظِيمٍ) (1) (2) أي قدوة للعالمين ليرتقي البشر إلي المعالي.

### الغاية الثانية: بكاؤها معارضة سياسية:

من الواضح أن بكاءها يحمل أيضا طابعا اعتراضيا علي نهج السقيفة، وأنه علي تقيض سنة النبي (صلي الله عليه وآله) وهديه ومنهاجه، ومن ثم لمس المستولين علي الأمور مدي خطورة الشحن الذي توقده الزهراء (عليها السلام) في النفوس جراء بكائها وتذكير الأمة بالنبي (صلي الله عليه وآله) مما يعيد للنفوس حيوية تعلقها بالنبي (صلي الله عليه وآله) ووصاياه، وفي هذا تجيش واستنهاض للأمة تجاه مشروع السقيفة.

ص: 467

1- سورة القلم: الآية 4.

2- سورة 68 - آيه 4

## الغاية الثالثة: بكاؤها بكاء معرفي:

لقد كان تعلق الزهراء (عليها السلام) بالنبي (صلي الله عليه وآله) منقطع النظر بحيث فاق العلاقة بين يعقوب ويوسف (عليهما السلام) وهما نبيان والعلاقة بين زين العابدين وأبيه الحسين (عليهما السلام)، فقد روي أنه (عليه السلام) مع كونه بكى طيلة حياته علي أبيه إلا أنه تفجع لشدة تفجع جدته (عليها السلام).

هذه العلاقة المتميزة للصديقة (عليها السلام) بأبيها لا محالة متميزة لأنها بين أعظم شخصية في الخلق وأعظم شخصية تأتي في الرتبة الثالثة بعد أبيها، ولا يعرف النبي (صلي الله عليه وآله) أحد بقدرها بعد أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومع هذا السنخ من القرب المعنوي كيف لا تنجذب الصديقة (عليها السلام) لأبيها (صلي الله عليه وآله) بهذه الهالة؟!

وقد ورد متواترا عنهم (عليهم السلام) أن أعظم مصيبة علي كل إنسان هي فقدته لرسول الله (صلي الله عليه وآله) ولن يصاب أحد بأعظم خسارة ومصاب من فقدته لرسول الله (صلي الله عليه وآله).

وهذه الحقيقة التي باح بها أهل البيت (عليهم السلام) تتم عن مدي الكمال الذي يفقده كل انسان بسبب فقدته للنبي (صلي الله عليه وآله)، فكيف هو حال من يدرك هذه الحقيقة وكان ينهل من النبي (صلي الله عليه وآله) أعظم ما يمكن لأحد أن ينهل ويتكامل به (صلي الله عليه وآله).

ثم إن شدة تفجعها وبكائها كان تربية وتعلما منها (عليها السلام) لكل

البشر والمخلوقات بضرورة التعلق بالنبي (صلي الله عليه و آله)، وانه لابد أن يكون تعلقهم به بعد التعلق بالله تعالى بهذا الحجم كما وكيفا  
لينالوا التكامل ويتمكنوا من العروج في مدارج القرب الإلهي.

ص: 469



## المقالة الرابعة والعشرون: ولايات فاطمة عليها السلام في العوالم الآتية

### إشارة

\*النبي (صلي الله عليه و آله) شفيع وفاطمة (عليها السلام) حاكم....

\*اعتراض....

\*جواب الاعتراض....

روي في فرات الكوفي أن رسول الله(صلي الله عليه و آله) قال: (يا فاطمة بنت محمد! أما تحبين أن تأمرين غدا فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب.

أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش.

أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة.

أما ترضين أن يكون بعلك يزود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أوليائه ويزود عنه أعداءه.

أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار يأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء.

ص: 471

أما ترضين أن تنظرين إلي الملائكة علي أرجاء السماء ينظرون إليك وإلي ما تأمرين به وينظرون إلي بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتلك إذا أفلحت حجته علي الخلائق وأمرت النار أن تطيعه.

أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كل شئ.

أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلي بيت ..(1).

بالإلتفات إلي أوصاف وأحكام عالم القيامة الثابتة بالقرآن والآيات المحكمة ندرك من الرواية الأنفة الحاكية لمقامات الزهراء(عليها السلام) في ذلك العالم عدة أمور وخصائص نذكر هاهنا بعضها:

(1) الرواية صريحة في ثبوت ولاية للزهراء (عليها السلام) علي جميع الخلق، لا سيما أن يوم الحساب هو يوم ظهور وبروز ونفوذ إرادة الله، كما في قوله تعالى: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)(2). (3)

(2) يقول تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ (4)6.

ص: 472

---

1- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي 172.

2- سورة غافر: الآية 16.

3- سورة 40 - آيه 16

4- سورة 20 - آيه 108



الأصوات لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا(108)(1). (2)

وقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا)(38)(3). (4)

فالرواية تنبأ أنه في يوم ظهور ملكوت وجبروت الله يكون لها(عليها السلام) أمر ولها طاعة من الخلائق.. فأى مقام هذا؟

(5) وفي الرواية ثلاث جمل تدل علي ولايتها(عليها السلام):

أولها: قوله (يافاطمة بنت محمد)

وثانيها: (تأمرين)

وثالثها: (تطاعين)

وهذا كله بلحاظ ذلك اليوم الذي وصفه الله في قرآنه بقوله تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) (3) (6) يكون للزهراء(عليها السلام) موقع أمر ومهيمن.

(4) وقد بين الله في مواضع عديدة من القرآن في أوصاف يوم القيامة أن الدقة في التصرفات والنتائج أكثر من أي عالم، أكثر من عالم الدنيا وعالم البرزخ وعالم الرجعة، منها قوله8.

ص: 473

1- سورة طه: الآية 108.

2- سورة 20 - آيه 108

3- سورة النبأ: الآية 38.

4- سورة 78 - آيه 38

5- سورة الأعراف: الآية 8.

6- سورة 7 - آيه 8

تعالى: ( إِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ) (40) (1). (2)

ومنها استحكام التدبير الإلهى فى ذلك العالم، وفىه يقول الله تعالى: ( وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ) (100) (3). (4)

إنه فى يوم الجمع ويوم الإرهاب ويوم مراسيم ملكية مهولة لإظهار الهيمنة الإلهية، فى ذلك الجو العظيم والمحفل المرهب، يكون للزهراء (عليها السلام) ولاية وأمر ونهى.

(5) ويقول تعالى: ( يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ) (109) (5) (6) ففي حين لا تنفع الشفاعة للبعض ويكون للبعض شفاعة، يكون للزهراء (عليها السلام) ولاية وأمر ونهى، أى فوق الشفاعة لأن الشفيع وسيط والأمر فيصل وقاض.

(6) وقال تعالى: ( الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ) (56) (7) (8) فكيف يكون لها ملك هناك فتأمر!! وأمرها قدرة تصرف6.

ص: 474

1- سورة النساء: الآية 40.

2- سورة 4 - آيه 40

3- سورة الكهف: الآية 100.

4- سورة 18 - آيه 100

5- سورة طه: الآية 109.

6- سورة 20 - آيه 109

7- سورة الحج: الآية 56.

8- سورة 22 - آيه 56

(7) ويقول تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101)(1). (2) وقوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25)(3). (4)

فلا- يوجد أدني حيف أو جور أو اشتباه، بل حتي ترك أولي، والحكم كله منسوب لله، بل كله حسب إرادة الله تعالى، وفي هذا الجو المشحون بالعدالة بكل دقائقها يكون للزهراء(عليها السلام) أمر وطاعة.

(8) ومن هول ذلك اليوم يقول تعالى: (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66)(5) (6) ، أي ينسون كل شيء ولا يمكنهم التفكير والتركيز، لكنه في ظل ذلك الجو المشتت للفكر يوجد احاطة للزهراء(عليها السلام) لأنها آمرة، وهذا يدل علي رفعة المقام الروحي لها.

(9) ومن أوصاف القيامة الكبرى ما في قوله تعالى: (يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ) (7) (8) ، أي لا يمكن للشخص أن يرعي نفسه، لكنها(عليها السلام) ترعي الخلق كله.

.3(10)

ص: 475

1- سورة المؤمنون: الآية 101.

2- سورة 23 - آيه 101

3- سورة النور: الآية 25.

4- سورة 24 - آيه 25

5- سورة القصص: الآية 66.

6- سورة 28 - آيه 66

7- سورة الروم: الآية 43.

8- سورة 30 - آيه 43

وفي عظمة ذلك اليوم يقول تعالى: ( وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16)(1)(2) )، أي يأخذ السماء من عظمة ذلك اليوم الوهي بينما سيدة النساء(عليها السلام) في مقام شامخ.

### النبي (صلي الله عليه وآله) شفيع وفاطمة (عليها السلام) حاكم:

قال (صلي الله عليه وآله) في بعض فقرات الرواية: (أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة).

وفي هذا المقطع دلالة علي تمكين النبي(صلي الله عليه وآله) بمقام مكين في الشفاعة للتعبير فيها بالفعل المضارع (يكون)و(يأتونه)و(يسألونه) وهي أفعال مضارعة تدل علي الاستمرار ودوام الطلب من النبي(صلي الله عليه وآله) في أصل النجاة وفي رفعة المقامات.

### اعتراض:

وربما يعترض أن ما مرّ من تقرر حاكمية الزهراء(عليها السلام) في الحساب هو أعلي مقاما من الشفيع، فكيف يكون لها ما ليس لأبيها؟

### جواب الاعتراض:

إن شفاعة النبي(صلي الله عليه وآله) بلحاظ حاكمية الله لا بلحاظ حاكمية نفسه

ص: 476

1- سورة الحاقة: الآية 16.

2- سوره 69 - آيه 16

التي هي في طول حاكمية الله تعالى، فضلا عن حاكمية ابنته الزهراء (عليها السلام)، فبلحاظ هذا المطلب يكون مقام شفاعة النبي (صلي الله عليه وآله) أعظم من مقام حاكمية النبي (صلي الله عليه وآله) نفسه فضلا عن حاكمية ابنته الزهراء (عليها السلام)، لأنها مرتبطة بحاكمية الله تعالى.

والملاحظ أن المقاطع في الرواية التي تستعرض مقامات النبي (صلي الله عليه وآله) ومقامات الوصي (عليه السلام) ومقام الحسين (عليه السلام) لها إضافات ونسب للصديقة الطاهرة (عليها السلام)، بمعنى أن تلك الكمالات في حين أنها كمالات لهم (عليهم السلام) لها ارتباط بكمال منسوب لها.

ص: 477



## فهرس الموضوعات

هوية الكتاب...4

مقدمة المقرر...5

الضابطة الأولى: المحكمات وطبقاتها الضابطة لمعرفتها...9

كيف نتعرف على طبقات المحكمات...:13

ولاية أهل البيت (عليهم السلام) مثبتة في أم الكتاب...:16

وقفه مع السيد المرتضى...:18

الضابطة الثانية: موقع العقائد فوق عالم الدنيا...:21

الضابطة الثالثة: العمي عن المعارف في الدنيا...:23

ص: 479

الضابطة الرابعة: العقيدة رؤية لماض أم منهج لحاضر ومستقبل...27

الضابطة الخامسة: لغة الفضائل ترجمانها الحجية...29

الضابطة السادسة: لغة القرآن والزيارات...35

الضابطة السابعة: الاعتقاد بالنبوة أعظم من الاعتقاد...47

الضابطة الثامنة: أنحاء ارتباط الحجج بالبشر...57

الضابطة التاسعة: المقامات المشتركة بين الخمسة...61

الضابطة العاشرة: إمامة رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم...67

المقالة الأولى: موقع الزهراء عليها السلام في أصول العقائد...73

الشاهد الأول: ملكها في العوالم الآتية...74

الشاهد الثاني: تلقين النبي (صلي الله عليه وآله) لحمزة (عليه السلام):...77

الشاهد الثالث: اعتراف أبي بكر بمقامات فاطمة (عليها السلام):...80

المقالة الثانية: الاعتقاد بها عليها السلام فريضة مودة...83

المقالة الثالثة: نورية الزهراء عليها السلام...85



المقالة الرابعة: الزهراء عليها السلام بضعة روح الوجود...91

أنحاء القربي:...91

إجمال مقامات فاطمة(عليها السلام) في كتب المتكلمين:...94

المقالة الخامسة: مقام المحدثه...97

المقامات الاصفهانية في القرآن...:98

المحدثه وسام إلهي عظيم لفاطمة(عليها السلام):...100

فاطمة(عليها السلام) محدثة من الملائكة والروح الأمرى:...104

المقالة السادسة: مقام المحدثه...115

أهل البيت (عليهم السلام) رواة عن كل طبقات وجود النبي(صلي الله عليه وآله):...117

المحدث مرتبط بروح من أرواح النبي(صلي الله عليه وآله):...119

المقالة السابعة: دلالة مصحف فاطمة عليها السلام...123

المطلب الأول: مراسيم تسليم المصحف لفاطمة(عليها السلام):...123

المطلب الثاني: العلوم المودعة في مصحفها:...128

ص: 481

نهج فاطمة(عليها السلام) قدوة:...135

المطلب الثالث: إشراف فاطمة(عليها السلام) على الإمامة الإلهية...136

البعد الأول: الوساطة النورية:...137

البعد الثاني: الوساطة النورية تثبت الحجية:...138

المقالة الثامنة: ليلة القدر أحد مقامات فاطمة عليها السلام...141

كلام المجلسي(ره) في هذا المقام:...147

النقطة الأولى: فاطمة(عليها السلام) ثالثة الحجج:...150

النقطة الثانية: البيت بيت الرُّوح:...151

النقطة الثالثة: الارتباط بين أرواحهم والعرش:...151

النقطة الرابعة: ارتباطهم بالعرش معراج:...152

النقطة الخامسة: امتداد صرح بيوت أرواحهم:...153

المقالة التاسعة: إرهاصات النبوة في فاطمة عليها السلام...155

الأمر الأول: تكرر نزول الملائكة العظام عليها(عليها السلام):...157

ص: 482

الأمر الثاني: التعبير عما تتلقاه بالنزول:...159

الأمر الثالث: تسالم المسلمين...160

علي الخصائص الاصفائية لفاطمة(عليها السلام):...160

الأمر الرابع: التولد من النبي(صلي الله عليه وآله) ممزوج بالجينات النبوية:...161

الأمر الخامس: توصيفها ببنوة أوصاف مقامات النبي(صلي الله عليه وآله):...164

الأمر السادس: مصحف فاطمة فيه تنزيل وتأويل القرآن:...165

علم جمع الجمع النبوي لدي فاطمة(عليها السلام):...166

ارهاصات الوحي:...167

ذكر شؤونها وصلاتها من المصحف:...170

مسألة: هل المصحف أكبر من القرآن:...173

المقالة العاشرة: الكفوية...182

منهج الاستدلال علي المقامات:...183

حديثا الثقلين والكفوية قرآنيان:...183

ص: 483

الفائدة الأولى: المديح الشخصي في القرآن اصطفاء إلهي:...187

الفائدة الثانية: ضرورة إرجاع معادلات الروايات للقرآن:...188

الفائدة الثالثة: علم فاطمة(عليها السلام) أسمائي جامع:...194

الفائدة الرابعة: علو رتبها علي الأنبياء ما عدا الخاتم:...195

لفتة معرفية:...196

اشكالية الكفوية الاجتماعية:...199

تقريب ثالث لحديث الكفاءة:...200

تنافسهما قربي لا قبلي:...209

وصيتها لعلي(عليه السلام) وشراكتها في الأمر:...210

المقالة الحادية عشر: شراكتها لعلي عليه السلام...213

رتبة فاطمة(عليها السلام) بعد النبي(صلي الله عليه وآله) وعلي(عليه السلام)...218

ثم الحسين ثم التسعة(عليهم السلام):...218

- المقالة الثانية عشر: طبقات تزويج الزهراء عليها السلام...221
- سر هول وعظمة تزويج علي من فاطمة(عليهما السلام):...222
- النقطة الأولى: ولاية أمر زواجهما(عليها السلام) بيد الله خاصة:...222
- النقطة الثانية: الحفاوة الملكوتية لزواجهما(عليهم السلام)...224
- الأمر الأول: ولاية زواج علي(عليه السلام) أيضا بيد الله:...225
- الأمر الثاني: اقترانهما(عليهما السلام) تم في الجنة الابدية قبل الدُّنيا:...226
- الأمر الثالث: الحفاوة بزواجهما(عليها السلام) ذو صلة بولايتها:...226
- الأمر الرابع: مهرها تولية الهية لها علي شؤون العالم كله:...227
- تبرك الملائكة المباركين ببركات زواجهما(عليها السلام):...229
- محورية فاطمة(عليها السلام) كفؤ لعللي(عليه السلام) في الرتبة:...229
- انفعال العرش وما دونه بزواجهما(عليها السلام) ارتباط الداني بالعالى:...231
- تولي الله لزواجهما لكونه اقتران نظم وتديير إلهي:...232
- النقطة الثالثة: التزويج و المؤاخاة:...234

التراتبية بين الثلاثة: 234...

قران كفوئية في عالم الملكوت: 235...

زواجهما (عليهما السلام) نظير القران الاسمائي: 236...

المؤاخاة بين النبي (صلي الله عليه و آله) والوصي (عليه السلام) نورية: 237...

النقطة الرابعة: حديث الكساء: 237...

التآلف في الولايات الاصفائية سر عظمة أهل البيت (عليهم السلام): 237...

تفوق علي (عليه السلام) في امتحان الولاية تدير الملائكة: 239...

أهل البيت (عليهما السلام) نبراس في تدير الولاية لكل: 240...

طبقات الملكوت وطبقات الملك: 240...

اختصاص أصحاب الولايات الإلهية في الملكوت والملك: 241...

النقطة الخامسة: الولادة في الكعبة والتزويج: 246...

المقالة الثالثة عشر: نسبة فاطمة عليها السلام: 247...

كفوئته (عليه السلام) لفاطمة (عليها السلام) وتقدمه علي اولاده (عليهم السلام): 247...

ص: 486

اللون المشترك في دائرة الحجج لا ينافي التفاضل:....249

دائرة التسعة(عليهم السلام) تتلو دائرة الحسنين(عليهما السلام):....250

شواهد تقدم مقام الزهراء(عليها السلام) علي أولادها(عليهم السلام):....250

أيهما أقرب للنبي(صلي الله عليه وآله) فاطمة أم علي(عليهما السلام):....253

المقالة الرابعة عشر: مقام ولاية الأمر...256

ثبوت ما وراء الإمامة السياسية لفاطمة(عليها السلام):....257

ولاية أمر الأئمة(عليهم السلام) وراثه من فاطمة(عليها السلام):....257

إنعكاس ولاية فاطمة(عليها السلام) الملكوتية في الشؤون الخطيرة:....259

الأبعاد الثابتة من ولاية الأمر لفاطمة(عليها السلام):....261

سؤدد وطهارة وحجية فاطمة(عليها السلام) مأخوذ في الدين:....262

أدلة ولايتها الأمرية:....265

خلو كتب الكلام عن نسبة عنوان ولاية الأمر لفاطمة(عليها السلام):....268

دليل ولايتها للأمر بمعناه الأرضي:....269

ص: 487

الفرق بين الأمرية الدينية والفرعونية الدكتاتورية: 272...

ترؤي النَّبِيِّ (صلي الله عليه و آله) في إسناد ولاية إلی لفاطمة (عليها السلام): 274...

المقالة الخامسة عشر: حقيقة فاطمة عليها السلام... 277

تعريف أهل البيت (عليهم السلام) علي وجه الحقيقة: 277...

حقيقة الإنسان لا في بدنه ولا في عقله... 278

بل في كماله النهائي: 278...

التعريف الوحياني لفاطمة (عليها السلام): 280...

المقالة السادسة عشر: دليل وفلسفة ظلامه الزهراء... 283

النقطة الأولى: ما هُوَ الدَّلِيلُ عَلَي وقوع ظلاماتها: 284...

تحليل السياقات الطبيعية للحدث وسيلة لفهمه: 287...

اهمال القصاصات المحتملة... 289

تغريد خارج سرب فطرة البشر: 289...

الحجج المجموعية دون الحجج المستقلة نبع الحقيقة: 290...

ص: 488



- بعض أنماط تنقية التراث تعمية علي الحقائق:....292
- تراكم وتوزع قصاصات ظلامتهم في كتب المسلمين...292
- التسرع في نفي الأحداث مناقض للمنهج العلمي:....297
- النقطة الثانية: فلسفات إثبات ظلامتها(عليها السلام):....297
- الفلسفة الأولى: إحياء المظلومية إحياء للمنهج القويم:....298
- الفلسفة الثانية: التعرف علي الظلامات تمييز للقدوات:....301
- علل تصفية الزهراء(عليها السلام):....305
- العلة الأولى: حيلولة وجود الزهراء(عليها السلام) عن البيعة:....305
- العلة الثانية: تصفيتها لمصادرة حقها:....305
- العلة الثالثة: شرعيتها المحكمة(عليها السلام) اسقاط لشرعيتهم:....306
- الشاهد الأول:....306
- الشاهد الثاني:....307
- الفرية علي الزهراء(عليها السلام) فرية علي الدين:....310

اشترك النَّبِيُّ (صلي الله عليه وآله) وبضعته (عليها السلام) في شدة الظلامه: 312...

المقالة السابعة عشر: مضامين رثاء علي لفاطمة... 317

معني زيارته (عليه السلام) النبي (صلي الله عليه وآله) نيابة عن النازلة بيقعته: 319...

أسرار سرعة لحوق الزهراء (عليها السلام) بأبيها (صلي الله عليه وآله): 321...

فقد النبي (صلي الله عليه وآله) خسارة لا تعوض: 325...

رجوع النبي (صلي الله عليه وآله) وفاطمة (عليها السلام) مرهون باستحقاق البشرية: 327...

صرعت الزهراء (عليها السلام) عن عمد ومكابرة ومباغته: 331...

المقالة الثامنة عشر: مقام الحوراء الأنسية... 333

الوجه الأول: نزولها (عليها السلام) من الجنة لصلب النبي (صلي الله عليه وآله): 337...

الوجه الثاني: تفعل كمالاتها (عليها السلام) في بدء وجودها... 338

آثار الكمالات الملكوتية علي بدنها المادي: 339...

الوجه الثالث: جسمها الظلي لم يودع في الأصلاب: 343...

فائدة - 1 -: عرض نورها لآدم تقدم لخلقتها نورا وولاية عَلَيْهِ: 344...

فائدة-2-: مقام المنصورة وولايتها في الملكوت ومقامات في الرجعة...345

المقالة التاسعة عشر: حوارية علي وفاطمة عليهما السلام...347

الأدب الملتزم في حواريات الأولياء إظهار للمقامات:...347

الأدب السائد بين الأصفياء لا نظير له في المواقع الاعتبارية...349

تشابه وفوارق حوارية علي وفاطمة(عليهما السلام) لحوارية موسي وهارون(عليهما السلام)...350

نبرة الأدب بين الأئمة(عليهم السلام) افصاح عن تفاوت الصلاحيات:...358

المقالة العشرون: أم مقاماتها وهيمنتها...361

مقامات الزهراء(عليها السلام) مغيبة في الاوساط العلمية:...362

أم مقاماتها هو هيمنة كل فضائها علي فضائل أولادها:...366

آل محمد(عليهم السلام) دائرة متميزة عن النبيين وبين أفرادها تمايز:...368

المنبة الأول: هيمنتها العلمية علي علم أولادها(عليهم السلام):...372

قصور البحوث الكلامية عن استيعاب منظومة العقائد:...373

المنبة الثاني: تفوقها(عليها السلام) علي مسرح الشجاعة والجرأة:...377

التراتبية في الفضل في دائرة أهل البيت(عليهم السلام):...378

مأمورية علي(عليه السلام) في جملة من الموارد بإنفاذ أمر فاطمة(عليها السلام)...382

أدلة هيمنة مقامها(عليها السلام) علي مقام الحسين(عليهما السلام):...384

الدليل الأول: حديث الكفوية:...385

الدليل الثاني: روايات الثور:...385

الطبقة النورية باللغة الفلسفية:...390

الدليل الثالث: هيمنة مصحفها الشريف:...393

السؤال تحر عن الحقيقة لا إنكارها:...394

الدليل الرابع: أمرتها في عالم الآخرة:...396

فاطمة(عليها السلام) لسان الميزان والحسنان(عليهما السلام) الكفتان:...397

الدليل الخامس: كونها بحر علم النبوة:...399

علي وفاطمة(عليهما السلام) رافدان للمعرفة الكاملة بالنبوي(صلي الله عليه وآله):...405

منهاج فاطمة(عليها السلام) محكم علي منهاج الأئمة(عليهم السلام):...407

ص: 492

المقالة الواحدة والعشرون: خطب الزهراء عليها السلام...409

عدد خطب الزهراء(عليها السلام):...409

تعدد خطبها تعبير عن مداومة مقاومتها:...410

الخطبة الثانية: بيان مقام ولايتها...413

المحاسب والحاكم علي المهاجرين والأنصار .....:413

الخطبة الثالثة: مسؤوليتها عليها السلام حفظ الرسالة...421

الخطبة الرابعة: علي وفاطمة ركني الولاية...425

المقالة الثانية والعشرون: إقرار أبو بكر لفاطمة...427

شرح المقامات...437

1 - عين الحجّة:...437

2 - منطق الرسالة:...438

3 - سيّدة أمة ايّك:...439

4 - الشجرة الطيبة لبنّك:...439

ص: 493

5 - حكمك نافذ: 441...

6 - أنت معدن الحكمة: 441...

7 - موطن الهدى والرحمة: 442...

8 - ركن الدين: 443...

9 - الخيرة المنتجبون: 443...

10 - علي الخير أدلتنا ... دليل الأمة علي الخير: 443...

11 - وإلي الجنة مسالكنا ... مسالك الأمة للجنة: 444...

12 - خيرة النساء: 444...

13 - بنت خير الانبياء (خير الآباء): 445...

14 - صدق الله ورسوله وصدقت ابنته: 449...

15 - سابقة في وفور عقلك: 450...

16 - غير مردودة عن حقك: 450...

17 - ما عدوت رأي رسول الله: 450...

ص: 494

ما ذكرته أم سلمة من مقامات وشؤون لفاطمة(عليها السلام):...:451

1 - الحوراء بين الانس:...:451

2 - النفس للنفس:...:451

3 - ربيت في حجور الأنبياء:...:452

4 - تداولتها أيدي الملائكة:...:452

5 - ونمت في حجور الطاهرات:...:454

6 - ونشأت خير منشأ:...:454

7 - وربيت خير مرثي:...:454

8 - أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟!...:455

9 - وهي خيرة النسوان:...:457

10 - وأم سادة الشبان:...:458

11 - وعديلة مريم ابنة عمران:...:458

12 - وحليلة ليث الأقران:...:459

ص: 495

13 - تمت بأبيها رسالات ربه: 459...

14 - فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر ...: 460...

المقالة الثالثة والعشرون: سر شدة بكاء الزهراء... 461

الغاية الأولى: بيان فادح رحيل النبي (صلي الله عليه وآله): 465...

الغاية الثانية: بكاؤها معارضة سياسية: 467...

الغاية الثالثة: بكاؤها بكاء معرفي: 468...

المقالة الرابعة والعشرون: ولايات فاطمة عليها السلام... 471

النبي (صلي الله عليه وآله) شفيع وفاطمة (عليها السلام) حاكم: 476...

اعتراض: 476...

جواب الاعتراض: 476...

فهرس الموضوعات... 479

ص: 496



## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي  
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباهه اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الالكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
الغمامة  
اصبحان  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

